The Discourse of Globalization in the Iraqi novel

2013-2003

Jaafer Jumaa Zaboon Ali



الإهـــداء

١

إلى شهداء العراق

وأرض العراق؛ أرض الحضارة والعلم والأدب

عراق الأنبياء والتّنوع والتّوحد والوحدانية

عراق العلماء والمفكرين الأفذاذ.

٢

أمي وأبي

لأنكما سبب وجودي ورضا ربي

زوجي الحور العين في آخرتي ودنياي

فلذة كبدي درر ومحمد صادق وغدير وجنى

إخوتي وأخواتي سندي وعوني

أصدقائي القلة الثّلة المخلصة.

٣

لك يا من مزجت رسم الحرف مع الصّوت

لو لا فكرتك المبدعة لما وصلنا إلى ما نحن إليه.

جعفر

شكر وعرفان

الحمد لله حق حمده والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده محمد (صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم) الهادي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

لست ممن ينكر الجميل عليه أبداً، فلو لا مساندة وعون الكثير من الأصدقاء لما وصلت إلى كتابة هذه الورقة، وكان واجب العرفان يحتم عليّ أنْ أتقدم بالشّكر والإمتنان للأساتيذ: الدّكتور خالد سهر، والدّكتور باسم صالح، والدّكتور طالب عويد، والدّكتور نجم عبد اللّه كاظم، والدّكتور صالح زامل، والدّكتور أحمد جمعة زبون، وجميع الأساتيذ في قسم اللّغة العربية الذين لم يتوقفوا عن دعمهم وتشجيعهم لي على إمتداد مسيرة البحث.

وأتقدم بجزيل الشّكر وعظيم الإمتنان إلى الأساتيذ الأفاضل الذين درسوني منذ نعومة أظافري الى يوم كتابة هذا البحث وإثراء مضمونه بسديد آرائهم وعظيم ملاحظاتهم.

وأتوجّه بالشّكر والتّقدير إلى كل الذّين ساندوني في إنجاز هذا البحث من الأهلِ والأقرباء والأصدقاء، خاصة الأخوة الذّين قاموا بعملية الطّباعة، وأخرجوا هذا البحث إلى النّور.

جعفر

المحتويات :



المقدمة:

يمكن القول بأنَّ الأدب والفن بصورة عامة هما وجه صريح وواضح للتّرابطات النّوعية والكمية بين الإنسان وبيئته ومحيطه وعالمه، وهذه التّرابطات تتميز بأنَّ لها أحكام معينة تميزها عن التّرابطات الفكرية والعقلية والعلميات الأخرى.

فالعولمة بأبسط صورها هي الهيمنة والإستحواذ وهي نتاج قديم جداً ويمكن أنْ يعود تأريخها ممتداً إلى الفكرة الأولى التي أراد بها الإنسان أنْ يُحكم الهيمنة على قبيلة أخرى أو مجتمع آخر أو أرض أخرى، ولا تتم الهيمنة إلا بإحدى هذه الطّرائق؛ أولاً: (القوة الجسدية) الحرب/القتل، وثانياً: (القوة العقلية) الفكر/الثّقافة، وثالثاً: الجمع بين الطّريقتين، والإنسان في تلك المرحلة لم يكنْ يعرف معنى الهيمنة الفكرية والثّقافية فهو يستخدم الطّريقة الأولى الحرب والقتل.

إنَّ خطاب العولمة بصورة أعم يمكن أنْ يتبين من خلال المفاهيم الأساسية للعولمة نفسها وهذه المفاهيم لها أبعاد مهمة وخطيرة في حياة المجتمعات المتأثرة بالعولمة، إذ تسيطر العولمة على فرعين مهمين في الحياة: الأول موضوعي لا يمكن الفرار منه في تعامل الإنسان مع الإحتياجات اللازمة للمخترعات التّقنية كالسّيارات والقطارات والطّائرات والموبايلات والحاسوب والإنترنيت.. وغيرها، والثّاني أخطر من الأول؛ لأنَّ الأول ذو فائدة إنسانية، أما الثّاني فهو يتمحور في تطبيع مجالات الثّقافة والهيمنة الأمريكية والأوربية على وجه الخصوص بوسائل ووسائط عديدة قد يكون من ضمنها الفرع الموضوعي.

جاءت فكرة الدّراسة لنبين خطاب العولمة وأبعادها ومفاهيمها في الرّواية العراقية؛ لأنَّ الرّواية هي أنموذج حي منعكس عن المجتمع بصورة أعم وكاتبها هو من النّخبة المثقفة داخل المجتمع، ولما تشكله الرّواية من تأثير على المكونين الاجتماعي والثّقافي في العراق.

لذلك تأتي هذه الدّراسة لتسلط الضّوء على خطاب العولمة وبيان أثرها إيجابياً كان أم سلبياً متوافقاً أم رافضاً متعولماً أم مناهضاً في الرّواية العراقية ومدى إشتغال مفاهيم العولمة داخل النّص الرّوائي ومدى تأثر الرّوائي العراقي بهذه المفاهيم. ومن ثمّ باتت العولمة تكتسح كل شيء والمثقف بصفته من النّخب المهمة والمؤثرة في المجتمعات ولاسيما المثقف الرّوائي بات متأثراً هو وما ينتجه من إبداع أدبي مهم ألا وهو الرّواية.

ومن هنا استطعنا أنْ نجد تأثر المثقف العراقي بمجالات الثّقافة والفكر الأمريكي والأوربي بصورة خاصة، وعليه شاعت مفاهيم العولمة بين النّخب المثقفة، وشيوع العادات والتّقاليد الغربية، وشيوع مجالات الثّقافة التّقليدية ومناهضة العولمة والسّرد المضاد بين الرّوائيين في نصوصهم الرّوائية، وتطبيع العلاقات بين جميع دول العالم وأمركة المفاهيم الوطنية والقومية والدّينية، مما دفع كثيراً من الشّخصيات الرّوائية في المتون والنّصوص الرّوائية، إلى الهجرة خارج العراق بحثاً عن وضع معيشي أفضل



والخضوع إلى العولمة بأشكالها المتعددة، أو البقاء على أرض العراق وتحمل الحياة الصّعبة والتّخندق في خندق المناهضة.

وكان الإختيار لما يقارب الثّلاثين رواية لتكون عينة البحث الإجرائية وكان الإختيار لهذه الرّوايات على وفق ما يجده الباحث من اشتغال لمفاهيم العولمة داخل النّصوص الرّوائية. كما أنَّه ليس من السّهل التماس خطاب العولمة وإبراز مواطن تأثيره داخل الرّوايات العراقية والمفاهيم المستخدمة في النّص بسبب تداخل المفاهيم وتقاربها مع العلوم المعرفية الأخرى.

فما نريد العمل عليه هو أنْ نستكشف ونبين نقاط التّأثير الموجه للعولمة على المثقف العراقي لاسيما الرّوائي العراقي المبدع ونستقرئ نصوصه الرّوائية الصّادرة أو التي أعيد طبعها للرّوائيين العراقيين داخل العراق وخارجه من عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠١٣م وهذه هي حدود البحث الزّمنية، فمن خلال هذه الدّراسة سنبحث خطاب العولمة في الرّواية العراقية،

ونستكشف اشتغال بعض المفاهيم الأساسية للعولمة وتأثيرها في الرّواية العراقية، ومنها مفهوم الأوربة (Europeanization) ومفهوم الأمركة (Americanization) ومفهوم السّرد المضاد (Counter-Narratives) ومفهوم الهيمنة (Hegemony) ومفهوم سياسات تأكيد الهوية (Identity Politics)، وكيف تعامل معها الرّوائي العراقي في نصوصه الرّوائية وكيف استخدمها داخل النّص بدراية أو دونها بقصد أو دون قصد.

ونود الإشارة إلى أنَّ هذه الدّراسة هي الدّراسة الأولى في العراق تحديداً من حيث التّركيز على مفاهيم العولمة واشتغالاتها في النّصوص الرّوائية، ولم نجدْ أيَّ دراسات سابقة قد تناولت موضوع خطاب العولمة في الرّوايات العراقية، ويمكن الاطلاع على ذلك من خلال فهارس المكتبات ودور النّشر والدّراسات الأدبية وشبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنيت)، لكننا وجدنا بعض الدّراسات التي تناولت الهوية والآخر من النّاحية المكانية أو الزّمانية أو النّفسية أو من جهة الاستشراق وليس من المنظور العولمي أو

على وفق خطاب العولمة، ووجدنا دراسات درست صورة العربي في الأدب الغربي مثل الدراسات التي درست رواية الطيب صالح(موسم الهجرة الى الشمال)، وهناك الكثير من الدّراسات التي تناولت موضوع العولمة ولكن من الجانب السّياسي والاقتصادي والثّقافي، أما من الجانب الأدبي أو الرّوائي على وجه التّحديد فلم نجدْ أيَّ دراسة في هذا المنحى على حدِّ علمنا.

وسنعتمد في هذه الدراسة على المنهج التّحليلي من حيث ايجاد آليات للتّحليل الثّقافي والمنهج الوصفي، مما نستخرجه من مستقرءات في الرّواية العراقية ومن خلال الإطلاع على اشتغال وتمثلات المفاهيم الأساسية للعولمة داخل النّص الرّوائي.

ستتكون هذه الدراسة من مهاد وثلاثة فصول؛ جعلنا المهاد بعنوان: (الخطاب الكوني العولمة (Globalization))، وفيه نستعرض الجذور التّاريخية للعولمة، ونشأتها الحديثة وماهيتها من خلال تعريفها وأبعادها. أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: (العولمة وأثرها في الأدب والسّرد



الرّوائي) تحدثنا في المبحث الأول عن اللاتوطين وتجاوز الجغرافيا في الرّواية، وعن إلغاء الهوية المحلية في الرّواية وتحدثنا في المبحث الثّاني عن العولمة والتّكنولوجيا المتغيرة في الأدب وتسويق الأدب وعلاقته بالعولمة.

أما الفصل الثّاني جعلناه بعنوان: (خطاب العولمة في الرّواية العراقية (التّطبيق الإجرائي الأول))، جاء المبحث الأول لكشف كيفية إشتغال مفهوما الأورية(Europeanization) والأمركة (Americanization) في الرّواية العراقية والمبحث الثّاني جاء لكشف مفهوم السّرد المضاد (Counter–Narratives) وكيفية إشتغاله داخل النّص الرّوائي.

أمّا الفصل الثّالث ارتأينا أن يكون بعنوان: (خطاب العولمة في الرّواية العراقية (التّطبيق الإجرائي الثّاني))، وسنتحدث في المبحث الأول عن إشتغال مفهوم الهيمنة (Hegemony) وواقع الاحتلال، أما المبحث الثّاني جاء لكشف مفهوم سياسات تأكيد الهوية (Identity Politics)، وفصلنا



أنواع الهويات حسب ما وجدناه في النّصوص الرّوائية، ثم (النّتائج والتّوصيات)، وذكرنا بها أهم النّتائج والمقترحات والتّوصيات التي استنبطناها واستنتجناها من هذا البحث، وألحقنا البحث بالمصادر والمراجع التي استندنا عليها.

وفي النّهاية ولابد من تقديم كلمة شكر بحق أستاذي المشرف: الأستاذ الدّكتور سمير كاظم الخليل وأود هنا أنْ أتوجّه له بالشّكر والتّقدير لما منحني من ثقة عالية في كتابة البحث، وكانت لتوجيهاته السّديدة وتشجيعه المستمر وجهوده العلمية الصّادقة وملاحظاته الصّائبة والقيمة، الأثر الكبير في إخراج هذا البحث.

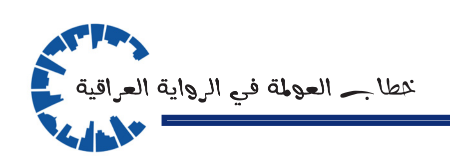
وأخيراً نحن لا ندعي الكمال؛ لانّه لله وحده، وقد يكون ممكناً قد فاتنا شيئاً ما أو فقرة ما أو فكرة معينة، ندعو الله أنْ يهيئ لنا من أمرنا رشداً، إنه سميع مجيب؛ لنضيف ما فاتنا ونتداركه.



المهاد

الخطاب الكوني العولمة (Globalization)

- نشأة الخطاب الكوني (العولمة).
- العولمة المفهوم والتّعريف.



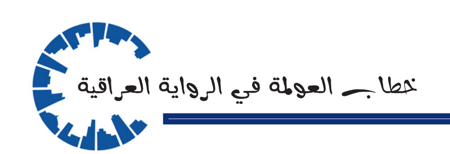
المهاد: الخطاب الكوني العولمة (Globalization):

- نشأة الخطاب الكوني (العولمة):

إنَّ مصطلح العولمة ظهر في نهايات القرن العشرين، وكانت الفكرة الأساس له هي زيادة التّرابطات الوثيقة بين الدّول أجمع، مثل ترابطات المبادلات في المجال الاقتصادي والخدمي والتّقني ومن سرعة تداول رؤوس الأموال وتوسع بث المعلومات وتسارع تدفقها.

ومن ناتج هذه التّرابطات موضوعا التّأثير والتّأثر بين القيم والتّقاليد والثّوابت الثّقافية بين الأمم، إذ اتخذت العولمة من المساعدات المهمة والطّرائق التّقنية لتداول المعلومة والثّقافة المنفتحة عن طريق وسائل الإعلام والشّبكة العنكبوتية وغيرها سبيلها الأمثل.. معتمدة بذلك على ما تم الإتفاق عليه في إتفاقية (الجات GATT)* ومن خلال هذه الإتفاقية تم

* هي اختصار عن اللّغة الإنجليزية: الاتفاقية العامة للتّعرفة الجمركية والتّجارة عقدت في تشرين الأول ١٩٤٧م، ينظر: عبد الواحد العفوري، العولمة و الجات–الفرص و التحديات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠: ٣٢.

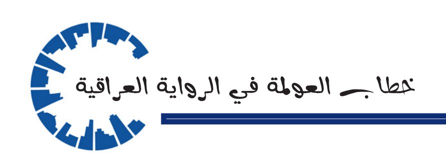


إلغاء الحواجز المعرقلة بين الدّول وحتى الشّعوب والأمم والثّقافات وإلغاء الحكر الفكري على المنتجات، وهذا قد فتح الباب لسيطرة الدّول الغربية وأمريكا على الفكر والثّقافة والمنتجات بكل العالم، ونشر ثقافة الحقوق ومنها حقوق الإنسان وحقوق الدّيمقراطية والمواطنة وغيرها.

فالفكر العولمي بأبسط صوره الهيمنة الفكرية الكلّية على العالم، وهذه الهيمنة تتم من خلال هيمنة الدّول المركزية المتسيدة في النّظام العالمي الواحد، مما يزيد من غربة للأقليات والقوميات والعرقيات الأخرى وتضعيفها ، كذلك من خلال محو فكرة الدّولة الوطنية وصياغة ثقافة عالمية موحدة ذات توجه عام لتضمحل مقابلها الخصوصية الثّقافية للدّول، فالنّمط المتسيد الآن هو العولمة الأمريكية أيْ أمركة* (Americanization) العالم وسيادة الفكر الأمريكي على غيره من الأفكار.

---

* يدل مصطلح التّأمرك أو الأمركة عما كان متداولاً داخلياً في بادئ الأمر، للإعراب عن تمازج موجات المهاجرين من كل الأصقاع وانصهارهم في مصهر الثّقافة الأمريكية. ثم عبر المصطلح حدود المجال القومي ليدل على العقيدة الجديدة للتّوسع الإمبريالي (أمركة العالم).



بهذا المفهوم والخطاب الجديد للعولمة فإنَّنا نجد البعض متماهياً مع العولمة والآخر مناهضاً لها ونحن نوصي بأنْ يكون تعاملنا مع هذا الخطاب متوسطاً بين التّماهي-الإستجابة- والمناهضة، لأننا نحن المسلمين أو العرب بصورة خاصة لم تكنْ لنا ذات يوم أسلمة أو عورية أبداً، ولم يكنْ لدينا منهجٌ نقديٌ ذو رؤية واضحة وآليات إجرائية معينة، ما خلا البلاغة وقد استلبت منا وعادت إلينا إسلوبية غربية، فنرجح أنْ تكون الإستجابة مع العولمة تماشياً والواقع العالمي، مع الحفاظ على المرجعيات الثّقافية والتّاريخية والوطنية.

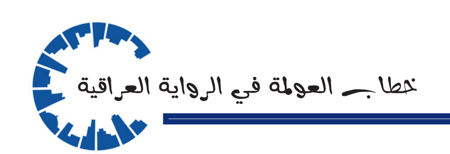
وانطلاقاً من الفكرة القائلة بأنَّ فكرة العولمة هي الهيمنة على جميع الكرة الأرضية فكرياً وثقافياً فمن الممكن أنْ نُرجع نشأة فكرة العولمة إلى مراحل المبادلات الاقتصادية البسيطة بين البلدان أيْ ما يعرف بالمقايضة، أو إلى الاستكشافات التي بدأ الإنسان بها وإنْ كانت بسيطة، أو

ينظر: أرمان ماتلار، التّنوع الثّقافي والعولمة: تر: خليل احمد خليل، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م: ٤٠.

إلى مرحلة تكون الإمبراطوريات وما جرى من توسع عسكري لهذه الإمبراطوريات على المجتمعات المجاورة أو الإمبراطوريات الأخرى، وكل هذا الكلام يشير إلى الهيمنة والسّيطرة والإخضاع إلى سلطة المحتل وقيمه وثقافته وقد يكون إلى إعتقاداته أيضاً.

ومن هذه الإمبراطوريات الإمبراطورية الصّينية، والامبراطوريات التي نشأت في العراق كالسّومرية والأشورية والكلدانية والبابلية وبلاد فارس وكذلك الفرعونية والرّومانية وغيرها... فالفكرة واحدة وإنْ إختلف التّطبيق ونتاج هذا التّطبيق وإنْ إختلفت الآليات السّاندة لها.

ترتبط العولمة بهواجس الإنسان وما يعتريه من نزعات فطرية وإكتسابية، ولاسيما تلك النّزعات المحكومة بحب الذّات والتّملك والسّيطرة على الآخر، ومن ثمَّ نزعة الهيمنة على العالم والتّدخل في أغلب الأمور إنْ لم تكنْ كلها والتّحكم بها، مثل التّدخل في حياة المجتمعات وطريقة سن القوانين السّائدة عندها، مما جعل اعتبار هذا الأمر يشكل اعتداءً على حرية



الأفراد والجماعات وقد تنشأ الحروب والغزوات من خلال الفهم الخاطئ لهذه التّدخلات ولن تنأى أيٌّ بقعة على وجه الأرض منها.

وحينما عرف الإنسان الزّراعة إهتدى إلى السّكن والوطن وبعد ذلك إلى الحضارة، وترك حياة التّرحال والبحث وحياة الكهوف والخوف، فهو بمعرفته للأعمال الزّراعية والنّشاط العملي الجماعي ذي الأهداف التي توصله إلى معرفة غاية جوهره الإنساني، استطاع أنْ يكون كائناً عاملاً منتجاً وهذا النّتاج الصّادر عن الإجراء الواعي الهادف لغرض معين هو ما يمكن أنْ نسميه مصدر الثّقافات بكل صورها.

لقد تعامل الإنسان القديم مع الطّبيعة وتفاعل معها وأراد أنْ يحكم السّيطرة عليها قدر المستطاع، وأنْ يخضعها له للتّحكم بها وأنْ يستثمر قواها ليجعلها أداة في عمله الجماعي البشري وليأمن شرورها.

والإنسان حيوان بالأصل وبالطّبع، لكنه أراد أنْ يكيف الطّبيعة والبيئة بالممكن، وأنْ لا يتكيف معها كما تفعل باقي الحيوانات؛ لأنَّ الإنسان

يمتلك عقلاً -هداه إليه خالقه- محاولاً به أنْ يصنع طبيعة مصغرة خاصة له من خلال عمله الفردي والجماعي، وهو بهذا قد كوّن طبيعة هيأت له الخصائص والقدرات التي نمت بها طاقاته وفجرت لديه بعض الإمكانات.

كما أنَّ الإنسان لم يكنْ يكيف الطّبيعة فحسب بل نجد أنَّه أراد أنْ يهيمن على الآخرين أيضاً، من خلال الأعمال التي يقوم بها أو من خلال ما يقوم به من أعمال بسيطة، فالعمل الإنساني قد غير مجرى حياة الإنسان وأفكاره وأهدافه وغاياته، وهذا الإجراء بنوعيه الفردي والجماعي، وأفضلهما الجماعي؛ لأنه يخلق ترابطات اجتماعية يكون فيها النّاس كمجاميع وهم يعملون لينتجوا من خلال عملهم الجماعي ترابطات اجتماعية بسيطة مصغرة.

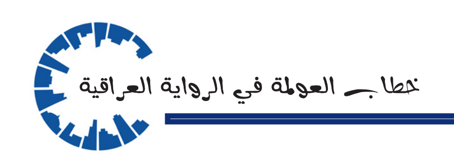
وعندما بدأ الإنسان بعملية المقايضة مع الآخرين ومع القبائل الأخرى أو مع المجتمعات الأخرى تكونت لديه أنظمة إقتصادية بسيطة ومصغرة بالوقت ذاته، ولكن هذه الأفكار هي أفكار رائعة لا يمكن الوصول



إليها إلا من خلال الفكر والعقل ويعد مراحل مهمة من الإستكشاف الإنساني لما حوله.

بعد ذلك استطاع الإنسان أنْ يهتدي إلى بعض الحيوانات أو يصنع الأشياء التي تخدمه في مراحل السّفر والتّرحال في البر والبحر، وهنا بدأت مرحلة مهمة في حياة الإنسان وهي الإستكشاف الأوسع، وهذه المرحلة إستطاع بها أنْ يكتشف أراض جديدة وقبائل أخرى ولغات أخرى وعادات وطبائع أخرى، فبدأ التّأثير والتّأثر في كل شيء، لكن هذه الإكتشافات وإنْ كانت بادئ الأمر موسعة ببساطة، إلا أنَّها فتحت الطّريق أمام منهج الإنسان للسّيطرة والإستحواذ فبدأت مرحلة جديدة ألا وهي الحروب والغزو وبالنّهاية القتل، ويمكن أنْ نصف هذه المرحلة ببدايات الاستعمار أو الهيمنة والسّيطرة.

والهيمنة على الآخر ذات نتائج مهمة وغنائمها المادية والفكرية تجعل المسيطر أكثر قوة، فالهيمنة ستولد جيلاً من العبيد الذّين يعملون



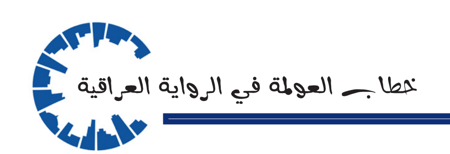
بالنّيابة ونساء جاريات تؤدي التّربية واللّهو وإدارة البيت... إلخ، وتولد جيلاً أكثر ألفة مع تقادم الزّمن وذي منهج متوحد بسبب إنصهار الأفكار وتلاقحها في بوتقة المنتصر المسيطر والمهيمن، سواء رضي بهذا المُسيطَر عليه أم لم يرضَ.

ويمكن القول بأنَّ الثّقافة الموجهة في الوقت الحاضر هي العولمة المعلوماتية؛ لأنَّ المعلومة أصبحت أكثر قيمة من الذّهب في يومنا هذا، فالعولمة المعلوماتية هي التي توجه المعلومة للنّاس كافة، وعلى الجميع تصديقها سواء أكانت هذه المعلومة كاذبة أم صادقة، عبر الفبركة أو ما نستطيع أنْ نسميه كما في مفاهيم العولمة بالصّورة الزّائفة، أو من خلال إكتساب المعلومة من النّاس، وهنا تأتي الهيمنة والسّيطرة على العالم، وهذا ما تسعى إليه الدّول وأصحاب الحضارات التي ترى أنَّها يجب أنْ تهيمن على العالم أجمع لما تملكه من مرجعيات فكرية وثقافية وحضارية وتقنية تكنولوجية. فمفهوم الهيمنة الفكرية والثّقافية هي ما تسعى العولمة بصورة خاصة وعامة أنْ تجعله سائداً على الجميع لتستطيع الهيمنة به.



وهذا التّطبيع يهدف إلى إستبدال مجالات الثّقافة والفكر الأمريكي والأوربي بدلاً عن الثّقافات العالمية المتنوعة وعوضاً عنها وذلك من خلال محاور أساسية: وهي الدّيمقراطية وحقوق المرأة، وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات، وغيرها من الحقوق والأحلام التي هي بالأصل حق مشروع لكل إنسان، وقد تجابه بالرّفض والمقت عن طريق المناهضة والسّرد المضاد.

ونحن اليوم في القرن الواحد والعشرين وقد أصبحت العولمة حرباً خفية مستترة، جنودها التّقنيات، وسلاحها التّكنولوجيا، وأهدافها المعلومة، ونتاجها الإستهلاك، وغنائمها السّيطرة على العقول والأموال، وكلنا قد خضع لهذا الأمر سواء بإرادته المحضة أم لا، فاليوم جميعنا نمتلك جهازاً ذكياً أو جهازاً لوحياً أو جهازَ حاسوب، ونمتلك الإنترنيت والصّحن الفضائي، وكلّنا نتعامل مع التّطبيقات والبرامج الإلكترونية وحتى الألعاب، ونستخدم مواقع التّواصل الاجتماعي وغيرها من المواقع الإلكترونية، كل هذا وذاك يسمح للمسيطر الوحيد على الشّبكة الإلكترونية العالمية (World Wide Web) وهي بالطّبع الدّول الغربية أو بالتّحديد أمريكا، من التّتبع والسّيطرة



على المعلومة الشّخصية الدّقيقة، حتى أنَّها باتت تعرف بصمات الأصابع العشر وقرنيتا العينين، وتعرف كل ما يتعلق بالحسابات الإلكترونية من خلال ما يهبوه للمستخدم من مساحة إفتراضية مجانية تقدر بـ(١ تيرا بايت)، إذ يضع المستخدم فيها كل الأسماء لجهات إتصاله وصورهم الشّخصية، وملفاته المهمة وحتى كلمات المرور (الباسوردات) للحسابات وغيرها، ويضع أيضاً كل رسائله الإلكترونية وأبحاثه وكل ما يرتبط ببريده الإلكتروني من تطبيقات وألعاب وخرائط لأماكن قد زارها، وصوره الشّخصية الخاصة والعامة، كل هذا بمحض إرادته، فأصبح لا يستطيع التّخلي عن كل الإفتراضات الإلكترونية أو الواقع الإفتراضي.

أصبح الإنسان في الدّول النّامية حصراً، لا يفكر في صنع شيء معين ولو أبسط الأشياء وهو (إبرة الخياطة) أو (مفك البراغي)، أو أيَّ شيء آخراً لأنَّه سيجد كلّ شيء جاهزاً وبأسعارٍ زهيدة، فعندما يحتاج إلى شيء ما مثلاً شاشة إلكترونية (بلازما) يذهب ويشتريها بكل بساطة وبسعر مناسب جداً، ولو أرادَ جهاز إستقبال فضائي (ستلايت) يذهب ويشتريه ببساطة

كذلك، وفي كلا الجهازين يوجد موجه عن بعد (ريمونت كونترول) كي لا يتحرك من مكانه ويكون أكثر خمولاً، ويستقبل مجالات واسعة من الثّقافة الموجهة له من خلال الفضائيات والإعلام المفبرك والأفلام بأنواعها ونشرات الأخبار الكاذبة، ولا يفكر في صنع أيِّ شيء إلا شيئاً واحداً فقط وهو الإستهلاك والتّبعية العمياء للدّول الغربية، وهذا ما تبتغيه العولمة.

فاليوم نحن نعيش العولمة ولكن ليست العولمة الكاملة وإنَّما هي صراعات النّضوج العولمية المضطربة التي لا تستطيع أنْ تسيطر على نفسها بعد، فما يجري في العالم الآن بصورة أعم إنَّما هو إضطراب غير مسيطر عليه من جميع النّواحي السّياسية والاقتصادية والثّقافية والدّينية.

فأمريكا تريد أنْ يكون العالم في إنشغال دائم بمسائل وهمية أو واقعية مصطنعة هي الواضع لها وعندها الحل المسبق لذلك، كي تبقى هي المسيطر الوحيد والأوحد، وتنفذ كل شيء في أيِّ مكان وبأيِّ زمان تشاء وبأيِّ طريقة تريد.

حتى أنَّ باستطاعتها التّجسس على جميع أجهزة النّقال (Mobiles) في أيِّ مكان بالعالم، فما عاد للخصوصية من خصوصية، وقد تجرأت أمريكا وبكل إستهزاء، وأخبرت العالم بأنَّها تتنصت على جميع المكالمات ولاسيما المكالمات المتعلقة بالقيادات العسكرية والرّؤساء والوزراء في أوربا وآسيا وأفريقيا واستراليا وأمريكا الشّمالية واللّاتينية، وهي بهذا الإجراء تريد أنْ تقول للعالم أجمع بأنّي أنَا المسيطر، وقد تجسستُ على مكالماتكم فما هو ردكم؟ كل ذلك قدمته للعالم على شكل لعبة مفبركة، من خلال أحد موظفي السّي آي أيه (CIA) وهو (إدوارد سنودن)، ونشر (سنودن) هذه المعلومات في موقع إلكتروني يطلق عليه (ويكيليكس)، فهل من المعقول أنَّ أمريكا تبعث أقماراً ومركبات فضائية إلى الفضاء، وتصنع الأجهزة و(السّريفرات) الخاصة بالشّبكة العنكبوتية وتسوقها وتهيمن عليها كلياً، وتتجسس على كل العالم، ولا تستطيع أنْ تغلق موقعاً إلكترونياً بسيطاً ينشر أسرارها، وهي المسيطر على جميع الأمور التّقنية والتّكنولوجية



المخصصة بالمواقع و(سيرفراتها). ولو حتى من خلال (هكر) خبير حاسبات وبرمجة يعمل لصالحها.

لعلنا نعيش صراعات نضوج العولمة لما هو ناتج عن فهم العولمة نفسها فهي تسعى ظاهراً إلى أنْ يكون المجتمع كله واحداً، قرية واحدة، فكراً واحداً، إقتصاداً واحداً، لا يوجد فيه فقير أو غني، ولا يوجد فيه كافر أو متدين، ولا يوجد فيه جاهل أو عالم، وإنَّما على الجميع أنْ يستخدموا مجالات الثّقافة المقننة والموجهة التي يضعها من هو أكثر استحواذاً على العالم وأكثر هيمنة، وهذا لا يمكن حدوثه فليس بالإمكان أنْ يتوحد العالم كله على ثقافة واحدة أو لغة واحدة، بسبب بسيط هو أنَّ من يمتلك حضارة عريقة أو ذات بعد تاريخي قريب نسبياً، لا يستطيع أنْ ينسف كل القيم الحضارية والثّقافية ويترك الأمر للعولمة ومن ورائها في تثقيف أبناء حضارته وفي بلده، كما لا يمكن أنْ يتحدث كل العالم بلغة واحدة فقط كاللّغة الإنكليزية مثلاً باعتبارها لغة العولمة، أو بلغة موحدة يعرفها الجميع، فالدّراسات تشير إلى بقاء عدة لغات في عام ٢٠٥٠م من ضمنها الإنجليزية



والصّينية والعربية والبرتغالية والفرنسية والإسبانية والألمانية بسبب أعداد المتكلمين بهذه اللّغات*.

فأمريكا تريد أنْ تخلق أنماطاً ثقافية تهدف إلى وضع ثقافي واحد يحكم السّيطرة على دول العالم الآخرى، كي تستطيع أنْ تخلق مجتمعاً عالمياً له تقاليد وسلوك وذوق واحد في جميع دول العالم. فهي بذلك تريد أنْ تمحو الخصوصية المحلية والإقليمية لمجتمعات دول العالم ولاسيما دول العالم الثّالث والعراق من ضمن هذه الدّول، فأمريكا تريد أنْ يكون الجميع تحت سيطرتها السّياسية والعسكرية والاقتصادية والثّقافية والعلمية والتّكنولوجية.

لكن بعد أنْ أصبحت العولمة ذات فكر حقيقي له تفرعاته الخطرة توسع الإحساس بها وتوسع خطرها على الكرة الأرضية، وحتى على مستقبل البشرية، لما بدأ يُفرض من العولمة تباعاً من تغيرات جوهرية في طبيعة

* ينظر: https://www.noonpost.org/content/ ١٢٨٢٧ .



العلاقة الرّابطة بين الإنسان وتاريخه الحضاري وواقعه الحياتي بما في ذلك أسلوب التّعايش والقيم والسّلوك والتّرابطات مع الآخرين.

نسبياً وفي التّرتيب الزّمني للإشارات التي حصلنا عليها وفي مقولة ليست بالدّقيقة إنَّ أول من أشار إلى مصطلح العولمة معرفياً هو عالم السّوسيولوجيا الكندي (هربيت مارشال ماك لوهان) (Herbert Marshall McLuhan) أستاذ الإعلاميات في جامعة تورنتو استناداً الى ما أشار إليه سيار الجميل: "لم يظهرْ أحد من الفلاسفة والمفكرين على تفرع القرون المتأخرة من دعا إلى العولمة أبداً بالشّكل الذي تبرز فيه اليوم وإن أول إشارة واضحة لمفهوم (العولمة الكونية) نجدها عند مارشال ماك لوهان الذي كتب كتاباً عند نهاية عقد السّتينات أسماه (القرية الكونية) تنبأ فيه بثورة المعلومات، وأعطى فيه إشارة متنوعة لما يمكن أنْ يؤديه من وظائف للإنسان الذي سينتصر على بعض قوى الطّبيعة ويسخرها لبناء قريته الكونية، فضلاً عن صياغة للكونية من خلال نجاحه المثير في وسائل



الإعلام التي تطورت كثيراً، ولم يكن لها أي وجود كما هي عليه اليوم قبل ثلاثين سنة"[1].

ونحن لا نرجح ما ذكره الجميل عن أولية من أشار إلى مصطلح العولمة إذ نجد "أنَّ مرحلة الأربعينات شهدت البدايات الأولى لاستخدام هذا المصطلح، إذ وردت كلمة عالم واحد في الكلمة التّمهيدية المكرسة لمؤلف كتاب (عالم واحد Global one) (وندل ويلكي) (Wendell Willkie) الذي صدر في الأربعينات"[2]، ونرجح الكفة في أولية الاستخدام أو الإشارة إلى المصطلح للعالم (وندل ويلكي)، فصدور كتابه كان في الأربعينات من القرن العشرين أما (مارشال ماك لوهان) فقد صدر كتابه في السّتينات بعد ذلك بدأ استخدام المصطلح يتسع نسبياً خلال مرحلة السّبعينات وما بعدها.

---

[1] – سيار الجميل، العولمة والمستقبل: الأردن، المكتبة الأهلية، ط١، ١٩٩٩م: ٥٥.

[2] – مايكل تانزر وآخرون، من العامل الاقتصادي القومي إلى العامل الاقتصادي الكوني: تر: عفيف الرّزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط١، ١٩٨١م: ٢٩.

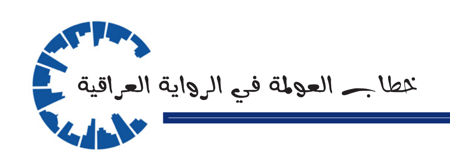
وسواء انتبه العالم لأفكار (ويكلي أو لوهان) أم لم ينتبه فإنَّ الأمريكيين هم أول من التّقط الفكرة ليس لترويجها ثقافياً فحسب، بل ليحاولوا إخضاعها لمصالح سياسية وإقتصادية وإعلامية وثقافية وغيرها.

كل ذلك تغير خلال التّسعينيات "إذ بدأ مفهوم العولمة يزداد تداولاً وانتشاراً في الشّرق والغرب، وفي الدّول النّامية والمتقدمة، وفي المراكز والهوامش ولدى الجمهور العام والخاص، وتغلغل إلى كل التّخصصات بما في ذلك العامل الاقتصادي ومجالات السّياسة ومجالات الثّقافة والاجتماع"[٣].

كان المخاضُ صعباً لولادةِ العولمة الأولى؛ لأنَّها لم تكنْ قادرةً على تحقيق الأهداف التي وضِعت لها بسبب قصور الأدوات المستخدمة والرّفض القاطع من المتلقين، وهذا وارد؛ لأنَّ كلَّ منهج أو نظام أو تيار أو حركة جديدة تجابه بالرّفض من المناهضين وتتلاقف بالأحضان من المناصرين.

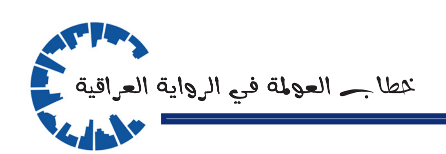
---

[٣] – مايكل تانزر وآخرون، من العامل الاقتصادي القومي إلى العامل الاقتصادي الكوني: ٥٠.



شاع استخدام مصطلح (العولمة) في مجال العلوم الاقتصادية والسّياسية والإعلامية بشكل ملحوظ مطلع التّسعينات في الإشارات السّياقية لواقع جديد بدأ بفرض وجوده كقوة فكرية على العالم وذلك تقريباً بعد ما انهار جدار برلين في عام(١٩٨٩م)، وما تم الإعلان عنه بالإنتصار للرّأسمالية اللّيبرالية كنظام مهم في الاقتصاد والاجتماع والسّياسية على الشّيوعية الماركسية، وإنَّ هذا النّظام –العولمة– قادر على الجدة والثّبات في حل الأزمات والمشكلات الاقتصادية العالمية على العكس مما كان متوقعاً سابقاً من أنَّ هذا النّظام سوف ينهار وينتهي، مما جعله النّظام الوحيد ذا المؤهلات العالية كي يعمم على المجتمعات كافة ليوحدها على الرّغم من وجود الإختلاف الثّقافي والحضاري بين الشّعوب.

وفي أواخر الثّامنينات ومطلع التّسعينينات استطاعت العولمة أنْ تظهر بأدوات كاملة ومفاهيم مقبولة ودعم تقني تكنولوجي لتشير إلى بدء مرحلةٍ جديدة في حياة البشر حتى عدَّ (فوكوياما) في اطروحته أنَّ تطور البشر وصل إلى نهايته، وهو الآن وحسب أعتقاده استقر على الدّيمقراطية



اللّيبرالية الرّأسمالية، باعتبارها الشّكل النّهائي للحكومة الإنسانية[٤]، وبالطّبع فإنَّ السّيطرة على المجالات التي تقرر المحافظة على الحقوق والحريات وعدم العنصرية وإشاعة السّلام والضّمان الأمني والفكري والدّيني وغيرها يجعل من العولمة المتسيد والمتربع على عرش الأنظمة أجمع.

لكن بما أثارته العولمة من إهتمامات في مجالات مختلفة وأوساط فكرية متعددة على الصّعيد الأقليمي والعالمي، سرعان ما أصبحت المواقف منها متباينة بين الشّعوب بين مناصر ومناهض ومندفع ومتردد، بسبب الطّرح الجديد للمفهوم ومن المفيد منه من الدّول القوية العظمى، وكان للتّأثيرات الدّولية الرّافضة للعولمة ذلك الوقت أثر كبير في التّشاؤم والرّفض له لعدم استيعاب ما يجري من أحداث في العالم عن طريق تغير الصّيغ والعوامل بين التّرابطات الدّولية ككل تحت مظلة العولمة وكان الخوف بادياً على المستقبل أيضاً.

---

[٤] – ينظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر: تر، حسين أحمد أمين، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م : ٥٢.



يجب أنْ نشير إلى الحداثة النّسبية والتّقريبية لتداول مصطلح العولمة وشيوعه هذا المصطلح الذي نعده سائلاً لا يمكن حده، وهو ممتد في تصورنا إلى مراحل تاريخية سابقة كما أثبتت بأنَّ "العولمة هي جزء من إجراءات تاريخية، أرجعها بعضهم إلى خمسة قرون"[٥]، وقد تعود إلى المرحلة الأولى من بدء الصّناعات الأوربية في عصر النّهضة[٦]. مع هذا التّفاوت في تحديد الإنطلاقة الأولى أو التّاريخية للعولمة فإن أغلب البحوث تتفق على البعد التّاريخي الموغل لها.

---

[٥] – جلال أمين، العولمة والدّولة: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م: ١٥٣.

[٦] – ينظر: جيرار ليكلراك، العولمة الثّقافية الحضارت على المحك، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤م: ٣٦. ينظر أيضاً: عمرو محيي الدّين، العرب والعولمة: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م: ٣٥.

- العولمة التّعريف والمفهوم:

بعد تداول مصطلح العولمة على المستوى العالمي، أثارت ومن خلال مصطلحها كثيراً من وجهات النّظر في حدودها وما يتداخل معها من المجالات، استطاعت العولمة أنْ تلصق نفسها في كل المجالات المتعلقة بالأنشطة التي يقوم بها الإنسان، وهذا ناتج عن المفاهيم والتّطبيقات الإجرائية التي تسمح لها بالتّغلغل والسّيطرة على هذه المجالات. وقد يكون الالصّاق (من قبل ومن بعد) وهو إشارة إلى إحالات جديدة تمثل مفهوماً واقعياً مغايراً مع هذا المصطلح، على سبيل المثال: (عولمة الثّقافة أو ثقافة العولمة) فكلا المصطلحين لهما معنى يختلف اختلافاً كبيراً عن الآخر.

ويمكن عدّ مصطلح (العولمة) من أكثر المصطلحات التي تم تداولها في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، وقد كانت العولمة هي العنوان الأبرز لكثير من النّدوات والنّقاشات والحوارات الدّولية والإقليمة والمحلية، مما جعلها دائرة نقاش كبرى بين النّخب المثقفة

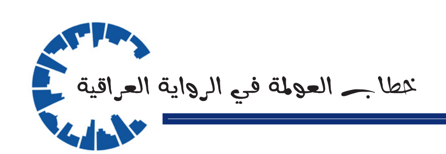


المتباينة بين مناصر لها ومناهض مرتاب من سرعة انتشارها وقد تكون هي الطّوفان الكوني القادم الذي سيأكل كل شيء، إذا لم يقننْ ويكون منضبطاً كما " أشار الرّئيس الفرنسي جاك شيراك في خطابه الذي ألقاه بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي في (١٤ يوليو ٢٠٠٠م) إلى هذا المضمون ما نصه : إن العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنّها تنتج شروطاً كبيرة وهي وإن كانت عامل تقدم، فهي تثير مخاطر جدية ينبغي التّفكير فيها جيداً"[٧].

إن المصطلح الإنكليزي (Globalization) يوجه لبعض من الإصطلاح اللّغوي المتداول عند ترجمته إلى اللّغة العربية فقد ترجم إلى الكونية- الكوزمولوجيا- (Cosmology) أو العالمية (Universal)، أو الكوكبية، بينما يترجم في اختصاص السّياسة والاقتصاد بالعولمة كون هذه التّرجمة تشير إلى الشّمول والتّواشج والتّشظي بين كل ما هو محلي وعالمي، كما يمحو كل الحدود القومية، ويكون مشتركاً في المصالح

---

[٧] – ينظر: محمد السّماك، محاضرة عن مستقبل الصّحافة العربية في ظل العولمة: مجلة الحوادث العدد ٢٣١٠ في ٢٠٠١/٣/٩م: ٦٤.



والمتغيرات التي تطرأ على القيم ذات الطّابع الخاص والمحلي، لجعلها في إطار أوسع وعام مصطبغة بصبغة عالمية[٨].

ويشير معنى كلمة (Global) في المعاجم الإنكليزية الى معنى "عالمي"[*] أيضاً كصفة من الاسم (Globe) "وتعني الكرة الأرضية فقد ترجم إلى الكونية ..... مشيراً إلى مسوغات استخدام هذه التّرجمة مستنداً للأصل المشتق منه"[٩]، إلا أنَّ المرجح لدى أغلب الباحثين هو استخدامهم مصطلح العولمة، إذ "أجاز مجمع اللّغة العربية في القاهرة استخدام مصطلح العولمة

---

[٨] – ينظر: محمد بدوي، قاموس أكسفورد المحيط انكليزي – عربي، اكاديميا انترناشيونال، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م: ٣٣٥.

[*] ينظر: منير بعلبكي، قاموس المورد: مطبعة كلها، قم المقدسة، ٢٠٠٥م: ١٧٦.

[٩] – بتصرف: نقلاً عن: السّيد يسين، مفهوم العولمة: مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م: ٣٦١.



بمعنى جعل الشّيء عالمياً"[١٠] والمقصود هنا (بالشّيء) هو كل النّتاج الإنساني العام والخاص فيكون منتشراً على المستوى العالمي من التّداول.

على الرّغم من الإختلافات في ترجمة مصطلح العولمة فإجماعاً كلها تشير إلى جعل الأشياء والمنتج وحتى العلاقات والقيم الخاصة المتداولة في المستوى المحلي القومي الخاص للإنتشار والبلوغ إلى المستوى الأوسع والأقصى وهو العالمي العام.

بعبارة أخرى هو السّعي الحثيث إلى إختزال العالم وضغطه ومحو الحدود والمسافات، بالإعتماد على الوشائج المتبادلة بين الأمم في مجالات متعددة، ومعيار ذلك هو الفكر والثّقافة والقيم الموجهة حداثوياً وتقنياً من قبل الدّول الغربية وأمريكا.

---

[١٠] – محمود فهمي حجازي، العالم الإسلامي في عصر العولمة: مجلة الهلال، عدد مارس، القاهرة، ٢٠٠١م: ٨٧. ينظر أيضا: صالح الرّقب، العولمة: الجامعة الإسلامية، غزة، ط٢، ٢٠٠٢م: ١٤١.

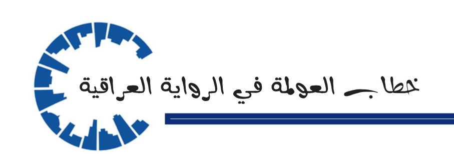


وبإمكان المتتبع لهذا المصطلح في اللّغات الأخرى مثل الفرنسية أنَّ يجد المصطلح بالفرنسية (Mondialisation) يشير إلى الدّلالة اللّغوية ذاتها مختلفاً بالتّركيب الشّكلي الصّوري إذ يدل المصطلح بالفرنسية إلى " جعل الشّيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللا محدود والذي ينأى عن أي مراقب. والكلمة الفرنسية هي ترجمة لكلمة (Globalization) التي ظهرت أول ما ظهرت في أمريكا وهي تفيد معنى تعميم الشّيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل"[١١].

على الرّغم من أنَّ مصطلح العولمة يرد في لغات متعددة ليدل على مفهوم موحد وهو الإشاعة والاشهار أو التّعميم والسّيطرة والهيمنة، لكن يوجد بُعدٌ تحليلي في تحديد مفهوم العولمة وفك رموزه إذ " يركز الإصطلاح

---

[١١] – محمود فهمي حجازي، العالم الإسلامي في عصر العولمة: مصدر سابق: ١٠٧.



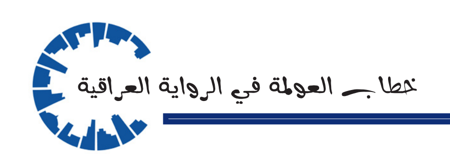
الفرنسي ومرادفاته على البعد الفضائي المادي، أما المصطلح الإنكليزي فهو يعني التّنظيم من أجل الوصول إلى تكوين تصور توجيهي للعالم ككل"[١٢].

إنَّ اتفاق المصطلحات على الشّمول والإعمام، وتشظي الحدود الزّمكانية وتنوع الوسائط النّاقلة وفتح مجالات متعددة للإشهار، ونقل العالم نقلة نوعية نحو الإنفتاح وعدم الإنغلاق في التّجارب الإنسانية، هو ما يتيح التّداخلات الثّقافية وتلاقحها لإنتاج ثقافة معولمة ترتقي لكي تكون هي الثّقافة الحلم أو هي الخلاص الثّقافي الذي يبحث عنه كل إنسان، لأنَّها ستخرجه من سيطرة الإنضباط والتّقييد بالتّقاليد وستجعله متحرراً لما يتطلع إليه، وهذا قد يتحقق وقد لا يتحقق.

من هذا المعنى نجد أنَّ اللّغة الإنكليزية هي الأقرب والأدق إلى مصطلح العولمة ومفهومها، وما يمكن أنْ يشتغل به من آليات في المجالات الثّقافية والسّياسية والاقتصادية وحتى الأدبية، لإشارته في تكوين توجهات

---

[١٢] – حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: منشورات الاختلاف، ط١ ، الجزائر، ٢٠٠٧م: ١٧٨.



منظمة مدفوعة تسعى إلى بناء مثل هكذا فكر على أرض الواقع محققة بذلك صورة تكاملية تسعى العولمة وفكرها إلى رسمها وتحقيقها من خلال ما يسمى بالتّكامل في المجالات المتنوعة، مع إزالة ومحو الحدود الجغرافية المانعة بين الدّول، لتأسيس عالمية موحدة ثقافياً مستندة على ما يتم الإشتغال به من آليات ومفاهيم وقيم الثّقافة الأمريكية والغربية، وليس بعيداً أنْ يتم التّعبير عن العولمة بأنها ذات توجهات هادفة ومهمة تسعى إلى وحدة اللّغة السّياسية في العالم عن طريق أجندة مركزية وعن طريق تداول خطاب أكثر شمولية يتحدث عن الثّقافة والقيم الغربية والأمريكية، رافضة بذلك وبقوة كل التّوجهات المعارضة لها، وتسعى إلى إزاحتها معتبرة إياها منغلقة ومتمسكة بكل الحدود والقيود الخاصة، غير منفتحة على الأنظمة الدّولية وما فيها من اتفاقات.

ويعود الجذر المتأتي منه إصطلاح العولمة في اللّغة العربية إلى (فوعلة) كما ذكر ذلك د. محمد عابد الجابري إذ يقول: "إنَّ الصّيغة الصّرفية لكلمة عولمة هي (فَوعلة) وهي تدل على تحويل الشّيء إلى وضعية أخرى

مثل قولبة، أي وضع الشّيء على مستوى العالم"[١٣] ففي اللّغة تدل كلمة العولمة عند تحليلها إلى التّعميم على مستوى العالم أجمع.

وعن طريق التّقنية التّكنولوجية الحديثة والتّي يمكن عدها أبرز وأهم أدوات العولمة إذ إنَّ هذه التّقنيات قد غيرت المفاهيم السّائدة سابقاً فقد استطاعت أنْ تلغي المسافات وتقربها وتجعل من الوقت أكثر أهمية، وأصبح الوقت في جميع العالم العنصر الطّاغي والأهم في التّداولات المالية والأحداث السّياسية والتّنافس الثّقافي، فمثلاً في ثوانٍ قليلة تسقط شركات عملاقة ذات أبعاد عالمية بسبب خبر سياسي معين من قبل شخصية معينة ليصاب بالرّعب أصحاب الأسهم المالية لتلك الشّركة مما يضطرهم هذا الخبر إلى بيع الأسهم وبأسرع وقت ممكن تلافياً للخسائر الفادحة لاحقاً، أو قد تنتعش شركة صغيرة على مستوى إقليمي.

[١٣] – محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م: ١٣٥.



والعولمة؛ سيرورة لها أبعاد وآليات ومؤشرات مختلفة وتفسيرات كثيرة وتعريفات أكثر، وهذا ما يجعل منها مجالاً خصبا للمقاربات المتضاربة والمختلفة، غير أن أبعادها وآلياتها (التكنولوجية) هي العنصر الأكثر تأثيراً والقاسم المشترك في الأبعاد كافة وقوة الدفع النفاثة المتخطية للحدود القومية لها. وهناك عدد من المفاهيم الملتبسة مع العولمة ينظر لها كمترادفات مثل: الكوكبة، الدولنة، اللبرلة، الأمركة. كما لا يمكننا أنْ نضع حداً – تعريفاً – كاملاً وجاهزاً ومانعاً للعولمة بسبب التّضخم النّوعي لاستخدامه في مجالات واشتغالات الإنسان كافة إذ "يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتّحليل الاقتصادي، والسّياسي والثّقافي والإيديولوجي وتشمل: اعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصّناعة عبر الحدود، انتشار اسواق التّمويل، تماثل السّلع المستهلكة لمختلف الدّول، نتاج الصّراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة"[١٤].

---

[١٤] – السّيد يسين، مفهوم العولمة: مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م: ٣٦٠.

أصبحت الهيمنة على العالم أسهل بكثير من ذي قبل وهي واقعة لا محالة وستبقى مستقبلاً إلى الأبد ما بقيت مدعومة بالمنهج الرّأسمالي المبتكر من الغرب، والتّقوقع والقبول بالسّيطرة من قبل دول العالم المسيطَر عليها، ولهذا نعتقد أنَّ "الدّخول في العولمة وتقنياتها وحقولها ومبادئها أمر حتمي ومفروض على كل مجتمع يريد أنْ يبقى في دائرة المجتمعات التّاريخية ولا ينسحب من الفعالية الدّولية المشتركة"[١٥]، فالعولمة بذلك ستقوم بنسف ومحاربة كل مجتمع يحاول مقاومتها ومقاومة أهدافها ولا يكون متفاعلاً معها؛ لأنَّ الشّروط الموضوعة للإستمرار ووضع موضع قدم في التّاريخ الجديد هي الالتّزام بالأطر والأنظمة العالمية، على أنْ يكون الإندماج الكامل متماشياً مع أهداف العولمة.

فالعولمة "عملية تحول تستهدف الإنتقال من وضع الدّولة، بحدودها وقوانينها ونظمها وقراراتها، إلى وضع جديد يتخطى بعض ذلك أو

---

[١٥] – حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: ١٩٩.



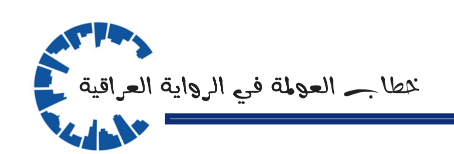
كله سعياً نحو تداخل وتفاعل ومشاركة تتجه إلى عالم متفاعل، تزول فيه كثير من هذه الحواجز أو في النّهاية كلها فتتحول إلى عالم واحد"[١٦].

وهي الحتمية التي تؤكد على العزلة لكل مجتمع يقاوم أدواتها ولا يتفاعل معها من خلال فتح الأسواق والأندماج الكامل مع أهدافها لتوحي بذلك إلى أنَّ الشّرط التّاريخي الجديد أصبح يؤكد على البقاء ضمن النّطاق العالمي في حدود السّياسة الدّولية والاقتصادية والثّقافية وليس بمعزل عن باقي دول العالم.

نجد أنَّ العلاقات المشتركة العالمية بين الدّول تشير إلى ذلك من خلال التّرابط الكلّي بالجزئي والعكس صحيح من حيث "نمو التّرابطات المتبادلة والمتنوعة بين الدّول والمجتمعات والتّي تؤدي إلى تكوين نظام عالمي، وأنّ أيّ فعالية أو قرار يتخذ في أيّ بقعة من العالم يؤدي إلى

---

[١٦] – علي أسعد وطفة، التّربية العربية والعولمة بنية التّحديات وتقاطع الاشكاليات: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، العدد ٢، المجلد ٣٦، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٧م: ٣٢٨.



افرازات وآثار مهمة على باقي المجتمعات"[١٧] فهذا التّرابط الفاعل بين دول العالم وهذه التّداخلات الكبيرة والعلاقات الوثيقة لها أصبح من المستحيل أنْ تكون هنالك دولة منعزلة عن الدّور العالمي الجديد ألا وهو الغزو العولمي، ولكن بنسب متفاوتة إذ من الممكن أن يؤثر قرار داخلي أو خارجي في السّياق الدّولي في حدوث زلازل سياسية في مناطق أخرى من العالم وقد ينشر الأمان والاستقرار في دول أخرى.

فالفهم الخاص عند تحليل العولمة يتمخض عن عناصر مشتركة مؤثرة بشكل كبير في العالم على سياسة الدّاخل والخارج في مناطق مختلفة منه، كما يمكن لمس ذلك في أواخر القرن العشرين، إذ كانت حرب الخليج الثّانية ذات إفراز كبير على مستوى العالم، في مجالاته السّياسية والاقتصادية والثّقافية، مما جعل أيَّ تغير أو تحول في أيِّ جزء تتمخض عنه مشاكل وتحولات خطيرة في الأجزاء الأخرى.

[١٧] – مهدي ساماني، الدّين وعملية العولمة: تر: عبد الكريم الجنابي، دار المصطفى العالمية، ط١، ايران، ١٤٣٠هـ: ٥٤.

فيمكن النّظر إلى العولمة بأنَّها السّاعي إلى تكوين مجتمع عالمي موحد تكون فيه الرّوابط موحدة على جميع الإختلافات والإنتماءات العرقية والكل خاضع إلى مؤثر واحد عن طريق زيادة فهم الإرتباط ودرجات الوعي بين المجتمع العالمي، وذلك عن طريق تلاشي الفكر المركزي والقيم المركزية كافة، التي كانت مهيمنة ومن خلالها يتميز مجتمع أو فئة ما عن المجتمعات أو الفئات الآخرى، وهنا ستكون الأحداث المحلية متداولة على مستوى عالمي، كونها تعبر عن الإرتباط الكلّي لسكان العالم.

وكان إهتمام العولمة في المجال السّياسي مثيراً جداً فهي تدعو إلى نمو التّنوع في العلاقات النّاتجة عن تقدم الإجراءات السّياسية العالمية مع المصالح الوطنية والقومية، مؤكدة بذلك تسيد التّوجه المفروض في العالم للقوى الرّأسمالية، فالتّرابطات هي التي توجه المصالح بين الدّول وأنَّ التّنامي بين هذه التّرابطات له إهتمامات داخلية واسعة على المستوى العالمي، لذلك كانت مهمة ومؤثرة في سياسة العالم.

ويمكن النّظر إلى العولمة "على أنَّها أمركة كما يعرفها فريدمان بأنَّها الولايات المتحدة الأمريكية"[١٨] أو كما تم التّعبير عنها بأنَّها أمركة العالم من خلال نسخ القيم والثّقافة الأمريكية على جميع العالم وذلك يتم بواسطة "اجتياح الثّقافة الأمريكية للعالم المعاصر بما فيه أوربا"[١٩] فأميركا تسعى إلى استراتيجيات سياسية، تؤدي إلى الإستغلال في الموارد المسموحة في العالم أجمع، فهي كي تسيطر على هذه الموارد ركزت على بث سياسة خاصة وهي يجب أنْ يكون العالم متأمركاً، وكون العولمة معتمدة إعتماداً وثيقاً على مجموعة مهمة من الأدوات في تسويق الأمركة، وغالباً ما تكون مرتبطة بالصّناعة والتّقنية التّكنولوجية الحديثة، وكل هذه التّقنيات مسيطر عليها من قبل أميركا، كما تيسطر على مجموعات كبيرة ومهمة من المؤسسات الدّولية المؤثرة في العالم، عن طريق استضافة المقرات الرّئيسة لهذه المؤسسات على أراضيها، مما يتيح لها الهيمنة على القرارات وجعلها

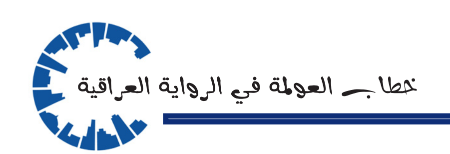
[١٨] – اندرو باسيفيتش، الامبراطورية الأمريكية: الدّار العربية للعلوم ناشرون، تر: الدار، ط١، لبنان، ٢٠٠٤م: ٦١.

[١٩] – حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: مصدر سابق: ١٨٨.



قرارات منصبة في الصّالح العام الأمريكي أو في صالح من يشتركون معها، كما يتيح لها ذلك أنْ ترفض أيَّ قرارات أو مشاريع تصب في خدمة الدّول النّامية وغير المتحالفة معها؛ لأنَّ المؤسسات العالمية لها قرار فاعل وقوانين متسيدة بشكل كبير حتى على القوانين والقرارات المحلية، مما سمح بتمكين الشّرعية لأمريكا للتّدخل في كل ما هو داخلي من شؤون وسياسة وحقوق للأقليات في الدّول، أو من خلال ترهات وهرطقة مثل الحفاظ على السّلم والأمن العالمي الذي لم نلمسه منذ عام ١٩٤٨م وإلى الآن.

فملخص الأمر أنَّ أميركا تسعى إلى التّسيد العالمي في المجالات كافة عن طريق أدواتها الخاصة بها وهي الإعلانات الموجهة، والسّينما النّاشرة للطّابع الأمريكي التي تجعل من الأمريكي بطلاً لا يقاوم، وما يمتلكه من تكنولوجيا تفوق تكنولوجيا دول في بعض الأحايين، ويجب أنْ يكون منتصراً دائماً، وكذلك من خلال بث الأشكال الموسيقية، لتسوقها جميعاً كمفاهيم ثقافية على الجميع أنْ يقتدي بها، فهي المسيطر على الذّوق العالمي والمعايير التي يقاس بها كل شيء، من الجمال والرّاحة والفن



والإبداع والأدب والحرية وغيرها.. فهي المقياس بين كل ما هو محلي وعالمي وكل ما هو عالمي وأكثر عالمية.

ويتم تركيز هذا الخطاب على فئة مهمة من المجتمعات ألا وهي فئة الشّباب إذ تسعى أمريكا إلى محاكاة الشّباب وتثقيفهم على أنماط وقيم ومعايير أمريكية بحتة.

فأمريكا كانت تعمل على ذلك منذ بدايات القرن العشرين من خلال تمركزها على الخارطة السّياسية والاقتصادية الدّولية، وفرض نفسها على كل القوى العظمى صاحبة التّأثير العالمي ليُعترف بها ككيان عالمي متسلط إذ "إنَّ الولايات المتحدة هي بنظر البعض -لاسيما منتسبي النّخب الأمريكية في ميادين الأعمال، والفكر، والبحث الأكاديمي، والإعلام -الدّولة الحضارية لحضارة جديدة وكونية- الحضارة الكوكبية الجديدة"[٢٠]، لذا نراها ساعية كي تُدخل نفسها في الحروب العالمية الأولى والثّانية وتَدخل القارة

---

[٢٠] – بيتر جي كاتزنشتاين، الحضارات في السّياسة العالمية: تر: فاضل جنكر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٢م: ١١١.



الأوربية كمساعد ومناصر لمن كان متحالفاً معها، مما يجعلها تفرض سيطرتها على الاقتصاد والسّياسة وتوزيع السّوق العالمي وكذلك تأمين مصالهحا الحيوية في العالم[21].

إنَّ استخدام أمريكا للتّقنيات العسكرية الحديثة هو ما جعلها تتفوق على دول كثيرة في العالم تحقيقاً لمكاسبها السّياسة من خلال تدخلاتها العسكرية والتّقنية التّكنولوجية فقد "احتفى بوش الأب بحقيقة أنَّه في كثير من بقاع العالم تغلبت تكنلوجيا المعلومات على الاستبداد مثبتة أنَّ عصر المعلومات يمكن أنْ يكون عصر التّحرر"[22] فهذه التّقنيات العسكرية الحديثة التي تعتمد على المعلومات استخدمتها أمريكا في مختلف حروبها كما في حرب الخليج الثّانية وكذلك حربها ضد يوغسلافيا، وآخرها الحرب ضد العراق في عام ٢٠٠٣م، وما ساعد على تلك الإنتصارات هو الإعلام الذي

---

[21] – ينظر: كاظم حبيب، العولمة من منظور مختلف: دار الشّؤون الثّقافية العامة، ج١، ط١، بغداد، ٢٠٠٥م: ٧١.

[22] – اندرو باسيفيتش، الامبراطورية الأمريكية: مصدر سابق: ١٠١.



يغطي البث المباشر لتلك الحروب، وهذا ما جعلها الدّولة التي لا تقهر في نظر العديد من دول العالم، ويجب الإذعان لها وقبولها كقوة عسكرية مهمة على الخارطة الدّولية الجديدة، وهذا ساعد أمريكا في فرض السّيطرة التّامة على الاقتصاد العالمي والأسواق الحرة من خلال ما اتفق عليه من سياسة التّعريفة الجمركية.

وهذا جعل من أمريكا المسيطر على الجمهور والهوية القومية والمحلية لأيِّ شعب، ومحوها كما تريد لتحل بدلاً عنها هويتها الأمريكية المتزينة بهالة أو بفكرة الهوية العالمية الواحدة لكل المجتمعات.

وقد يتداخل مفهوما العولمة والإمبريالية* في مفهوم السّياسة بسبب الدّور الذي أدته سياسة أمريكا في المجال السّياسي والاقتصادي على المجتمعات والبلدان في العالم الثّالث، أو ما يمكن أنْ نطلق عليه عولمياً

---

* يقصد بها السّياسة العدوانية لدولة تجاه أخرى وتتسم هذه السّياسة بعدم المسؤولية ثم ارتبطت الإمبريالية بالتّوسع العدواني لدول المركز. ينظر: اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة: كتاب الكتروني، www.kotobarabia.com : ٦٢.

دول الجنوب عن طريق التّدخلات الواضحة في السياسة الدّاخلية للدّول والرّفض لنتائج الإنتخابات ودعمها لأنظمة تعاني منها الشّعوب وقد تسمى في الدّول النّامية بالاستعمار الحديث، فالعولمة هي الشّكل الجديد للاستعمار لكن بحلته المتأنقة القائمة على المفاهيم والقيم الأمريكية والغربية، فأصبحت عند القوميين والأصوليين في دول العالم الثّالث هي الخدعة الإمبريالية المصنوعة في أمريكا الموضوعة للتّدخل في كل ما هو داخلي للدّول وتسعى إلى تغير في مفاهيم هذه الدّول ونسفها من خصوصيات الأيديولوجيا، ومعتقداتها الدّينية وكل ما هو محلي، وتسيد ثقافة الأمركة عليها.

لقد كانت التّطورات التّقنية والتّكنولوجية الهائلة من الإتصالات السّريعة والشّبكة العنكبويتية والتّقنيات الرّقمية الصّورية، تحقق تحولاً كبيراً في الحياة إذ أصبح كلُّ شيءٍ مشاعاً ومباحاً للجميع، وبسعر مناسب كما قامت هذه التّقنيات بتسهيل تحركات الأفراد وإلغاء الحدود بين البلدان، عن طريق اختزالها لمفهومي الزّمان والمكان مما سهل الانتقال بشكل أوسع، وساعدت في عمليتي التّأثير والتّأثر بين الشّعوب والمجتمعات.

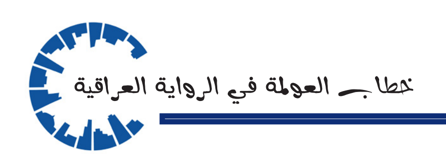


"إن ما جعل مجتمعنا يعتمد على التّلفاز لافتاً للنظر لم يكن محتوى البرامج وإنما طريقة إلقائها بالوسيلة وهي الرّسالة، وما نلاحظه هو الصّيغة الفورية والوجود الكلي للأخبار التي يوفرها التّلفاز، إلا أنَّ مجال التّلفاز كان يعني أنَّه استطاع أنْ يتضمن العالم بأسره، من ثم .... كنا منذ اللّحظة ندخل عهد القرية الكونية العولمية"[٢٣].

وكان لكثرة الإقبال على التّكنولوجيا والإندماج المتسارع بينها وبين الأفراد وإشاعة البث الفضائي الذي استطاع الولوج إلى كل بيت أو لكل غرفة وبلا مراقبة وما يبث فيه من مسلسلات وأخبار وبرامج غالباً ما تكون موجهة ثقافياً وذات طابع قيمي معياري يركز الفكرة القائلة بأن أمريكا هي الأول- هي الأفضل – هي الحلم.

لقد تغيرت المفاهيم عند الإنسانية أجمع بسبب التّطورات التّقنية والعلمية والمعرفية فضلاً عن وسائل الإتصال الحديثة والمجتمعات

[٢٣] – مايك كرانغ : الجغرافية الثّقافية، تر: سعيد منتاق، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٥م: ١٢٨.



الإلكترونية وهي من أهم مقومات العولمة كما ذكر ذلك (ماك لوهان) في كتابه (استكشافات في عوالم الاتصال) مفهوم القرية الكونية وكذلك ما أكده وزير الدّاخلية العشرون لأمريكا كوهين الوزير الأمريكي بقوله: "إنَّ التّكنولوجيا تصغر الكرة الأرضية"[٢٤] فلم يعد هناك مكان بعيد ومكان قريب على الكرة الأرضية، بسبب هذه التّقنيات التي تؤدي إلى خلق ثقافة جديدة تقود العالم إلى حرية الحركة وعدم التّقيّد.

حتى إنَّ هذه التّقنيات استخدمت ضد العولمة نفسها كما جرى في الاحتجاجات التي طالبت بتغير السّياسات المرتبطة لمنظمة التّجارة العالمية، وكذلك الاحتجاجات التي أثيرت ضد إحتلال العراق ٢٠٠٣م من قبل أمريكا، كان صوت هذه الإحتجاجات كلها مسموعاً بفضل التّقنيات الحديثة من الشّبكة العنكبويتية ووسائل الإعلام والفضائيات وغيرها.

---

[٢٤] – اندرو باسبفيتش، الامبراطورية الأمريكية: ٥٧ .



أصبحت هذه التّقنيات تشكل وعياً عالمياً جديداً مرتبطاً بالصّورة إذ "إنَّ الصّورة وتكنولوجيا الإعلام تحدث تغيراً سريعاً في التّكوين الأخلاقي والثّقافي وتختصر الزّمان والمكان"[٢٥]؛ لأنَّ الصّورة تؤثر وتنقل الأحاسيس أكثر من الكلمات.

لكن لغايات الإيجاز يمكن القول إنَّ العولمة هي العملية الكلّية المستمرة التي تكتسب من خلالها العلاقات السّياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثّقافية، والتّكنولوجية، سمات مجردة عن المسافات، والحدود الطّبيعية أو المصطنعة؛ إذ أصبح البشر يعيشون في هذا العالم، باعتباره مكاناً منفرداً وواحداً شديد التّرابط، حيث يكون تأثير الأحداث والظّواهر، أو مكان حدوث هذه العلاقات والظّواهر في العالم مهما كانت نوعيتها، متزايداً وبشكل متسارع جداً.

[٢٥] – حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: ١٩٣.

لأنّ الزّمان والمكان في طور الانهيار، وإعادة التّشكيل. وأفكارنا القديمة عن المكان الجغرافي والتّاريخ الزّمني والبِنى الاجتماعية المختلفة تنسفها الآن سرعة الاتصالات الحديثة ووسائل الإعلام، ونشهد اليوم، أكثر من أي وقت مضى، بروز أمشاج من أنساق وثقافة وهوية عالمية، تتشابه فيها المناطق المدنية تقريباً وتجمع عالمنا المعاصر، وينبثق معظمها من الانشغالات والهموم والمخاوف العامة المتخطية للحدود الوطنية للبشر.

كل هذه التّقنيات والأدوات جعلت من "العولمة ثورة تحطيم الحدود وتبني شبكات جديدة بين الأمم والافراد"[٢٦] وهذا التّوجه أصبح عالمياً يفرض من قبل القوى الرّأسمالية العالمية من أجل السّيطرة الكلّية على السّوق العالمي وهي بهذا تحصل على الغلبة في المجالات الاقتصادية والسّياسية ومرونة تحرك رؤوس الأموال، وهذا فعلي؛ لأنَّ مصطلح العولمة برز بادئ الأمر في مجالي الاقتصاد والمال، بعد ذلك أخذ المصطلح ومن خلال نسقه المتداخل والمتعدد بتجاور المجالات الأخرى ومصطلحاتها ليكون شمولياً

[٢٦] – اندرو باسبفيتش، الامبراطورية الأمريكية: ٥٨.



على كل المجالات. لكن هذا الشّمول وفي صيغته الجديدة تحت ظل العولمة أصبح المحور الأساس والمؤثر في الحياة فقد سعت العولمة إلى "تداعي الحدود الجغرافية والنّظم الاجتماعية والثّقافية وإلى اتساع المعرفة "[٢٧] كي يتحول العالم من خندق التّصارع إلى خندق أكثر ألفة وهو التّجانس من خلال وعي إنساني موحد يعتمد على الحقوق المتبادلة وهذا ما تشيعه الدّول الغربية وأمريكا.

وبعد عرض اغلب التعريفات للعولمة يمكننا ان نعرفها بانها صهر واندماج الكلي مع الجزئي وتصغير العالم من الناحية المكانية والزمانية، فالعولمة هي تحول الكلية الكبرى الى الخصوصية الصغرى عن طريق كل شيء، مع توفر أو وجود نسب متقاربة أو متساوية من الامكانات للجميع وبسبب عدم تساوي الامكانات تعد فكرة العولمة غزواً وسيطرة واحتلالاً.

[٢٧] – مهدي ساماني، الدّين وعملية العولمة: ٥٤.



مما سبق يتضح لنا أنَّ مفهوم العولمة هو مفهوم سائل ومائع إنْ لم يكنْ غازياً فلا نستطيع أنْ نحده بشيء ولكننا نجده في كل شيء إنْ فكرنا به، ولكن من خلال المفاهيم العامة للعولمة نستطيع الوقوف على أرض صلبة نوعاً ما كي نجري بعض التّحليلات المهمة والتّي تخدم هذه الدّراسة.

الفصل الأول

أثر العولمة في السّرد الرّوائي

- المبحث الأول: اللا-توطين وإلغاء الهوية المحلية في الرّواية.
- المبحث الثّاني: العولمة التّكنولوجية وتسويق المنتج السّردي.



- أثر العولمة في السّرد الرّوائي:

بعد توضيح مفهوم العولمة وآلياته وأسسه فيما سبق، تطلب الأمر في هذا الفصل تتبع أثر العولمة في والسّرد الرّوائي. لاستقراء واستقصاء مظاهر الإبداع العالمي بالشّكل الذي روجت له العولمة على وفق تأويلات فكرية وشكلية مركبة ومتعالقة للكشف عن فاعليتها وآلياتها ووظائفها في الإطار التّطبيقي داخل مجال السّرد.

فقد تعرضت الرّواية خلال خطها التّاريخي إلى تغيرات مستمرة، شكلت منعطفات مهمة عصفت برواسخ نسقية ناتجة عن التّحول الفكري والتّنوع الثّقافي والتّواصل بين الشّعوب. كما أحدثت الإشكاليات المعرفية والآليات التي أثارتها العولمة دفعاً إضافياً لتأسيس أنساقٍ جديدة تعيد إنتاج معاييرها وأنظمة بنائها لإحداث تحولات أكثر جرأة يستمد منها السّرد حضوراً له دلالات ثقافية وخطابية يمكن فهمها من خلال علاقتها بالسّياق الثّقافي العالمي من جهة، والهوية الخاصة بالرّوائي من جهة أخرى، والذّي يتلاءم

مع أساسيات الثّقافة الجمعية بعدّها ضرورة من ضرورات العولمة. التي تقدم مقترحات تساعد في تغيير المسار وتغيير بعض المواقف الفكرية.

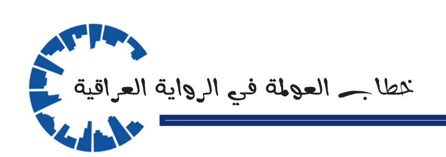
وفي خضم التّطورات التّكنولوجية والرّقمية والوسائل الإتصالية وشبكاتها فائقة التّوصيل وبالغة التّعقيد، ظهر فضاءٌ كونيٌ متمثلٌ بالإنترنت والفضائيات استثمر تلك التّقنيات تبعاً لحقول استخداماتها. وأسهم في تحقيق حلم العولمة بإيجاد عالم بلا مركز ولا حدود، يدفع نحو صنع منظومة عالمية مشتركة تمثل نتاج الفكر المنبثق من كل الثّقافات. وتساعد على إحداث تغييرات كفيلة بإنفتاح الرّواية تحت ظل العولمة، بين حقول معرفية متباينة ومعقدة لمواكبة النّظام العالمي التّداولي المعاصر.

ووفق ذلك التّداخل المعرفي تثير الأفكار الجديدة بعض التّناقضات المتمثلة بإشكاليات الأصالة والتّفرد، والهوية القومية، والتّغريب، ومدى التّأثير والتّأثر على الأساليب السّردية في العالم. فضلاً عن محاولة تحقيق مشروع تنميط ثقافي كوني تتلاقى فيه خلاصة توجهات العولمة.



ويحقق توحيداً ونشراً لمصطلحات جديدة واكبت طروحات العصر الجديد كالتّعددية الثّقافية، والأممية، والكونية، والأثيرية وغيرها. وكل هذه المسميات ترتبط بمعنى واحد مفسر لمعنى العولمة ألا وهو (التّهجين Hybridity)* والذّي يمثل خليطاً من المحلية والعالمية، والفردية والشّمولية.

* نشأ مفهوم التّهجين في الدّراسات الأدبية في فترة ما بعد الاستعمار لا سيما في أعمال هومي بهابها، ويتصل التّهجين في دراسات العولمة بجان نيدرفين بيترس، وقد استخدم ليصف انهيار ثنائية العالمي/ المحلي وليشير الى مجموعة من نتائج العمليات العالمية المتشابهة. ينظر: انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية، تر: اسيا دسوقي، مر: سمير كرم، زينب ساق اللّه، الشّبكة العربية للأبحاث والنّشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٠٩.



- المبحث الأول:

اللا–توطين وإلغاء الهوية المحلية في الرّواية:

تشير العولمة إلى حالة من التّمازج والتّرابط، في العلاقات الاجتماعية والثّقافية، عبر غياب الحدود الجغرافية التي تمثل الفاصل بين تنوع الثّقافات، وخصوصياتها المُشكِلة لها عبر خصوصية المكان الذي تنتمي إليه ثقافة ما، عبر سلسلة من التّمفصلات السّياسية والاجتماعية وحتى الدّينية واللّغوية والتّي كانت بدورها تشكل المحور الأساس أو المرجع المؤثر في بناء المفاهيم والقيم الثّقافية الـ(ما قبل العولمية)، والتّي نجد إنعكاسها المباشر في مخرجات الإنسان وآثاره التي غالباً ما تركزت في تركته الإبداعية وما احتوته على مجموعة كبيرة من الخصوصيات المكانية والزّمانية، وما ارتبط بهما من عوالق بيئية ودينية واجتماعية نجدها تركزت في اختيار الموضوعات والتّقنيات لمعالجة النّتاجات الرّوائية، وحتى



الشّخصيات والملامح الفكرية، التي لا يمكن أنْ ترتبط بغيرها من الثّقافات المجاورة لها.

ومع خصوصيات الرّواية وإمكانيات تشخيص سماتها المميزة لها عن غيرها من الآداب الأخرى لحضارات العالم المتعددة، وطرائق إنتاجها وتقنيات إخراجها ومواضيعها، على الرّغم من التّلاقحات الفكرية والعمليات التّطويرية التي رافقت العديد من حركات الهجرة السّكانية وانضمام شعوب ومناطق تحت سيطرة قيادات دول أخرى، وفرض أنظمة فكرية قسرية للقوى المسيطرة على المغلوبة، بقيت ملامح وسمات الثّقافة والآداب والفن ترتبط بخصوصياتها البيئية والمكانية والزّمانية عن غيرها أو عن الفكر المفروض قسراً لفترة طويلة من الزّمن[٢٨].

فقد قسمت الآداب والملامح الفكرية لحضارات العالم إلى اتجاهات متنوعة، ارتبطت بقيام الحضارات والحكومات التي تميزت كل واحدة

---

٢٨ – ينظر: روبين جورج كولنجوود: مبادئ الفن، تر: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م: ٢١٢.



منها عن الأخرى تبعاً لأنماط مختلفة. وإنْ كانت الحضارات السّابقة وكما مر ذكره في التّعريف بمفهوم العولمة وجذورها وتفرعاتها الثّقافية، إذ تسهم على بث المفهوم في مختلف الحقول المعرفية (السّياسية والاقتصادية والثّقافية والأدبية). إلا أنَّ جذورها تمتد في تاريخ الحياة البشرية، لذا فإننا نجد أنَّ الحضارات السّابقة أخذت في استحداث أساليبها الخاصة في تقنيات التّعبير عن مضمونها الحضاري وبنائها الفكري الذّي تجسد في أغلب تلك النّتاجات انتشاراً في الوقت الحالي وهو الرّواية، فإنَّها لم تعمد إلى تعميم تلك الأساليب في التّعبير الفني عن المضمون الحضاري للحضارات الأخرى لذا نجد أنَّ لكل حضارة سمتها الخاصة في اعتماد أسلوب وطريقة مخصصة في الإخراج الفني للنّتاجات الرّوائية. فالنّتاجات الأدبية العراقية لم تعمم كاتجاهات أدبية لمناطق متنوعة من العالم على الرّغم من اتساع نفوذ المنتجات الإبداعية للعرب سابقاً، بل بالعكس كلما ازدادت التّداخلات الجغرافية للفكر المحلي أخذ النّتاج الفني الإبداعي بالإنزياح عن الإتجاه السّائد إلى أنماط أسلوبية جديدة تميل إلى التّحول والتّغير. كما أنَّ الحضارة الإسلامية قد تكون من أكبر

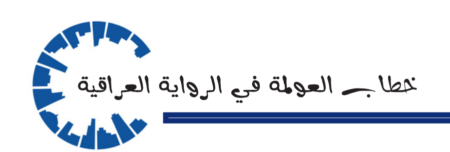


الحضارات إنتشاراً وسيطرة على الأراضي التي امتدت بين الشّرق الأقصى والغرب الأوربي، وكانت ذات طابع خاص في الأدب الذي عمم على طول تفرع الإمبراطورية الإسلامية وحكم الحكام المسلمين، الذّين أخذوا في إعتماد منهج منضبط متمثل بفنون الشّعر والخطابة والقصص التي اعتمدت الخيال والواقعية.

أعتقد أنْ تجاربهم أو الإتجاه الذي يعبرون من خلاله عن الحياة من نوع تجارب الأشخاص الذّين يأملون العثور على جمهور متذوق من بينهم، ولو كونوا من أنفسهم مجموعة مخصصة لكان معنى هذا أنْ تصبح الانفعالات التي يعبرون عنها هي انفعالات هذه المجموعة، وسوف تكون عاقبة ذلك هي اقتصار فهم نتاجهم على زملائهم الرّوائيين أو النّخبويين فقط، وهذا في الواقع هو ما جرى إلى حد كبير خلال القرن التّاسع عشر عندما بلغ الرّوائي عن باقي البشر ذروته[٢٩].

---

٢٩ – ينظر: روبين جورج كولنجوود: مبادئ الفن: ٢١٢.



وعلى ذلك المبدأ فقد اختص أدب الرّواية في مختلف العصور بعدّه أدباً يبحث عن إيجاد الخصوصية المحلية التي تؤطر الفكر المتداول في تلك المنطقة من دون سواها فقد اعتمدت (الرّوايات) هذه الميزة على مختلف تنوعاتها وتشعب أساليبها وتقنيات أدائها، وهي تشير إلى عالم روائي في الغالب من دون سواه بعدّه من الآداب التي ترتبط بمجتمعاتها، وتعبر عن أفكارها وأهدافها، وعلاقتها بالفرد داخل المجتمع علاقة تفاعلية ترابطية. فضلاً عن ديمومة الآثار الأدبية وإرتباطها بالمكان بشكل خاص وبعدّ الشّخصيات المكونة للشّكل الأدبي ذات إرتباطات بيئية؛ لأن (الإنسان ابن بيئته).

وبعد الإعلان عن سقوط جدار برلين وسقوط الخندق الشّيوعي. جاءت ثقافة العولمة بأدواتها التي تتجلى طروحاتها على مبدأ نهاية الحدود بين الدّول، وانفتاح المبادلات التّجارية والثّقافية، بالتّأكيد على إمكانات تجاوز الجغرافيا ونهايتها إذا صح التّعبير، وسرعة تداول المعلومة والخبر. إذ كانت مقتضيات "انتقال الخبر مشدوداً إلى المسافة المكانية ومرهونا



بتضاريسها في القرن التّاسع عشر، ومن الأمثلة التي نضربها استغراق انتقال خبر موت نابليون من جزيرة (سانت هيلانة) إلى باريس ستة أشهر. وفي القرن الثّاني عشر، استغرق انتقال خبر موت ابن تومرت، مؤسس دولة الموحدين، حوالي ثلاث سنوات ليعبر المسافة بين قرية (إيلغ) ومدينة (فاس). بينما الخبر اليوم يتم تتبعه مباشرة، ويعبر الأرض بأكملها في أقل من دقيقة"[٣٠]. والذّي ساعد عليه تطور تكنولوجيا المعلومات وتقنيات الإتصال والتّي تشمل الهواتف النّقالة والفضائيات والإنترنت وغيرها.

واللا-توطين يشير إلى المعنى المتعلق باللا-وطن أي فقدان الإحساس بالإنتماء للوطن (المكان) الطّبيعي الرّابط بين الثّقافة الفردية أو الجماعية وبين المكان الذي تتداول فيه هذه الثّقافة، حتى يصار إلى جدل في التّعبير عن علاقة الفرد بالمكان أو إشارة للدّلالة عن المكان، وينشأ بهذا المعنى نوع من الاغتراب بين الفرد وثقافته، فمثلاً يشار إلى أفلاطون أنّه

---

٣٠ - الطّيب بو عزة، المثاقفة في زمن نهاية الجغرافيا، صحيفة العرب القطرية، عدد ٧٥٣٣، ٢٠٠٩/١/٢٦. www.alarab.com.qa



"رجل مغترب عن المجتمع الأثيني وعن سياسات وأخلاقيات عصره"[٣١]. نفهم أنَّ اللا- توطين حالة من حالات عدم التّمازج بين المكان والمحتوى الثّقافي الذي يتداول فيه. وظاهرياً فالنّاس في أغلب المناطق يمتلكون أماكنهم وإرتباطهم بالمكان هو إرتباط مباشر، إلا أنَّ هذا الارتباط يأخذ في الإنحسار من الفردي إلى الجماعي العام وتتقلص المساحات المتاحة أمام الحرية الشّخصية والفردية لتتداخل مع الآخر ويكون الآخر على تماس مع المساحة الذّاتية للفرد.

وعلى وفق تلك التّوجهات ظهر مصطلح اللا-توطين الذي يشير إلى فقدان العلاقة بين الثّقافة والأدب وإقليمهما الجغرافي في محاولة لتلاشي الخط الفاصل بين الهوية المحلية والتّنميط الكوني. ليأخذ العمل الأدبي توجهات تساعد في التّرويج لخطاب عالمي حتى ولو كان يعبر عن قضية محلية. وعليه لم يعد المكان مرتبطاً بالهوية والمحلية، فأيّ شيء بمجرد

٣١ - علي محمد اليوسف، سيسيولوجيا الاغتراب: قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد، ٢٠١١م: ٥٦.



دخوله بين ماكنة الأدب والمنظومة الرّقمية، يتحول إلى مشهد عالمي في مجتمع دولي بلا جغرافيا وفق سياقات التّنميط الكوني بتوظيف الشّاشة والوسائل الإشهارية الأخرى.

فالنّص الرّوائي العراقي يعيش حالة اللا-توطين وقد أدت ظروف الغربة التي يعيشها المغتربون العراقيون، شعراء وكتاب قصة أو رواية، مبدعون في مجالات الأدب والفن الأخرى جميعها، إلى تكوين رؤية جديدة لديهم، خاصة بالنّسبة لمفهوم اللا-توطين.

ففي الوقت الذي كان فيه الوطن رمزاً يدعو إلى الدّفاع عنه والاستشهاد من دونه، نراه في النّصوص الحديثة وخاصة الرّوائية برؤية جديدة، رؤية تناقض تماماً الرّؤية القديمة، خاصة وأنَّها تعبر عن تصدع لمفهوم الوطن؛ وقد اختل مفهوم الوطن لديهم بهذا الشّكل، نتيجة لوقوعهم تحت رحمة النّفي وشعور الغربة التي يعيشونها. " ومن الحق أن توصف حال المنفي بأنَّها (شقاء أخلاقي) دائم، فالمنفي هو من اقتلع من المكان



الذي ولد فيه، لسبب ما، وأخفق في مد جسور الاندماج مع المكان الذي أصبح فيه، فحياته متوترة ومصيره ملتبس، وهو يتآكل باستمرار... فالمنفي ينطوي على ذات ممزقة لاسبيل إلى إعادة تشكيلها في كينونة منسجمة مع نفسها و مع العالم"[٣٢].

فبطل رواية (كلنا في إجازة من الموت) لـ(علي عبد العال)، يقول: " أنا انسان مختلف الآن ! لابد للإنسان المنفي أن يكون مختلفا عن بقية الناس الاعتياديين ولو قليلا، فكيف إذا كان مريضا نفسيا، ويقع فريسة سهلة لكآبة مزمنة"[٣٣].

---

٣٢ – عبد الله إبراهيم: السّرد والاعتراف والهوية، المؤسسة المركزية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١: ١٤.

٣٣ – علي عبد العال: كلنا في إجازة من الموت، نص روائي قصير، موقع الرّوائي: www.alrowaee.com



ثم يقول بعد تداعيات في الوعي تعرض لها: " ينضج الناس بصورة طبيعية كما الفاكهة التي تنضج بأرضها وتحت شمسها، إلا الإنسان المنفي فهو يبقى مرا لاذع الطعم كحنظل البراري"[٣٤].

واللا-توطين في حالته المعاصرة يكرس عجزاً عن الانتماء، فاللا-توطين موزع بين عالمين يتجاذبانه، عالم الطفولة وما يصاحبه من ذكريات تلح عليه باستمرار، وبين عالمه الجديد -المنفى- الذي انتقل إليه. وحتى السّنوات الطّوال التي يعيشها في هذا المكان، لم تساعده في الوصول إلى حالة الاستقرار والهدوء التي ينشدها "ذات يوم وبعد سنوات طويلة وكثيرة كان معروف يمشي من دون هدف، كأي كائن غريب منفي عن جذوره. كان كئيبا إلى حد مفزع"[٣٥].

---

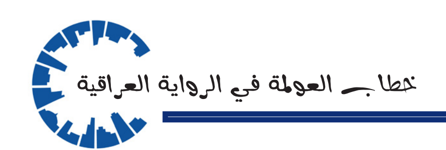
٣٤ – علي عبد العال: كلنا في إجازة من الموت، نص روائي قصير، موقع الرّوائي: www.alrowaee.com

٣٥ – م. ن.



ومع إنحسار مساحات الفرد الذّاتية لصالح المساحات الجماعية عبر الإنخراط داخل المنظومات المدنية التي أخذت في تأسيس الأطر العامة للحياة عبر شراكات في المؤسسات، فضلاً عن التّقارب والمشاركة في السّكن عبر فواصل خطية لا تتجاوز القدم، ازداد في هذه الحياة المدنية تقلص المساحات الفردية لصالح تداخلات نفسية واجتماعية بإزدياد تطور المدينة وإنزياحها نحو استقطاب الآخر.

وعلى هذا المبدأ وظفت المؤسسات المتعددة الجنسيات الرّاعية للثّقافات، مفهوم اللاتوطين للتّخلي عن جغرافيتها وهويتها بتماهي الحدود المكانية والزّمانية. وصارت قوتها تكمن في البحث عن منافذ جديدة في مناطق أخرى من العالم. في إمكانية لإيجاد بيئات شاملة يتم فيها التّرويج لتنميط أدبي وهيكلة خطابات ثقافية الغاية منها فتح خطوط إنتاجية جديدة وتحقيق أهداف مضمرة.



هذا السّياق انعكس على "أصحاب المزادات والمعارض الأدبية التي صارت تبحث عن مقتني للأعمال الأدبية ومستثمرين من الصّين والهند ودبي"[٣٦]، وغيرها من البلدان التي تريد أنْ تحدد لها موقعاً في الخارطة الرّقمية الجديدة. كما أصبح أدب الرّواية من المرتكزات المؤثرة التي تشكل حضوراً متميزاً داخل العالم الثّقافي الكوني، وصارت البلدان التي تمتلك عملاً روائياً شاخصاً ومعروفاً على المستوى العالمي هي دولة لها موقعها في زمن العولمة الثّقافية والأدبية بغض النّظر عن تاريخها السّابق ومكانها الجغرافي. كما لم تقتصر دور النّشر ومعارض الكتاب والجوائز الأدبية مع العولمة على وجودها في أميركا وفرنسا باعتبارها القطب الأوحد، لتعطي املاءاتها إلى العالم الأدبي. بل انتشرت في كل بلدان العالم وأسهمت في إقامة المهرجانات واستضافة الرّوائيين من كل الجنسيات. لتكون تلك الأنشطة أنظمة معيارية مهمة لوضع المجتمعات ضمن خارطة التّمدن في عالم بلا حدود ولا مركز

---

٣٦ -http://edition.cnn.com Manav Tanneeru, confront new era, ٢/٤/٢٠٠٧.



ولا جغرافيا ولا تاريخ. فضلاً عن تحقيق مكانة دولية مهمة تجلب السّياح وجمهور النّخبة.

وإزاء ذلك تكون الشّبكة العنكبويتية هي المساحة الأثيرية الفاعلة في اختراق وإلغاء تضاريس الجغرافيا، ليكون تفرعاً تكميلياً للعالم الواقعي. وبهذا يساعد الرّوائي على التّرويج لأعماله. ويكون مصدراً مهماً لاطلاع الرّوائيين على تجارب الآخرين في أيِّ مكان دون تكبد عناء السّفر. وبالمقابل صار بإمكان المتصفح (القارئ) أنْ يدخل سوق الأدب متى شاء ومن أيِّ مكان لاقتناء الأعمال الفنية الأدبية. وبإمكانه أيضاً أنْ يسافر إلى أية دولة ليرى الأعمال الأدبية للأدباء وآخر معارضهم لتوقيع الكتب ومشاريعهم المستقبلية، وهو جالسٌ على أريكته في المنزل.

وبحكم عوامل إنمحاء الجغرافيا وتلاشي الحدود وتشييد هذا الكم الهائل من معارض الكتب في العالم. حاول القائمون على معارض الكتب اليوم، البحث عن سبل جديدة لجذب جمهور التّلقي المختلف الجنسيات إلى



معارضها. "من خلال وضع معارض الكتب على خارطة العالم الكوني. وهذا لن يتم إلا بتحقيق الإشهار عن طريق عمل برامج تتلاءم مع أساليب الحياة الاجتماعية المعاصرة كإقامة عروض أدائية [٣٧]مباشرة، أو تنظم مسابقة عن طريق الشّبكة العنكبويتة، أو إضافة تصميم بنائي جديد مصمم من قبل معماري شهير لخلق ضجة إعلامية"[٣٨].

ومما تقدم يمكن القول إنَّ العالم في زمن العولمة هو مختلف اعلامياً حتى من خلال الاشهار إذ "يقسم إلى دول عالم أول، وثان، وثالثّ. لقد فرضت المتغيرات الجذرية في وسائل الإتصالات، وإنتشار الشّبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت)، والتّداخلات الثّقافية الهائلة الحاصلة على صعيد الكرة الأرضية طرائق تفكير وتحليل مغايرة تماماً، تمتاز بالمرونة

---

٣٧ – Porter Anderson, American go 'full tilt', November ٢٩, ٢٠٠٦. www.cnn.com

٣٨ – م. ن.





والشّمولية وعدم الالتزام بالمحددات الأكاديمية التّقليدية"[٣٩]، مما سبق ينتج لدينا موت التّاريخ ونهاية الجغرافيا(اللا– توطين).

- إلغاء الهوية المحلية في الرّواية:

إنَّ الهوية المحلية هي عبارة عن خزين معرفي يستمد مرجعياته من بناءات فكرية تمتد جذورها إلى آلاف السّنين وهي وريثة للمعتقدات وترتبط بالتّاريخ إرتباطاً مباشراً. إذ من الممكن البحث في إشكالية ذوبان الذّاتيات الشّخصية والثّقافية في الآداب بشكل عام حتى أصبحت الآداب عبارة عن مؤشر عام قد يبتعد عن تحديد القيم الثّقافية للمنجزات الحضارية المحلية، أو يتم التّمسك بالهوية وعدم الإنفتاح على الآخر. ومن ثمَّ يكون دليلاً على الحضارة الإنسانية بشكل عام أو التّأثر بالأدب الغربي الخالصّ.

٣٩ – معن الطّائي، وأماني أبو رحمة: الفضاءات القادمة، أروقة للدراسات والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ٢٠١١م: ١٤.

إنَّ تطورات تكنولوجيا الإعلام الحديثة والتّي كسرت حواجز العزلة واخترقت الحدود القومية، أسهمت في إرساء قواعد العولمة ونشر معاييرها التي تبغي من خلالها إلغاء الهوية المحلية والتّفرد والتّوجه نحو التّنوع والاندماج غير المتعلق بالحيز المكاني. هذا التّوجه لم يشمل المستويات السّياسية والاجتماعية فقط؛ بل أضفى بتأثيراته على الثّقافة والآداب أيضاً. إذ يرى بعض المنظرين "أنَّ التّنوع هو الخصيصة العادية للفنون والآداب، ويسمون ذلك بالهجنة. ليس هناك ثقافة محكمة الإغلاق على نفسها لا تتسرب إليها مؤثرات أخرى، كما لا توجد ثقافة محصورة في حدودها المحلية، ولذلك إنّ الآداب تختلط وتمتزج في كل أنحاء العالم"[٤٠]. ويتجلى ذلك التّأثير في الوعي الجمعي نحو صياغات تجسد النّزعة العالمية على حساب اندثار الهويات المحلية. وهذا الاختراق الثّقافي يؤسس إلى فكرة القطب الأوحد المتمثل بالدّول العظمى والمؤسسات الكبرى التي تملي

---

٤٠ – جووست سمايرز، الفنون والادب تحت ضغط العولمة، تر: طلعت الشّايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م: ٢١٣.

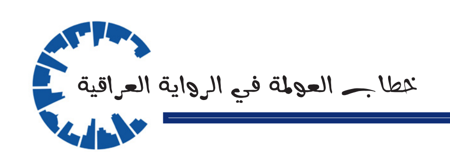


توجهاتها وأنساق ثقافاتها على الأقليات والدّول الأضعف بفعل محفزات وأنشطة تعززها قوى تكنولوجيا الاتصال والهيمنة. وبالمقابل أسهمت العولمة في فتح المجال للرّوائي بقطع الصّلة بجذوره الثّقافية والتّشجيع على الهجرة وانفصاله عن مرجعياته. ومن ثمَّ الإنسياق خلف السّياقات العالمية وعدم التّقيد بالمعنى الخاص والمحلي للأدب وتشجيع كل ما هو مختلف وغير مألوف، بغض النّظر عن هوية وتاريخ الرّوائي وانتمائه.

ففي رواية (أقتفي أثري) لـ(حميد العقابي) نجد أنَّ : المنفى روح وليس مكاناً " لم يكن الوطن بالنّسبة لي يوما، أرضاً أو ناسا، بل فكرة، وها أنا أعتبر أن هذه الفكرة استنفدت مدلولها... وكي لا تموت فأنا سأحاول إعادة تركيب عناصرها في الرّوح لتبقى حية، تتنفس وتنمو حسب مشيئتي"[٤١].

---

٤١ – حميد العقابي: أقتفي أثري، طوى للثّقافة والنّشر والإعلام، لندن، ٢٠٠٩ : ٧١.



لذلك فلا غضاضة أنْ تتماهى هذه الفكرة، التي هي الوطن مع المنفى وتتركز هذه الفكرة في نص روائي اخر كما يقول: " أي وطن هذا ! " قال الشيخ محني الظهر. ..

" أي وطن هذا ! قال علي كارثة وأضاف : " ليله ذئاب، ونهاره جهنم.

أي وطن هذا ! قال صالح الأعرج، ملتفتا إلي وأضاف : أتذكر حينما خرجنا منه، كدنا نموت مطمورين بثلجه، وها نحن نعود إليه وقد تطمرنا رماله وتقتلنا شمسه. أي وطن هذا ! قلت وأضفت صمتا إلى صمتي أي وطن هذا!"[٤٢].

والرّواية تحكي قصة مجموعة من الذين أبعدهم النّظام الدّكتاتوري، ينتظمون في رحلة العودة إلى الوطن مشياً على الأقدام، بعد سقوط التّمثال مباشرة. وبين رحلة المنفى ورحلة العودة يتوزع السّرد، تناوبا

٤٢ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٢٦ – ٢٧.





أو تداخلاً أو توازياً بين الأحداث، اذ ينتقل السّارد، بطل الرّواية حميد العقابي، بين وقائع العودة بلياليها القليلة الباردة وأخطار الطّريق، وبين ذكريات المنفى قبل عشرين سنة، وما انطوت عليه من مشاهد وأهوال، تجلت في الاعتقال والتحقيق والسّجن والهرب والغربة والتّشرد والجوع والتّسكع على أرصفة المدن.

وينتقل السّارد الذي يحمل اسم الكاتب ويمارس هوايته في كتابة الشّعر بين مجموعة من الثّنائيات المتضادة، طيلة الرّواية : الماضي والحاضر، الذّكريات والوقائع، الهروب والعودة، المنفى والوطن، الواقع والمتخيل، حتى إذا ما أشرفت القافلة على الوصول إلى أرض الوطن، تضيق المسافة بين المتضادات، ويتماهى الوطن مع المنفى وتستوي العودة والخروج. فيقول: "أي وطن هذا...! نفر منه واليه مذعورين، نمضي خلف ظلاله مختبئين، كلنا نصطدم بجداره في كل منعطف وزقاق، وأينما نحل



نجده، وأينما نمضي نره، نحن الواقفين نراه يعدو خلفنا. .. وكلما توهمنا التحرر من الحنين إليه نصطدم به..."[٤٣].

ثمَّ يعمد السّارد إلى استطراد تاريخي، لكي يتمادى في ابتعاده عن الوطن، "أي وطن هذا ؟ ذهبه غواية، ماؤه تاريخ من الدماء والحبر. سر على ضفاف أنهاره، لن تجد عاشقين أو متأملين، شروقا أو غروبا، بل نساء يقدمن النذور (للخضر) كي يرجع أبناءهن الغائبين، أو امرأة تقدم العشاء للماء مصغية لأنين ولدها الغريق. أشجاره المغبرة ونخيله المحترق، لا تسمع بين عذوقه شدو فاختة، ليس سوى نائحات فقدن أحبتهن في الحروب، آبار نفطه التي توقد في صحاري الروح نارا اهتدى بضوئها البدو المرابون وعاهرات يخبئن واردات موتنا في قوارير عطورهن، سيدهن يراود حزننا عن نفسه، فيطيع منقادا ليولد أمنا طفلا يكون هراوة في كفه، أو طفلة ضفائرها حبال مشانق.

---

٤٣ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٢٧.



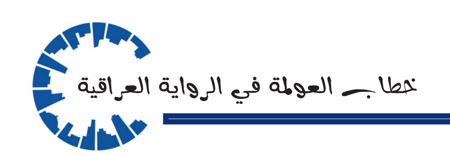
نهرب منه، فيهرب خلفنا كي يطاردنا، لم يأت إلينا – مرة واحدة – كي يسامرنا أو يواسينا ويعظم أجرنا. . كلنا ثكل الأحبة. . أي وطن هذا ! "[٤٤].

لكن في الثّنائية المقابلة لجحود الوطن، تتحدث الرّواية على لسان بطلها، عن ثقل أيام المنفى ومرارة انتظار أخبار الوطن : "... ولكني أبقى عند النافذة منتظرا قدوم ساعي البريد، واقفا مثل تمثال شمع يلوذ بالجليد، الثلج يهطل، الأشجار عارية، الشوارع فارغة، والوحدة تعوي في الرأس، والهواجس بنات آوى يغرزن أنيابهن في خشب الباب.. "[٤٥]. ويحتد الحنين والشّوق إلى الوطن والهوية المحلية بعد إلغائها، فيتحول إلى بكاء كما يقول: " وجدته منزويا يبكي، وحينما سألته عن سبب بكائه، يلقي اللوم على الغربة، والسّلطة الطّاغية وأحزاب المعارضة المهترئة، فأرى العثة تنزل من قمة رأسه حتى قدميه، راسمة خريطة نخرها على هذا الجسم الضخم،

---

٤٤ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٢٨.

٤٥ – م. ن : ٩.



وأتيقن من صدقه ومن تواضع أمنيته التي تدفعه لأن يتخلى عن كرامته وإنسانيته، ليتحول إلى حصان هرم أو ثور ميت على تبن زريبة أو اصطبل"[٤٦].

لكن المشهد سرعان ما يتغير في ثنائية أخرى، فأسأله (الضّمير يعود إلى السّارد): "وأنت ألا ترغب في العودة إلى ديرة هلك ؟. .. كي تموت على التبن " مذكرا ببيت الشعر الذي طالما ردده أمامي :

تكضن وارد يا ديرتي لحسنج واموتن عالتبن، فأجاب بخجل : وليش أموت عالتبن ؟

أليست رغبتك التي أكلت رأسي بها ؟

كانت قبل عشرين عاما، أما الآن. . كل شيء تغير.. . صمت قليلا ثم انتفض واقفا : نعم كل شيء تغير، فإلى أين أرجع. .. هه ؟ إلى أين أرجع ؟ إلى صريفة أهلي في مدينة الثورة أو الى الجوادر. ..هه ؟ الى

٤٦ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٧٩.

زيارة القبور والذكريات المؤلمة ؟ إلى برك مياه المجاري وتلال الأزبال. ..هه ؟ ماذا سوف أعمل ؟ أعود إلى رعي الجواميس..هه ؟ إلى صراخ الصبية خلفي : عبد أسود، أبو خشم الأفنص..؟"[٤٧].

فإذا كان المثقف في مرحلة السياب، وحتى الجواهري، يعاني من الهجرة والاغتراب، فان محنة المثقف اليوم، هي أنه أضاع نقطة الحنين، فلا مرسى هناك إن كل ميناء سراب، وكل ضفة وهم. فهناك وجع المنفى إزاء محنة الهوية، ووجع الهوية إزاء محنة الذات، أو بتعبير الشّاعرة ورود الموسوي في قصيدتها المسماة (عطش يبللها، وماء لايصل):

يغزو المنافي بحثاً عن هوية

وتغزوه الهوية بحثا عن ذات[٤٨].

---

٤٧ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٧٢–٧٣.

٤٨ – عبد اللطيف حرز: المستحيل في الأدب العراقي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ٥٠.



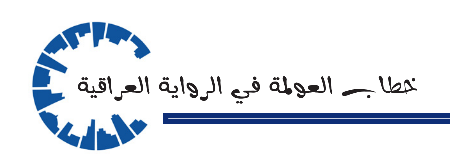
هذه الأفكار التي تتماشى مع الحراك الثّقافي في زمن العولمة لا يمكن تعميمها فعلى الرّغم من هجرة الرّوائيين والتّأثر بأفكار الدّول الغربية، إلا أنَّ الكثير ظل مرتبطاً بجذوره التي استنبط منها أفكاراً جديدة تكون قد أسهمت في تميزه في مجال الأدب العالمي المعاصر. وهذا لا يعني انعزاله عن العالم والتّمسك بمعايير سابقة؛ لكن لكي يتم الإندماج والوصول، كان من الضّروري الإغتناء بعملية المبادلات الفكرية والثّقافية والفنية للتّوصل إلى أنساق جديدة تساعد في عولمة إبداعاته. وعلى هذا المبدأ يمكن أنْ تكون العولمة في الأدب عبارة عن مشاركة الخبرات والتّجارب والتّلاقح والمثاقفة، دون التّعرض للاستلاب وضياع الهوية المحلية. بل عولمة الرّواية بتحويل الأفكار الذّاتية والمشاكل الاجتماعية إلى قضايا عالمية. دون الخضوع لسلطة الآخر. وعلى هذا المبدأ يستلهم الرّوائي فكرة من مرجعياته المحلية ويحولها إلى ظاهرة عالمية باعتماد أسلوب عالمي. تستلهم المرجعيات المحلية والموروث الحضاري. باعتماد أدب التّركيب والتّهجين بين



الواقع والخيال والميتا سرد والسّرد التّكنولوجي وغيرها من الأساليب المعاصرة.

وعليه حاول الرّوائي إيجاد أفكار تعكس هويته بإبداع أشكال تقتضي التّنوع والتّداخل مع ثقافات متعددة. لتجسد أعمالاً أدبية ذات خطاب عالمي، يستهدف جمهوراً كونياً. وبهذا تكون الآداب تحت ضغط العولمة تمثيل لتقارب الشّعوب والثّقافات. ولا تخلو من التّأصيل أي العودة إلى الجذور وإعادة صياغة المرجعيات بآليات ورؤى عالمية منبثقة من التّراث المحلي وحاجات المجتمع "للبحث والتّقصي لإيضاح معالم جمالية لم يتم ابتكارها، ولكن يُكشف النّقاب عنها"[٤٩]. ووفق ما تقدم يمكن القول إنَّ العولمة تروج من خلال برامجها إلى أفكار الهيمنة والتّفوق، فمن يمتلك زمام السّلطة يستطيع إيصال أفكار وإملاءات مضمرة. هذا هو هدف العولمة

٤٩ – عفيف البهنسي، الهوية الثّقافية بين العالمية والعولمة، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م: ١٢٠.



الأساس. وهذا يدل على فقدان الهوية المحلية والإستسلام لما يرفده الغرب من أفكار واستلاب للهويات.

كما تراجعت أهمية اسم الرّوائي مع العولمة، أمام هيمنة التّقنية والفكرة فلم تعد تعبيرات الرّوائي المجسدة على العمل، والتّي تضفي التّفرد والتّميز على اسم الرّوائي كافية، بل اقتضى منه أن يبحث عن كيفيات استقطاب جمهور التّلقي بإضفاء عناصر الإثارة والتّغريب ومخالفة المألوف والمغايرة، والتّي تتعلق بالحبكة أو الأسلوب أو طرائق العرض. ومحاولة إيجاد آليات اشتغال تحقق التّواصل والإشهار للرّوائي عن طريق تعميم أسلوب معين، كأن يكون نسقاً خيالياً أو واقعياً أو مشتركاً متنوعاً، ليميز اسم الرّوائي عن الكم الهائل من الأسماء في العالم.

كما في رواية (فرانكشتاين في بغداد)[50] للرّوائي (أحمد سعداوي) الذي يستدعي المرجع الواقعي والاسطوري ويضفي عليه عنصر الإثارة من

50 – أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط1، 2013م.



خلال تجسيد الواقعية الفائقة والسّحر المشوق في أغلب الأحيان، بما مزجه من فرانكشتاين البغدادي وفرانكشتاين البريطاني لماري شيلي. ليجذب نظر المتلقي مختلف الثّقافات الباحث عن التّجديد.

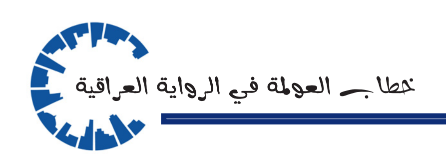
وقد اشتملت الرّواية على مفصلٍ مدهش تدور أحداث الرّواية حوله، تنمّ عن خيال خصب، وقدرة خلاقة على توظيفه في شبكة أحداث مترابطة رمزية عميقة ومتحوّلة في إطارٍ سرديٍّ مبدِع أضافت إلى جمال الصنعة الأدبيّة نتفا من الجمل اللغوية الدراجة ولعلّ أبرزها كلمة (الشّسمه) التي أطلقت علماً لذلك المخلوق المستوحى من (فرانكشتاين) وهي كلمة منحوتة من عبارة: (الذي لا اسم له) والتي يستعملها العراقيّون بلهجتهم العاميّة، وشخصيّة فرانكشتاين في الأصل أسطورة جنح إليها خيال الكاتبة البريطانية (ماري شيلي) وقد وظّفها الكاتب لتكون عنصر الرّواية المدهش ومحورها، فالرّواية تؤرّخ لمرحلة عصيبة من تاريخ العراق، حيث دمار الانسان والأرض بما لم يسبق له نظير في تاريخ العراق، ولعلّي لستُ مبالغاً إن قلت إنّ السّياق التّاريخي والجغرافي الذي ظهر فيه فرانكشتاين بنسخته



البغداديّة في هذه الرّواية كان موقعه منسجماً أكثر من موقعه في الرّواية الأصل، وبعده الفلسفي أعمق بكثير.

فشخصية فرانكشتاين أو (الشّسمه) شكّلت رمزية متحوّلة بين ثنائيّة الأمل والإحباط التي لم تزل تتوامض في العراق، وذلك من عدّة مسارات تراتبيّة، وقد كان المسار الرّمزي الأوّل لفرانكشتاين يجسّد رغبة العراقي في القضاء على كلّ ظالميه وقاتليه وسارقي وطنه منه، فالجذاذات البشرية المختلفة التي يتكوّن منها هي خليط متجانس من الرّغبة والطّموح في الحياة الكريمة من أشخاص غير متجانسين في أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأفكارهم.

نجد أنَّ فرانكشتاين البغدادي تجسيد رمزي للعراق أيضاً، العراق الممزّق، الذي بضّعته سكاكين المحاصصة وتركت في وجهه ندوباً وجراحات، ربّما إن استمرّت هذه الجراحات ستتحوّل حدوداً ستفقدُه هويّته ويصبح العراق بلد (الشّسمه)، وقد ضجّ لفرط استهتار أبنائه العاقّين وأعدائه



المحتلّين ومرتزقتهم المتوحّشين، الذين لا مشروع لديهم في ربوعه إلا (انتاج) الضحايا.

والمسار الثّاني لرمزية فرانكشتاين البغدادي عندما جسّد فكرة المخلّص والمنقذ، الذي تتألّف روحه من آهات المعذّبين ونواح المستضعفين الذي يملئ الأجواء نادباً للثّأر ممّن قتلهم ظلماً وعدواناً، وأيتم أطفالهم وأرمل زوجاتهم وأثكل أباءهم، وهذه الرّمزيّة هي ما تفسّر ميول القارئ وتمنيّاته لنجاح جهود فرانكشتاين[٥١].

وتسهم هذه الآليات في ترسيخ اسم الرّوائي، ليس وفق خصوصيات التّفرد الذّاتي؛ بل بمواصفات التّعميم الكوني القادر على التّأثير المباشر وتفعيل القدرة التّواصلية بين العمل والمتلقي. والذّي يحيل إلى حوار مباشر مع الذّهن ويسهم في ترسيخه في ذهنية جمهور التّلقي وإيصال

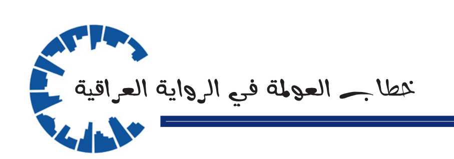
---

٥١ – ينظر: أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.



أسلوب روائي مختلف لإنتاج خطاب كلّي تضميني، دون الرّجوع إلى غايات الرّوائي الشّخصية.

وإزاء ذلك تكون مهمة الرّوائي الكشف عن أفكار جمالية جديدة، بسياقات تهتم بالعلاقة بين العمل الأدبي، وإمكانية تداخله مع المجالات المعرفية المختلفة وتواصله مع الثّقافات المغايرة. وفق شروط الخطاب الكلّي الذي يقوم بدور أساس في تشييد أدب عالمي بوصفه جزءاً مهماً من المنظومة الثّقافية.



- العولمة والتّواصل الرّوائي:

في عصر مجتمع المعلومات العالمي تصاعدت أهمية التّفاعل والإتصال عن طريق البرامج التّواصلية التي تعدّ الثّقافة الأدبية من الأساسيات المهمة التي تساعد على توجيه الخطابات المعلنة والمضمرة للتّأثير على الرّأي العام. بالإفادة من التّقانات المعلوماتية والاتصالية لنشر وتطبيق الكيفيات التي تساعد في عولمة الثّقافة والآداب باختلاف أنواعها وبمساعدة الشّركات المتعددة الجنسيات على التّرويج لأفكارها وأهدافها.

وفي ضوء ذلك يعد الإتصال قيمة أساسية في المجتمع المعاصر، ومرتكزاً فاعلاً لإيجاد أطرٍ معرفية وثقافية جديدة. فلا وجود لأيّ مجتمع دون اتصال، إذ "إنَّ الاتصال أضحى قيمة مركزية في المجتمع بل ظاهرة مركزية"[٥٢]. يسهم بنشر الآداب وتلاقح الأفكار وتبادلها عبر الوسائل المختلفة. ومن ثم استنباط منظومة ثقافية مشتركة تكون مرجعاً مهما لتحديد

---

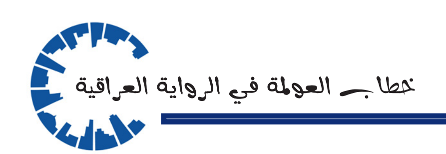
٥٢ – يحيى اليحياوي: كونية الاتصال، عولمة الثّقافة، منشورات عكاظ، الرّباط، ٢٠٠٤م: ٢٣.



الأسس والمعايير التي يعتمد عليها الرّوائي لإيجاد أنماط الأشكال الرّوائية التي تحقق خطابها التّواصلي الكوني الملائم للثّقافات المتباينة واللّغات المختلفة. وبهذا تؤكد العولمة على التّثاقف والتّقارب بين الأدباء من مختلف بقاع العالم، وتشجع على مشاركة الخبرات في التّجارب المختلفة من خلال التّواصل المستمر.

وبين الوسائل الإتصالية والثّقافة الصّورية صار الرّوائي يبحث عن بيئات حاضنة مغايرة لما هو مألوف، يهجر فيها العمل كل الكلاسيات لاستقطاب جمهور التّلقي وتعزيز التّواصل بينه وبين العمل الفني بصدد تحقيق المزيد من الانتشار والإشهار.

وعلى هذا المبدأ يكون للمتلقي دوراً أساسياً في اكتمال العمل الرّوائي والإعلان عن وجوده. وعليه يحتاج العمل الرّوائي إلى متلقٍ كوني يحمل خزيناً معرفياً وفنياً ليكون قادراً على تفكيك العمل وتحديد التّماثلات والتّباينات الجوهرية للكشف عن ما يخفيه العمل واستيعاب مضامينه



بالإرتكاز على صيرورة التّأويلات وتعدد المعاني. ومن ثمَّ السّعي نحو ردم الفجوات وملء البياضات. كما إنَّ العمل النّاجح هو القادر على إثارة التّلقي وكسر دوائر التّوقع وزحزحة المعايير القبلية والقواعد الرّاسخة، من خلال تفعيل أشكال غير مألوفة وتوظيف الكلمات والاستعارات بصياغات نسقية مستحدثة، فضلاً عن تحقيق الدّهشة من خلال التّلاعب بطرائق العرض.

وفي ضوء ما تقدم تحتاج العولمة إلى جمهور واعٍ ومتفتح الأفق ومستعد لتغيير قناعاته ويتقبل التّجديد وثقافة الآخر، ويستوعب المتغيرات الاجتماعية التي تساعد بالتّأثير على الذّائقة الأدبية ونمذجتها وإعادة تشكيلها وفق طروحات الثّقافات المتعددة والمتنوعة. ولكي يتحقق ذلك يتطلب من المتلقي للعولمة ما يلي:

" ١. الإنفتاح نحو الماضي والحاضر والمستقبل. نحو القومي والعالمي.

٢. التّحرر من النّظرة الأحادية نحو التّعددية، وتنويع الرّؤية بأي اتجاه.



٣.   الانتقال من عالم النّخبة والتّعصب، إلى عالم ديمقراطية التّذوق"[٥٣].

وعليه لا بد من إمكانية تحقيق شمولية منفتحة في المجال الأدبي من قبل المتلقي والرّوائي الذي قد يكتسب مهاراته في بلد، وينجز عمله في بلد ثانٍ، ويعرض عمله في بلد ثالثّ وهكذا. ومن ثمَّ تتداخل لديه الأفكار وتتنوع الأساليب بالإتصال مع الثّقافات الأخرى واكتساب الخبرات المختلفة. وبهذا لم يعد الانتماء هو المهم بل العمل هو الذي يكتسي بحلة السّياق الكوني(المعولم)، بغض النّظر عن الذّات. هذا التّجاور ساعد عليه التّطور الحاصل في وسائل الإتصال والتّواصل التي قدمت مقترحات للرّوائي الذي سعى لإيجاد صياغات مختلفة تضمن له التّفرد والتّميز ضمن الكم الهائل من الأسماء.

أما على المستوى التّاريخي فلم تكن هذه الرّؤية التي تعتمد التّنوع واكتساب الخبرات من البلدان الأخرى، جديدة في عالم الأدب. كما

---

٥٣ – ينظر: عفيف البهنسي، الهوية الثّقافية بين العالمية والعولمة، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م: ٩٨.



يمكن تأشير بدايات بث خطاب شمولي للعولمة وبدايات التّأثير في الأنماط الأدبية من خلال تتبع الحركات الأدبية ونتاجاتها على مر التّاريخ سواء على مستوى الشّكل أو الموضوع أو الأُسلوب. وعليه بإمكاننا أنْ نشخص أنَّ الأدب أحياناً يكون مقلداً لفن حضارة أخرى من خلال الموضوع أو من خلال الشّكل أو الأُسلوب من جانب ما، وهو في هذه الحالة يكون محتفظاً بخصوصيته المحلية بجانب من الجوانب الأخرى. وذلك للبحث عن المغايرة واكتساب الخبرات من تجارب الشّعوب الأخرى.

وبهذا تعد الآداب تحت ضغط العولمة تطوراً طبيعياً في الخط التّاريخي لما بدأه الأدباء في السّابق لكن الاختلافات تبلورت في الوظائف والأهداف. ربما نسأل عما إذا كان التّقابل الذي نطرحه بين أدب الماضي الذي ذكرناه وأدب الحاضر هو مجرد تقابل شكلي مؤكدين أننا أمام الثّقافة نفسها والقيم ذاتها والمعاني عينها، مع اختلاف لا يعدو أدوات النّقل ووسائل الإنتاج والإستهلاك.



وعلى هذا المبدأ يمكن تحميل العمل تحت ظل العولمة بوظائف عديدة تتضمن وظائف تواصلية وإخبارية ومعرفية تهتم بمدلول الخطاب حتى وإنْ كان الخطاب يدعو إلى الرّفض. ووظائف شكلية وتداولية ونفعية تهتم بالأُسلوب والسّياق الذي من الممكن أنْ يحقق الانتشار والتّفاعل مع جمهور التّلقي.



- المبحث الثّاني: العولمة التّكنولوجية وتسويق المنتج السّردي

تسعى العولمة إلى بث الثّقافات وتوحيد الأفكار مع التّطورات التي شهدتها التّقنيات الحديثة في مجال السّينما والتّلفزيون والفضائيات والأقمار الصّناعية ومواقع الشّبكة العنكبوتية التي دخلت إلى المنازل لتكون جزءاً مهماً من الحياة الاجتماعية.

وتعلن العولمة عن دخول عصر جديد يعزز من قوتها وهيمنتها. إذ لا يمكن فرض رقابة أو سلطة على الأفكار التي يتم التّرويج لها من خلال تلك المنظومات المتحكمة. هذا التّدخل أحدث تغيرات مستمرة في الأنظمة الاجتماعية التي صارت جزءاً من المجتمع العالمي. وتعد الشّبكة العنكبوتية من الوسائل الإعلامية المهمة التي لها انعكاسات سلبية وايجابية في إحداث التّأثيرات الأسرع على المجتمعات وعلى الأفراد لما لها من سلطة في الوصول إلى المنازل في أي مكان وإيصال الخطابات المختلفة، والمعاني المشتركة. فضلاً عن تشييد مجتمع افتراضي منفتح الحدود ومتعدد الثّقافات

بغض النّظر عن الانتماء والهويات والأعراق والأطياف. وبهذا سعت الشّركات الكبرى والمؤسسات المتعددة الجنسيات إلى الاعتماد على تلك المنظومة لإدارة أعمالها في العديد من بلدان العالم والتّأثير على الرّأي العام بشتى الوسائل والبحث عن المزيد من طرائق التّشارك.

ومع هيمنة التّكنولوجيا الرّقمية على الحياة الاجتماعية والثّقافية أخذ الأدب موقعاً مهماً في أولويات اهتمامات المؤسسات والمنظمات ودور النّشر والمطابع. لما للمنتجات الأدبية من أهمية تستطيع أنْ تفوق التّوسعات الاقتصادية لتعزيز خططها التّوسعية وأهدافها التّجارية وأحكام قبضتها على كل مفاصل الحياة[٥٤]. وبهذا كان للوسائل الإعلامية أهمية في تأمين الوصول إلى أقاصي العالم ومشاركة الأفكار والثّقافات والآداب لتكوين ثقافة عالمية موحدة يتم بثها من خلال الوسائل الإعلامية العالمية. وعليه صارت من أولويات العولمة البحث في كيفيات العلاقة بين الآداب والوسائل

---

٥٤ – ريجيس دوبري، حياة الصّورة وموتها، تر: فريد الزاهي، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٧م: ٣٧.



الإعلامية المختلفة. والبحث في توظيف التّكنولوجيا المتطورة في الآداب للتّأثير في أفكار وسلوكيات الأفراد وبث المتغيرات المؤثرة على القيم والمستجدات التي تحدثها الخبرة التّشاركية التي تحقق المصالح العالمية.

كما أنَّ التّكنولوجيا المتغيرة والتّطورات الرّقمية أضفت إمكانات جديدة وأحدثت تغيرات أدبية أجبرت الأدباء والمؤسسات المتحكمة في الحركات الأدبية على إيجاد أنساق مغايرة داخل سياقات تكون دلالتها لإعادة التّفكير في معنى الأدب. وعليه فلا جدوى من مقارنة الآداب مع المقاييس السّابقة؛ التي تراجعت أمام محمولات توظيف التّكنولوجيا الجديدة التي فرضت شروطها على المعايير الأدبية والذّائقة الجمالية الكونية التي صارت تعتمد على منظومات مختلفة من الأنساق لإيجاد ما يلائم نمط الحياة العصرية الجديدة.

هذا التّنميط الذي يبحث في مخرجات أدبية جديدة اعتمد على ما قدمته العولمة من غزو ثقافي للتّأثير على الآداب ومعايير الجمال. إضافة



إلى التّشجيع والدّعم لكل ما هو غير مألوف من الآداب، وما هو متداخل مع المعارف الأخرى لاستدعاء أنساق تكون شبكة من التّفاعلات بين مستويات المكونات البنائية والجوانب الدّلالية. وبهذا فقد الأدب تجنيسه أمام الطّوفان الهائل للوسائل الحديثة المتمثلة بالشّاشة والحاسوب والآلة واللّيزر. مما فتح المجال لآداب تكتسب مسمياتها من وسائط استخدامها كالرّواية التّكنولوجية مثلاً أو القصص الرّقمية وغيرها. والتي أثرت على الذّائقة العالمية التي باتت تطالب باستحداث الأنساق الموسومة بالتّنوع والتّغير اعتماداً على التّكنولوجيا الحديثة. وهذا ما نجده في رواية (فيرجوالية)[٥٥] للرّوائي (سعد سعيد) الذي اعتمد المعطيات التي توفرها الوسائط التّقنية المتعددة في انجاز أعماله التّركيبية والسّردية لاستكشاف تأثيرات تلك الوسائط الحديثة من الهاتف إلى التّلفزيون والانترنت، نجد الكاتب ينحت كلمة (فيرجوالية) من كلمة انكليزية هي (Virtual World) والتي تحيلنا إلى العالم الافتراضي ليخلق كلمة عربية لم تحض بتعريف متفق عليه لحد الآن ليجعلها عتبة

---

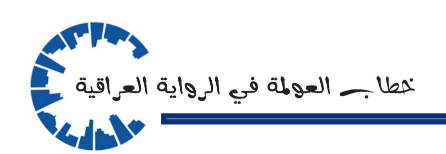
٥٥ – سعد سعيد: فيرجوالية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.



اولى لنصه الاشكالي القائم على عالم بدأ المتلقي العربي يعرفه مؤخراً، ألا وهو شبكات التواصل الاجتماعي فيسبوك، ماسنجر، سكايب... وما تؤديه من دور مركزي في حياتنا اليومية. حيث يأخذنا السّرد عبر الحكاية الاطار التي تدور احداثها بين الشخصية المحورية (أنس حلمي) وبين وحدة السّيطرة في جهاز كومبيوتره التي أطلق عليها الكاتب اسم كودي هو(T.S-SSR٢٩٨١٩٥٧)، فبعد تعرض كومبيوتر (أنس حلمي) لعدة صدمات كهربائية بسبب انقطاع التيار الكهربائي المتكرر في بغداد، تولدت لدى وحدة السّيطرة قدرة مفرطة من الذّكاء الاصطناعي غير الموجود في التّصميم الأساس للكومبيوتر تؤهله لأن يعيد وينشر ما تم مسحه من دردشات الشّخصية المحورية في مواقع التّواصل الاجتماعي على الملأ في شبكة الانترنت، وما يعنيه ذلك من نشر فضائح مرتبطة بخصوصية وحميمية هذه الدّردشات[٥٦]. ويجعل القارئ بين إزدواجية الحقيقة والإفتراض بإعتبارها نماذج تواصلية تنبني على علاقات نسقية تعبيرية معقدة لتشكيل مستويات دلالية

---

٥٦ – ينظر: سعد سعيد: فيرجوالية.



مغايرة. لا تعير أهمية للمعنى المعجمي والمحور الوصفي، بل تنتقي تأويلات من خلال تفكيك البنيات المغلقة لاستدعاء ما هو مضمر في العمل، وعلى هذا الأساس تكون من ضمن أهداف العولمة هو تعميم أنساق وتقنيات حديثة والتّرويج لها عبر الوسائل الإتصالية والمهرجانات الأدبية العالمية للتأثير على الذّائقة العالمية وإحداث تحولات في القيم الأدبية.

بالمقابل صارت التّقنية الرّقمية تؤدي أثراً فاعلاً في تحقيق الانتشار والتّرويج والبيع للأعمال الأدبية المختلفة، يتم استثمارها من قبل المؤسسات المختلفة والأدباء لتعميم أنساق جديدة أو تقنية مختلفة. ويتمثل ذلك في إنشاء مواقع رقمية يمكن للمتصفح الاطلاع فيها على آخر المستجدات في مجال الثّقافة والأدب بما يتم بثه في تلك المواقع. كما صار بإمكان الأديب أن يعرض أعماله في مواقع التّواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتّويتر وغيرها. والتّي لها تأثير في تدويل الأعمال بين مختلف الاجراءات في التّواصل الرّقمي والتّعرف على ردود أفعال القراء من خلال إبداء آرائهم والتّحاور معهم.

- تسويق السّرد عولمياً:

بدأت مراحل بث الثّقافة الأمريكية للعالم مع نهايات الحرب العالمية الثّانية، والدّمار الكبير الذي حل في الحياة الاجتماعية الأوربية إذ بدأت الولايات المتحدة بفكرة إعادة بناء أوربا من خلال (مشروع مارشال) والذّي تضمن مبالغ مالية كهبة من أمريكا إلى المجتمعات الأوربية، مقابل حرية بث الثّقافة الأمريكية من خلال السّينما، وحرية تصدير السّلع الأمريكية إلى الأسواق الأوربية. وأخذ هذا المشروع في أمركة أوربا حتى أصبحت الحياة الأمريكية بكل مشاهدها من أفلام الكابوي وغيرها، وطبيعة الحياة الأسرية والنّظم العائلية، والملبس والأكلات السّريعة كلها ذات تقاليد ووصفات أمريكية خارج ما متعارف عليه من تقاليد أوربية.

وعلى صعيد الحركات الأدبية نجد أنَّ الذّاتية كقيمة بدأت في نحت ملامحها الخاصة في الأدب المعاصر مع (حركة البوب)* ؛ لأنه أدب

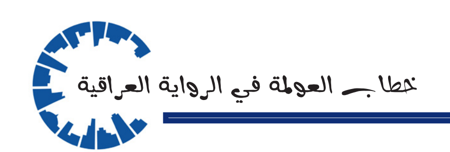
* نوع من أنواع الفنون التي تعتمد على السّخرية من الواقع و يتمثل في مجموعة من الصّور التي تمثل مجموعة من التّقاليد أو الثّقافات الشّعبية، وأحياناً تمثل هذه الصّور الإعلانات



اقترب من الإعلان والتّجارة أكثر من اقترابه من باقي حركات واتجاهات الأدب الأخرى. إذ كانت بدايات (حركة البوب) الأمريكية ظاهرة متميزة في نمط استغلالها للمواضيع والمشاهد اليومية ومحاولتها اقتناص لحظة من مشاهد الحياة اليومية وتقديمها أو تقديم ما يمكن أنْ يكون جزءاً من الحياة اليومية في أعمال أدبية. لتكون النّظام الأول الذي سعت الثّقافة الأمريكية في بثه وجعلت العديد من الأدباء الأوربيين يشتغلون بهذا الأسلوب من الأدب المعاصر ويكون اتجاهاً عاماً في مناطق مختلفة من العالم.

لقد بدأ الأدب يأخذ مسارات جديدة ترتبط مع أهداف العولمة الرّئيسة بالاقتصاد وتحويل كل شيء إلى سلعة قابلة للبيع والشّراء يمكن التّرويج لها بكسر الحدود العالمية والوصول بها إلى أبعد نقطة من العالم لتحقيق الإرباح تحت أيِّ مسوغات. ومن ثمَّ استطاع العالم التّسويقي الاستحواذ تباعاً على العالم الأدبي.

والأخبار وغيرها من مجريات أحداث تدور حول العالم وفن البوب يتميز بأنَّه يعتمد على رؤية الفنان. ظهر بدايات عام ١٩٥٠ في بريطانيا وفي أمريكا بعد ذلك. ينظر: مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك ومابعد الحداثة، مصدر سابق، ٨٠.



ويُوضح ذلك بصورة رئيسة مع تمكن الوسائل الإعلامية المختلفة، من إختراق الحصانة الثّقافية بالتّأثير على جمالية الأدب وتهديم الفجوة بين فنون الإعلان والآداب الإستهلاكية لإضفاء النّظام التّسويقي على الأدب وتحويله إلى سلعة. إذ يكون "انتشار الثّقافة الجماهيرية المعولمة، والاستهلاك والتّواصل الجماهيري، والسّياحة الجماهيرية، بمثابة منتجات جماهيرية. فالبضائع الاستهلاكية وأنماط الاستهلاك والأفلام والبرامج التّلفزيونية والأغاني نفسها تنتشر في الكرة الأرضية كلها"[٥٧].

وبما أنَّ الغزو الاقتصادي يمثل مرتكزاً مهما لدى الدّول المتقدمة في العالم؛ فإنَّ الأدب تموقع مع الرّكب الجديد من خلال ذلك الاقتران، وتمت عولمته باعتباره صناعة تخضع لآليات وشروط الأسواق العالمية والأحكام التّجارية.

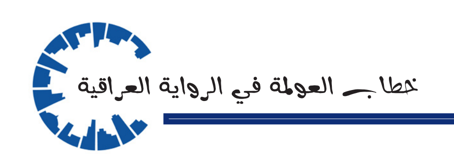
---

٥٧ – يورغن هابرماس، الحداثة وخطابها السّياسي، تر: جورج تامر، دار النّهار للنشر، بيروت، ٢٠٠٢م: ١٣٨.

فتحت التّطورات الرّقمية والتّكنولوجية المجال لتعزيز التّأثير الاقتصادي؛ والذّي أسهم في تعزيز طمس الحدود بين ثقافة النّخبة والثّقافة الشّعبية. وتلاشي الخطوط الفاصلة بين أدب النّخبة والفن الشّعبي واعتباره سلعة استهلاكية. إذ "قامت الرّأسمالية الجديدة الموجهة نحو الاستهلاك بسحب الآداب من عالم الثّقافة، إذ كانت المعبر الأول للقيم التّشاركية للمجتمع، إلى السّوق التّجارية. إذ أصبحت رهينة لشركات الإعلان واستشاريي التّسويق واستخدمت لبيع (طريقة حياة)"[٥٨]. ومن بين مقومات الاقتصاد الاستهلاكي في زمن العولمة، صار الأدب مثل أيِّ سلعة يحتكم إلى آليات العرض والطّلب؛ والذّي صار يتداول في الأسواق العالمية كاستثمار مهم يمكن أنْ يكون معفى من الضّرائب. تبلورت تلك الأفكار مع أعمال روائيي الأدب الشّعبي الذّين وظفوا من مظاهر الحياة اليومية ما لا يرقى إلى معنى الجمال وما هو مستهلك، ليكون أكثر تحقيقاً للصّدمة والإندهاش.

---

[٥٨] – جيريمي ريفكين، عصر الوصول، تر: صباح صديق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٦٧.



كما إنَّ مثل تلك الآداب الضّخمة في زمن العولمة تحتاج إلى تمويل وجهة راعية تكون مسؤولة عن تحمل تكاليف العمل والإسهام في صناعة الأديب النّجم المعروف عالمياً. وبالمقابل تكون لدى تلك المؤسسات والمنظمات الرّاعية أهداف مضمرة أو معلنة. وتحرص على فتح منافذ لبيع وتسويق منتوجاتها، والحصول على التّواصل والإشهار والتّرويج عن طريق الأدب واسم الأديب في كل أرجاء العالم. والذّي سيكون اسماً كونياً يمثل ماركة عالمية تغزو الإعلام بكل وسائله للحصول على الغايات الرّبحية للمؤسسة التّي قد لا تكون لها أي علاقة بالأدب. وعلى ذلك المبدأ يكون العمل هدفاً للاستثمار المزدوج وأداة "يستمد حضوره في سياقه الجديد، ومن التّنوع الكبير في أساليبه؛ لأنَّ كل عمل فني بات يتموضع على أساس علاقته بالاقتصاد والتّجارة والتّسويق وهي بمجموعها تؤلف خطاب الفن"[٥٩].

---

٥٩ – بلاسم محمد، المثاقفة والاتصال عن طريق الفن، قراءات وافكار في الآداب التّشكيلية، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م: ١٩٦.

ومع سعي العولمة إلى تثبيت خطاب التّواصل العالمي، وارتداء ثوب الشّمولية الذي يزيل المسافات والحدود المكانية، ليقطع الصّلة بالماضي الذي يتمثل في النّتاجات الثّقافية والحضارية ذات الخصوصية المحلية، أصبحت الأشكال والنّتاجات الأدبية الجديدة أكثر ابتعاداً عن المعايير السّابقة وبالقيم المكانية والمحلية، لتصبح ذات اهتمام بالهامشي وغير المهم والمبتذل. وأدب الرّواية لم يقف متفرجاً على النّقلات الكبرى إذ نشأت وسائط جديدة ومحاولات للخروج من الأمكنة الثّابتة إلى فضاءات أخرى جاءت مع العولمة.

وعليه فقد نشأ مناخٌ جديد للأدب، وصار الموضوع المسيطر على السّاحة الأدبية يتجسد في أنَّه يتعين أنْ يستيقظ الأدباء من الحياة التي يعيشونها متقوقعين على ذاتهم، وأنْ يتجاوزوا الحدود ويردموا الهوة مع الآخر وينفتحوا على التّخصصات المعرفية الأخرى، ومع تهديم الحواجز القائمة بين الأدب والفعاليات الإنسانية الأخرى، كانت هذه الرّؤية التي شجعت الرّوائيين على تحطيم حدود اختصاصهم والعمل مع المنتجين



والموسيقيين والمخرجين لانتاج عروض مختلطة تتعدى الأدب وقد يدخل الفن والرّسم والشّعر والموسيقى في آن واحد متجاوزاً بذلك الأدب المكتوب في متن الكتاب الذي يبقى دون أيٍّ حركة وديناميكية ويشعر النّاس معه بالملل، والذّي لم يعد يعنى بالحاجات المتزايدة للتّرفيه والتّقبل، وتم السّعي إلى آداب أغنى وأكثر تعدداً للوجود ومن هذه الاعمال الرّوائية رواية (الكافرة) لـ(علي بدر) التي نشرها في منشورات المتوسط، ايطاليا، ميلان عام ٢٠١٦م، ورواية (هاري بوتر) لـ(جوان رولينغ) التي نشرتها في دار بلومزبري، لندن، وهي ستة أجزاء، صدر أولها عام ٢٠٠٧م. لقد فعّل الرّوائيون هذه الفكرة للابتعاد عن الصّورة الثّابتة في الكتب، والتّحرك نحو الصّورة المتحركة وهي السّينما والأفلام، لنقل وعرض ابداعاتهم، وهذه الطّريقة تجعل من وصول العمل الأدبي الإبداعي إلى عدد أكبر من شرّائح المجتمعات فيستطيع أنْ يشاهد الافلام والمسلسلات كل شخص متعلم كان يقرأ أم لا يقرأ، أما العمل المكتوب فهو خاص فقط لمن يقرأ وليس كل من يقرأ في بعض الأحايين.



وعلى الرّغم من ذلك فإنَّ العولمة تحصل. إذ إنَّ عملية التّعايش المعقدة في وحدات اجتماعية وثقافية تستلزم تفاعلاً مستمراً بين أفراد الوحدة أو المجموعة، فنحن نبدو باستمرار وكأننا نقول شيئاً ما لشخص ما أو نستمع لشخص ما، وللحفاظ على استمرار الحياة الاجتماعية يتوجب على الأفراد مشاركة قدر هائل من المعلومات الفعلية. ومما لا يقل أهمية عن ذلك هو أنْ يمتلك كل فرد في المجموعة القدرة على التّعبير عن تلك التّفاعلات الشّخصية الحميمة مع الحياة التي تمنحه احساساً بانسانيته. ويمكن التّعبير عن الفكرة نفسها على هذا النّحو: "إن الحياة لمجرد التّعايش لا معنى لها. لعل من المعقول أن نملك ادراكاً أو حدساً مباشراً للحياة، ولكن لا يمكن ادراك معنى الحياة ولا الافصاح عنه الا بلغة من نوع ما، وهذا التّعبير أو التّواصل هو جزء من عملية الحياة نفسها"[٦٠].

---

٦٠ – نوبلر ناثان، حوار الرّؤية –مدخل إلى تذوق الفن والتّجربة الجمالية–، تر: فخري خليل، مراجعة: جبرا ابراهيم جبرا، دار المامون للنشر، بغداد، ط١، ١٩٨٧م: ٤٥.

على هذا النّحو تمكن الرّوائيون من قلب الأنظمة الشّكلية. ثم تبديلها ومن ثم تغييرها.. لقد دأبت الحركات الأدبية الحديثة والمعاصرة على المحاكاة أو السّير في ركب التّطورات الفكرية والجمالية والتّقنية التي سادت العصر وأثبتت الدّراسات الأدبية أنَّ الآداب هي أول المتأثرين بالمناهج الفكرية السّائدة. إذ تظهر تأثيرات التّطور الفكري والاجتماعي والتّقني الاقتصادي على جانب من الأهمية في مظاهر الآداب والفنون كالشّعر والرّواية والرّسم والنّحت والعمارة... وغيرها. وعليه فإنَّ "الفن الذي يرتبط ارتباطاً وثيقا بمختلف القوى الفاعلة في تاريخ تطور مجتمع مادياً وفكرياً، لا ينفصل عن مجموعة التّرابطات الاجتماعية، يعمل ضمن تلك التّرابطات التي تسهم اسهاماً كبيراً في تحديد مساره وتوجهه العام"[٦١].

لذلك ظهرت الآداب وهي تتطبع بطابع مرافق لما يجري من أحداث على السّاحة العامة فبدت الاستعارات اللّغوية لواقع الحياة العامة

---

[٦١] – محمود امهز: الفن التّشكيلي المعاصر، دار المثلث للتّصميم والطّباعة والنّشر، لبنان، ١٩٨١م: ٧.

سمة مميزة لها، محمولة على الاستعارات الرّمزية وما طرأ على واقع المعرفة العلمية من تطور وتعمق ودراسة، فضلاً عن الإكتشافات الحضارية والأثرية وكذلك المخترعات الحديثة وتطور التّكنولوجيا وتغير الحياة العصرية.

لقد انعكست هذه المتغيرات على الصّياغة العامة للأدب، فاصطبغ بأساليب تعبيرية عن إلغاء مفهومي الزّمان والمكان. وبتأثير الحياة العصرية بدأت الأعمال تبتعد في بنائها عن البناء الطّبيعي وقد تكوّن العولمة في ما تمثله بالنّسبة للرّوائيين دعوة مباشرة إلى ممارسة النّقد الذّاتي ليعيدوا النّظر في حساباتهم، ويعيدوا ترتيب البيت الفني من الدّاخل، وهذه الدّعوة تأتي بطبيعة الحال دون قصد من أصحاب العولمة، وقد يرى البعض من الرّوائيين أنَّ العولمة تمثل استفزازاً لهم، ولعله استفزازٌ مفيدٌ إذا أحسن الرّوائيون الرّد عليه باسلوب عقلائي بعيداً عن التّشنج والانفعال.

وصفوة القول إنَّ العولمة تهدف إلى محو الحواجز الزّمانية والمكانية والثّقافية بين الأمم والشّعوب، وتحاول بطرائق مختلفة فرض قيم



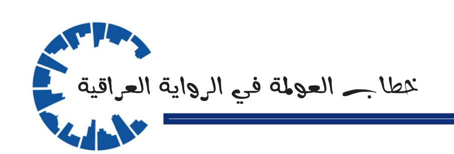
معينة لحضارة معينة أو قيم الأقوياء، فإنَّ ذلك لا ينبغي أنْ يصيبنا بالفزع وفقدان التّوازن؛ لأنَّ ذلك لن يجدي فتيلاً، ولن يتيح للرّوائي الفرصة للتّفكير السّليم، فنحن أمام أمر واقع، وواجب الرّوائي هو أنْ يتعامل معه، وهذا الواقع ليس كله شراً، وليس كله خيراً، ومن هنا ينبغي التّعامل معه على هذا الأساس.

- الرّواية بين التّحولات الفكرية والعولمية:

تنطلق العولمة في الأدب من طروحات المقاربة بوسائلها المتداولة الآن كافة، من حيث سهولة وتلاقح الأفكار وإيصالها وتقبل الآخر لنتاجات أدبية قد لا تكون مرتبطة بالضّرورة بجذور واضحة ومعروفة عند المتلقي البعيد عن منشأها من جهة الفكر والمعنى. فأصبح من ذلك العمل الأدبي المعروض ممتلكاً لمساحة أوسع مما كان وارداً سابقاً، بفعل الأدوات التي أتيحت للقراء وإمكانية تقريب المسافات كنتاج لمسعى المراكز في محو الحدود وإلغاء فوارق استقبال وتقبل معنى المنتج الأدبي "إنَّ العالم لم يعد

مسكنا لكيانات مجتمعية مفصولة ومعزولة عن بعضها البعض وإن العالم صار مترابطاً بصورة عضوية.. بحيث إنَّ ما يحدث في أي بقعة فيه يؤثر في جميع بقاعه الأخرى مهما تباعدت المسافات أو تنافرت الثّقافات"[٦٢]. فالأديب امتلك غطاءً قوامه الإندماج الكلّي في خط شروع فهم متسع للنّتاجات المتنوعة من مختلف الأقطار. فباتت الوسائل التّقنية وبسبب تميزها في جهات دون سواها، تؤمن ذيوع مسلك أو اتجاه إسلوبي يرافقه زخم إعلامي يكون الغرض من ورائه تأمين القبول عند الآخر، وإنْ تحقق بدرجات متفاوتة عند قرائه المختلفين من حيث الانتماءات الإبتدائية. وإنَّ مفهوم الإنصهار الثّقافي لا يشترط، أو يسعى لجعل المتلقي على قدم المساواة مع المرسل لتلك الأعمال الفنية، لتذويب مفهوم المستويات الذّوقية وتعادل درجات التّقبل، ليؤمن بذلك وصول تأثير التّيار أو الحركة الأدبية إلى أوسع مدى ممكن تحقيقه "ومع ما بعد الحداثة محو الحدود بين الثّقافة العليا والثّقافة الدّنيا. .. تؤدي إلى اختلاط الامور لدرجة يصعب معها الفصل بين الأدب

[٦٢] – حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: ١٩٧.



الرّفيع وانماط السّوق. أي الدّخول إلى عملية تهجين ثقافي لا يبقى هنالك شيء اسمه ثقافة أصيلة"[٦٣]. فالأدب في العولمة لا يتم إطلاقه من خلال القفز على الثّقافات الرّافضة، بل يتم من خلال جعل الفهم العام متقارباً، أو في أقل تقدير فهم طروحات الآخر حتى مع الاحتفاظ بأصل ثقافي يعرف عن جذور حضارة أو تجمع بذاته. بما يجعل ذلك إمكانية موازاة الاتجاهين (الأصيل والوارد حديثاً) مع بعض بمسعى دمجهما في النّهاية، والاشتغال أدبياً وفق طروحات المستقدم وتزينها بحلة محلية واضحة.

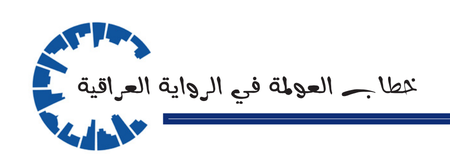
وهذا ما نلمحه واضحاً في قصة وسيناريو فلم (بابل) للكاتب (غييرمو أرياغا) مكون من ثلاث قصص درامية متكاملة تدور أحداثها في المغرب، اليابان، المكسيك والولايات المتحدة. إذ تجري أحداثه في الصّحراء المغربية، عندما يقرر أخوان طفلان يرعيان قطيع الماشية المملوك لعائلتهما، أن يختبرا بندقياتهم، ولكن تذهب أحد الطّلقات بعيداً جداً، وتتغير

---

[٦٣] – باسم علي خريسات: مابعد الحداثة دراسة في المشروع الثّقافي الغربي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦م: ٣٠٨.

حياة خمسة مجموعات من النّاس في ثلاث قارات مختلفة. تشمل المجموعات زوجين أمريكيين (براد بيت، كيت بلانشيت) إذ تصاب الزّوجة بالطّلقة وهم في الحافلة السّياحية، ومراهقة يابانية صماء ووالدها إذ إنَّ البندقية كانت ملكاً للياباني، ومربية أطفال مكسيكية برفقة طفلين أمريكيين عبرت بهم الحدود وهذان الطّفلان هما ابنا الزّوجين الأمريكيين والمربية أرادت فقط حضور زفاف في العائلة لكن ذلك كلفها الكثير.

إنَّ ما يميز العولمة ليس فقط قدرة الصّهر الثّقافي وإرسال الخطاب المؤدلج ليكون في صميم تجربة الجهة المستقبلة، وإنّما من خلال إحلال مفاهيم أعم تمثل قاعدة لأجل إنجاح خاصية الاستقبال. فالتّركيز بداية يكون على مفاهيم التّقبل والاستعداد الإبتدائي لتداول الوافد الجديد، حتى يتسنى لأساليب الأدب العالمية من أنْ تغزو المحاور البعيدة عن مراكز الإنتاج العام. وإنَّ مفهوم الأدب في ذاته لم يعد حكراً على مواقع مكانية بعينها، وإنما كان للتّقدم التّقني دورٌ في جعل النّتاج الأدبي من المقتنيات الشّخصية، أسوة بفن الرّسم وكذلك الخزف أو النّحت أو الأشرطة والأقراص

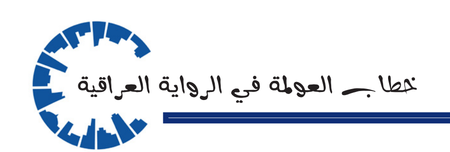


المدمجة الموسيقية، مع وضع ذوبان الحدود وتبلور ظاهرة التّهجين كمعاضد لذلك المسعى ومكمل لطرائق عولمة المنجز الفني بشكل عام، والأدبي بشكل خاص وبعد أنْ انتشرت ثقافة الاقتناء وأصبحت البيوت بمثابة المكتبات الصّغيرة لجمع المقتنيات الأدبية، غير أنَّ الانتقالة الأهم هي التي أحدثتها التّقنية العالمية اليوم، إذ تم تأسيس أمكنة افتراضية جديدة، استطاعت أنْ تحقق انتشاراً كبيراً وعظيماً في الوقت ذاته، لما لها من القدرة على تجاوز خاصية المكان والزّمان واللّغة وغير ذلك. فيلاحظ من ذلك أنَّ سعي العولمة بطريقتين هما: الأول في إذابة حدود وفواصل الكيانات المتنوعة للأدب، لينتج من ذلك البديل المتسع مساحة، مقارنة بماضي الأدب؛ والثّاني إذابة فواصل الذّوق العام ومقاربتها أو توحيدها إنْ أمكن، ومن ثمَّ تكون المحصلة عتبة تلاقح أدبي بين مرسل ومستقبل تؤمن هيمنة المرسل المستند على أدوات العولمة وقدرات المراكز ذات الجذب الأعلى.

هذا الإنصهار المتقابل بين المادة الأدبية والجهة المتسعة أو القاعدة الافقية من الجمهور، باحتساب أنَّ أدباء الأطراف سيمثل لهم وفق

ذلك جمهوراً يقرأ النّتاج الوارد ويعيد تشكيله من جديد. ومن ثمّ فإنَّ المدى أو المسار الذي يسلكه الأُسلوب العام، أو المنتج الأدبي الجديد، سيبلغ مديات قصوى من التّأثير ما كانت لتتحقق لروائيي العصور المنصرمة. وبما يرجح سرعة ظهور نتائج مشابهة عند الأطراف بزمن قياسي نسبياً. وقد يتبين من ذلك أنَّ المراكز تستثمر تعالقات العلم والطّروحات التّقنية، لربطها مع الأفكار والمخارج الشّكلية أو سبل الإظهار الأمثل لتأمين سرعة تحقيق المنجز ووصوله، وبذلك يتبين "أنّ رفض فكرة النّظر إلى الفن بوصفه ابداعا اصيلا ومتفردا في الزّمان والمكان. ومهد الطّريق للقول ان رسالة ما بعد الحداثة تكمن في أن الصّورة قد اصبحت الآن سلعة تنتج آليا، وجزء من منظومة السّلع والاتصالات الكلية، إذ يمكن التّقاط الاساليب المدركة والمنقولة عولميا في اي مكان، وفي اللّحظة نفسها، مكنها أنْ تتحرك حرة أيضاً من قارة إلى اخرى"[٦٤]. فيمكن من ذلك اعتبار الرّوائي في المراكز والمؤسسات الأدبية

[٦٤] – شاكر عبد الحميد، عصر الصّورة: السّلبيات والايجابيات: الكويت. عالم المعرفة. مطابع السّياسة. ٢٠٠٥م: ٣٦٣.



مشروع انتاج يأخذ في حساباته عولمة ما يقدم، وزيادة ضخ النّتاج وسرعة انهائه بفعل دور الآلة المتسارع الارتباط والتّعالق مع مسار الأدب. لتكون النّتيجة زخماً إنجازياً يؤمن استمرارية التّأثير وإغراق المتلقي بالمنجزات التي تزاحم المحلي وتتعالق معها في أقل تقدير.

لذلك فإنَّ الأدب العالمي المعاصر، أفاد من دور الآلة، الذي سهل عملية الإنجاز واختصار الوقت والجهد. وما كان يحقق بعددية أكبر سابقاً، بات الآن يشتمل على ترجيح دور الأفكار فوق الإنجاز اليدوي الحرفي، وبما أعان على اختبار نتائج الأفكار التي لم تجد لها صدى مسبقاً، فتحقق عن ذلك نتائج مفصلية في مسيرة الأدب العالمي. الأمر الذي مثل انزياحاً واضحاً في خط الإنجاز التّقني. وبما يدعو إلى اعتبار التّقنية المستحدثة في ذاتها ستمثل تأثيراً مضافاً يحسب للعولمة.

فالأمر من ذلك يعد دعوة وتشجيعاً للاشتراك في هذا الحقل وما يحمله من إغراء متزايد بفعل سهولة الإنجاز موازنة بما تقدم. فالتّقنيات



المعاصرة باتت تقدم بشكل دعائي تجعل الأديب ينزح نحو تجربتها واستثمار قدراتها. والأمر لم يعدْ مقتصراً على الرّوائي فقط، فالأدب أخذ ينزوي تباعا عن التّقنيات الحرفية لمصلحة تمثيل الأفكار في وسائط أداتية، بات يجذب العديد ممن يرومون التّجريب في ذلك السّياق، دون الحاجة إلى تأكيد قدراتهم الأدبية الابتدائية، ما دام العالم تسوده اليوم منتجات أدبية تتسم باللاتشخيص ومقاربة المنجز الآلي المستخدم في الحياة اليومية، والتّي تمثل على بساطتها الظّاهرة، عامل إغراء لكل قرائها على مختلف انتمائاتهم المكانية والثّقافية، لأجل تقديم المقارب منها، أو المنجز تحت إيحائها، وبذلك يمكن عدّ "الثّورة التّقنية قد أسفرت عن ثورة في الآداب منذ أن أصبحت متوافرة وفي متناول الجميع"[٦٥]. فالأمر وفق ذلك يمثل تحولاً واضحاً في المفاهيم والتّعامل مع الطّروحات الأدبية الرّوائية، بعد أنْ تمكن الأدب التّشخيصي من الثّبات طويلاً في التّأثير على العامة من المتلقين وعلى

---

٦٥ – شارة بترونيا: العولمة ملاحظات حول المتغيرات التي طرأت في ميادين الآداب والثّقافة في نهاية القرن العشرين، تر: يحيى الشّهابي، مجلة الفكر السّياسي، تونس، العدد ٥٤، ١٩٩٨م: ٣٤٧.



الأجيال النّاشئة تباعاً من الرّوائيين. لذلك يمكن القول إنَّ حتمية التّحول في ظل المعاصرة وبفعل مفاهيم العولمة، أحالتّ المنجز الأدبي المعاصر إلى دائرة اشتغال أوسع وأبعد مدى من حيث أدوات التّنفيذ الإبتدائية (المعالجات الفكرية) والنّهائية (المخرجات أو الاظهارات التّقنية)، فليس بالمستغرب أنْ تكون الطّروحات السّابقة بمثابة الدّافع أو المحرض الواضح لأجل توحيد الخطاب الأدائي في تلاقح واضح بين المراكز والأطراف المتنوعة، ما دام الرّوائيون، بإختلاف مشاربهم وثقافاتهم، قادرين على استثمار ذلك في طروحات أدبية تماهي مفهوم التّقبل المحلي لديهم، من خلال تسخير تلك الآلية الأدائية وجعلها متوافقة والفكر المبني على المحلية لأجل الوصول إلى منجز يتسم بالجدة والتّأثير لديهم، أو ربما أبعد من ذلك من خلال إعادة تصدير المستورد بحلة جديدة. ومن ثمَّ سيكشف ذلك عن مفهوم العولمة في مجال الأدب بصورة جلية عند المتتبع، من دون الحاجة إلى الدّخول في ما يقدمه منجز المهمش من مضمون قد يكون منغلقاً على العالمية بسبب إيغاله في محليته. الأمر الذي سيشكل تواشجاً مع العالمية على مستوى



عتبة الإنجاز الأدائي وليس على مستوى إرسال الأشكال المنجزة، فيكون تحقيق التّأثير من خلال اسلوب الصّياغة والبناء (المتداول عالمياً) فقط.

هذا الأسلوب من التّوحيد العالمي، الذي يروم الدّمج بين الأساليب، إنْ لم يكن عن طريق وحدة المضمون، سيمثل أرضية مشتركة تكون بمثابة لغة متداولة بنطاق عالمي، تمهد الطّريق نحو تقارب الطّروحات وإنْ كانت بصيغة غير مباشرة، أو أنْ تقارب بين قدرات الحوار الرّوائي بين المنجزات الرّوائية وبين المتلقين المختلفين بسبب مرجعياتهم الثّقافية. بذلك يمكن اعتبار أنَّ العالم برمته يتجه في بنية التّداول لما يسمى بوحدة السّياق الكوني، أو يمكن القول بأنَّه يتجه نحو اللّغة الموحدة في بنية الخطاب بشكل عام. من تلك العتبة يتم الإنطلاق نحو التّنوع الذي يبقى في دائرة القراءة الكلّية العالمية.

فليس ذلك بمستغرب على أنْ تقام المعارض العالمية الجماعية للأدباء والرّوائيين، أو أنْ يقدم روائي أوربي أو آسيوي نتاجاته في قارة



أخرى. وعلى ذلك لا يعدو الأمر سوى اتساع في دائرة المتلقين لتشتمل جمهور العالم المهتم بتلك الحقول الأدبية بأجمعها. وبالنّتيجة فإنَّ المشترك أو الجامع العام في الاسلوب، أو في المخرجات الشّكلية، قاد حتماً إلى جعله نقطة مركزية يتسع نطاق محيط دائرتها مع تفرع الأدباء الذّين يقدمون أعمالهم تحت سقف تأثيرها. وبما يجعل العولمة واسطة تقفز من خلالها الأعمال الأدبية من فوق العوائق التي تفرض سلفاً، دون الحاجة إلى أنْ تستصحب معها الشّروحات التي تؤمن هيمنتها.

لذلك يمكن استثمار كل فكرة جديدة، أو إعادة صياغة وتحديث ما مضى من طروحات قابلة للمواءمة مع موجة توحيد السّياق التي تسود العالم اليوم. ما دامت المسوغات التي تؤمّن العولمة قد أخذت استقرارها وسط نسيج التّواصل بين أقطاب العالم وأركانه المتنوعة.

لا يتم الإبداع الرّوائي في عصر العولمة بوحدة اسلوبية بوصفها غاية وحيدة، فالتّنوع في ذاته يشكل مناخاً لتلاقح ودمج الجميع في مسار



جامع لما يطرح. وعلى ذلك سيكون التّنوع عامل ديمومة في الوحدة الكلّية. فما ينتج من جديد في المركز أو الهامش، يكون قابلاً للانتقال سريعاً نحو مكان آخر بمجرد دخوله على واسطة التّواصل الآخذة في التّوغل في صميم بناء المجتمع المعاصر. والتّميز الفردي على ذلك يبقى جزئياً ومحكوماً ضمن الإنساق العامة التي يؤديها الرّوائي، بحدود وأطر المناخ العام الذي يغلغل نتاج المرحلة الرّوائية بكلّيته وكما يتضح من كون التّنوع لا يعني الإختلاف بالضّرورة، من خلال فعل الرّوابط التّقنية، أو الموجات الاسلوبية التي تؤلف بنية النّتاج الرّوائي المعاصر. فإنْ تم استنباط أو تطوير لمفصل اسلوبي ما، وحاز على سعة الانتشار الإعلامي، فإنَّ تطبيقه سيكون متنوعاً بصورة مرجحة، توحي بالتّنوع والتّعدد على الرّغم من أنَّها ترجع لأصل واحد. كما حدث مع الرّوائي العراقي (أحمد سعداوي) ورواية (فرانكشتاين في بغداد)[٦٦] إذ تمت ترجمتها إلى أكثر من خمس عشرة لغة ما منحها التّعدد والإنتشار

---

٦٦ – أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

الإعلامي، وفي مفاهيم العولمة ستكون المراكز المؤثرة هي صاحبة الإرسال في الغالب، أو أنَّها ستستثمر طروحات روائيي الهامش لإعادة إرسالها بمواءمة أوضح نحو سعي الأقطاب المهيمنة في بث طروحاتها على وسائط جمالية وأدبية أوسع.

إنَّ الرّواية أدبٌ يشتمل على إدخال غير الوارد قبلاً، وانتشار تلك الظّاهرة عالمياً، الأمر الذي دفع المهتمين حتى مع انعدام الاستعداد الإبتدائي والقدرة على تشكيل المنتج الأدبي وفق المألوف سابقاً، سيقود إلى اتساع دائرة المفردات البنائية، ما دام كل شيء متاحاً بمنطق المعاصرة، شريطة أنْ يكون الجديد مؤثراً وفاعلاً بأقصى المديات الممكنة على المتلقين والأدباء الآخرين، فليس مستغرباً – بعد ذلك – أنْ تكون المنتجات المخصصة لأغراض وظيفية وبعيدة عن مجال الأدب والرّواية بشكل عام، أنْ تستقدم وتكون في صميم التّجربة الرّوائية المعاصرة، كظاهرة جديدة قدمتها مراكز إرسال عالمية لتغزو التّفرعات وتكون ظاهرة جديدة تضاف لتراكم



الاستقدامات المتواترة منذ مرحلة الحداثة ولهذا الوجه من الأداء قدرة تحفيز وتنقيب وإعادة توظيف لما مر بنا ولم نعرهْ أيّ اهتمام أدبي.

وبذلك قد يكون منهاج التّنقيب له دور في إعلاء هوامش وإطاحة مراكز، ما دامت عتبة الأداء متاحة للجميع ودون استثناء، ما خلا الأفكار التي قادت نحو ذلك التّباري في تقديم المنجزات الرّوائية المعاصرة. فلا يكون وفق ذلك مستغرباً أنْ تنشط دولة أو عاصمة في مكان ما من العالم وتقدم كصيحة أدبية من خلال نتاجات تحوز على الإدهاش والتّفاعل من قبل أماكن أخرى، ما دام الأمر لا يعتمد على الخزين المدخر من الإرث الأدبي. ونشير إلى أنَّ تلك الإبداعات في مجال الأدب قد اعتمدتها أمريكا لأنها لا تحتاج إلى الماضي الفني؛ لأنَّ لها من التّأثير ما تأمن فعله نتيجة لدور العولمة الثّقافية وصبغ التّنوعات في التّلقي بمسحة من الانصهار في سياق عام يتيح للمختلف أنْ يحل بديلاً للأصيل في أيِّ بقعة من العالم، أو أنْ يشاركه في التّأثير وتفاعل الجمهور معه.



فضلاً عن وجود مساعدة تقدم للنّتاجات التي تتعثر في الوصول إلى الآخر بفعل مخالفتها الواضحة، أو امتلاكها للإبهام الذي يعقد إدراك غاياتها. وتتمثل تلك المساعدة من خلال الوسطاء الذّين يقدمون الشّروحات الاستباقية أو المسايرة للمنتج، وبوسائل شتى، حتى يكون له قاعدة تقبل أوسع وتأثير أعلى. وبالطّبع فإنَّ ما للعولمة من أذرع امتدت بها إلى بقاع العالم المتنوعة، قد ضاعفت من فرص وصول تلك التّوضيحات والدّعايات، ومن ثمَّ إقناع أعلى يحوز عليه المنتج الرّوائي الذي يبحث فيه الرّوائي عن التّغريب والتّفرد باستمرار، مثل الكتب الحائزة على تقييم خمس نجمات في الانترنيت. وبما يجعل أيَّ فكرة محلية تملك النّجاح وفق منهاج العولمة، مادة تستحق الإشهار والادعاء عليها إنْ لزم الأمر حتى تحقق أفضل حضور ممكن، من خلال هؤلاء الوسطاء القادرين على فعل ذلك "الوسطاء الثّقافيون يعملون بين الاعلام والحياة الفكرية والاكاديمية ليساعدوا على تسهيل نقل أو تداول البرامج الفكرية الشّعبية إلى الإعلام"[٦٧]، هذه الآلية التي وظفت في

---

[٦٧] – مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك ومابعد الحداثة، تر: فريال حسن خليفة، مراجعة فتحي



خدمة منطلقات العولمة لغرض انجاز هيمنة أدبية، إنْ لم يكن بوساطة تأثير المنتج مباشرة، فإنَّها ستكون من خلال الدّفع الإعلامي المصاحب له. ومنه يتبين أنَّ الرّوائي إنْ لم يكن له حظوراً على ساحة الاعلام، حتى وإنْ امتلك مقومات النّجاح، فإنَّه سيبقى مختفياً في الظّل، نتيجة توجه الجمهور نحو مناطق إضاءة إعلامية دون سواها؛ لأنَّ الإعلام يكون ركناً من عملية الإشهار التي يرتجيها الرّوائيون المعاصرون. ولاسيما في مناطق الإرسال والمراكز العالمية المضطلعة بذلك.

إنَّ العولمة في أدب الرّواية لم تنشأ من العدم، إذ كان لابد من وجود مرتكزات ابتدائية تسمح بأستخدام أدوات العولمة ومفاهيمها، فتكون النّتائج المستثمرة تباعاً تحقيقاً لغايات الهيمنة والإنتشار، ما دام الإتجاه العام للحركة الأدبية والثّقافية يروم الوحدة الكلّية مع امتلاكها لتنوع ضمني، وكان لابد من وجود مرتكزات شكلية أو اسلوبية يحسب فيها أنْ تكون ذات صبغة عالمية، أو أنْ تكون قابلة للاستثمار فيما سيلحق من فترات متقدمة.

عبداللّه دراج، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩م: ١١٣.

وسيكون لبعض روائيي الأجيال السّابقة حضورٌ واضحٌ في المعاصرة، كونهم اعتمدوا صيغاً بنائية تمكنت من الصّمود مع موجات التّبديل السّريعة والمتعاقبة، كما توسع مجال الأدب ليشمل عددية ما كانت تقدم فيما سبق.

لم تكنْ ولادة تلك القفزات الاسلوبية أو الشّكلية بمعزل عن بواكير توجه فكري عام اضطلعت به أمريكا، من خلال بث ثقافات معينة يكون لها تأثير مباشر على الذّوق العام وعلى تسيد اتجاهات وأساليب أدبية دون سواها، الأمر الذي يجعل الرّوائيين يعملون بمقتضى ايحائها، فتكون النّتائج المستقبلية خدمة لأجل ترسيخ تلك المفاهيم. وفي قراءة مباشرة لمفهوم الاستهلاك وثقافة الابدال المتسارعة، يتبين المغزى والجدوى من زيادة عدد الرّوائيين، أو المشتغلين في مجال التّخصص الرّوائي، ما دامت كلمة روائي ستطلق على كل من يملك فكرة جديدة تطوع بوسائط موائمة وتقدم بعدّها عملاً روائياً فنياً، فخلف ثقافة الاستهلاك ذاتها اللّعب أو اللّهو السّاخر، إنَّها ضد الموقف المتحفي والأكاديمي في عمل الأدب وكيانه. واتساع سوق الأدب وتزايد الرّوائيين والفنانين والعاملين في المهن أو الحرف المساعدة



ولاسيما في مراكز العواصم[٦٨]. فالأمر يكون انقلاباً على الأدب الأكاديمي المتوارث، بمقدار ما مثل تحولاً نحو منطلقات عالمية جديدة يتيح للانتشار أنْ يعاضد سمات العولمة ويخدمها. حتى وإنْ كان تأثر الرّوائيين وعملهم، سواء في المراكز أو الأطراف، بمعزل عن إدراك تلك الرّسالة المحملة على اتجاهات الأدب والرّواية المعاصرة.

تسير مع تلك الآلية في عولمة الأدب المعاصر، مظاهر ثقافية تسند ذلك التّوجه وتحيطه بالمبررات على الاشتغال بهديه، كانبثاق مصطلحات الوحدة البشرية من حيث الحرية المطلقة وضرورة النّهوض عن أرضية مشتركة وجامعة. الأمر الذي سيقوم بتوحيد القاعدة الجماهيرية مثلما سيقوم بمقاربة رؤى الرّوائيين بالإجمال "فالقول بالمساواة بين البشر، والحرية الفردية عند البعض يعتبر عند الآخرين ازدياداً في القدرة على المعالجة الأيديولوجية"[٦٩]، فالتّأكيد على مفهوم الوحدة العامة والمقاربة بين

---

٦٨ – ينظر: مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك ومابعد الحداثة، مصدر سابق: ٨٠.

٦٩ – م. ن: ٥٩.

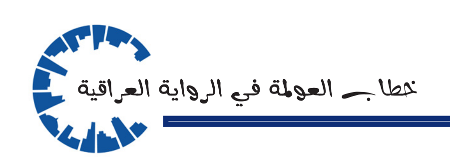


المختلفين، سيشكل الرّكن الأساس في منظومة بث الخطاب المعاصر دون الحاجة إلى تجزئته بغية قبوله من قبل مختلف الثّقافات، الأمر الذي سيسهل قيام الأساليب الرّوائية المعاصرة بالانتشار السّريع والقبول عند الآخر. فإنْ امتلك مركزاً ما قيادة الأساليب والإتجاهات الأدبية بصورة أعلى من المراكز الأخرى، فإنَّ ذلك سيولد له حاضنة في الأطراف المستلمة تتيح له أنْ يكون مركز بث ونقطة الجذب، لحين وجود بدائل تفرض نفسها دوناً عنه.

ولذا فإنَّ العولمة ستقدم هجيناً واضحاً وخلطاً مقصوداً بين المتوارث والوارد حديثاً. وإنَّ عامل الإيحاء وإغراء المستورد سيشكل مرجعاً، مثلما سيكون للنّخر حظورٌ هو الآخر، والنّتيجة ستكون وحدة يقدمها الدّمج المستمر، بفعل ضغط الإعلام والذّي سهل وصول الجديد عند الرّوائي، دون الحاجة إلى الذّهاب عند موارد الإنتاج، فإذا كانت هذه الآلية تتضمن ذهاب الرّوائيين إلى عواصم الأدب المعاصرة، فالنّتائج المتحققة في مسعى العولمة ستكون أوضح ظهوراً في نشوء اسلوب لدمج التّراث الغربي بالشّرقي وذلك بصهر إرث هذه الآداب معاً.

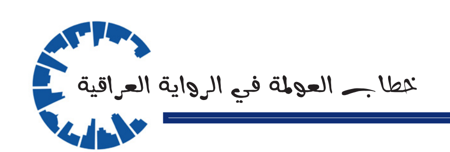


إنَّ العولمة وبما تقدم من سياقها، لا يعني أنَّها قد سيطرت على مجمل نتاج المعاصرة الرّوائي، أو الأدبي بشكل عام. إذ امتلكت العديد من الأطراف والمراكز، سمات التّفرد والابتعاد عن حالة الانصهار العالمية، والإبقاء على الطّابع المحلي وجعله هويتها المعرِّفة لها، بمعزل عن هيمنة النّسق العالمي الآخذ في ابتلاع الهويات الخاصة وجعلها جزءاً من كل، واجب القيام، حتى يمكن لها أنْ تقدم ذاتها عالمياً، وإنْ كانت المراكز أو الأطراف الرّافضة لحالة الإنصهار تلك، تروم الابقاء على ذاتها المنزوية عن قبضة العولمة، فيتوجب أنْ تملك إرثاً وخصائصاً متفردة في مجال الأدب، فضلاً عن الثّقافة، التي تعينها على البقاء مستقلة وحاضرة في ذات الوقت وبما يعزز تصور أنَّ العولمة وإنْ كانت تبغي توحيد الذّوق أو مقاربته. من حيث قاعدة الاستقبال أو من حيث الرّوائيين الذّين ينضمون أدائياً في سياقها، فإنَّ نتائجها النّفعية ستسير نحو أقطاب دون سواها، بعدّه الموجه الأول للعولمة والمفيد من معطياتها المستحصلة. فتحول هاجس الآخرين إلى حالة من الرّفض والبحث عن التّفرد من خلال الخروج عن النّسق



وتشكيل أقطاب مرسلة، في محاولة لمزاحمة الجهات المسيطرة في عولمة الأدب المعاصر.

إنَّ هذه المعادلات في البحث عن تواجد عالمي، وسط المجموع، أو بالإنزواء عنه، سيولد صراعاً تتجاذب فيه الأقطاب ويؤدي دور المؤثر الأكبر والهيمنة العالمية، متى ما أمتلكت مقومات النّجاح والإرتقاء، وبذلك يكون سياق الأدب العالمي المعاصر، حالة من التّفاعلات والتّجاذبات المستمرة وغير المنتهية، على مستوى العالم ككل، أو حتى ضمن البلد الواحد؛ لأنَّ المستورد لا يدخل ويستوطن بيسر دون أنْ يجابه بمعارضة متوقعة، ومن المرجح أنْ تكون ثلاثة مستويات في داخل أيّ قطب يستلم أو يتفاعل مع المادة الأدبية المستوردة: المستوى الاول يمثله التّمسك بالمرجع المحلي دوناً عما يردِ من الخارج. ومستوى ثانٍ يرحب بما يقدم حديثاً لكونه صيغة الأداء العالمي والطّريق نحو الحضور خارج حدود المحلية. ومستوى أخير يكون خليطاً بدرجات بين ما هو موجود مسبقاً وما يقدم حاضراً كما "إنَّ الثّقافات المتنوعة تتواصل فيما بينها هذه الايام الأمر الذي جعلها اكثر



نفوذية حتى ضمن البلد الواحد. فالثّقافة اليابانية تعد ثقافة غربية واسيوية، والثّقافة التّركية تعد ثقافة اوربية واسلامية، والثّقافة الاسترالية ثقافة انكلو ساكسونية وثقافة اسيوية"[٧٠]. لذلك من الممكن أنْ تنشأ الثّقافات الجديدة، التي يبدو فيها جلياً التّنوع بإمكانية إعادة جزئياته وانسابها إلى مواطن قدومها، أو قد يكون لذلك التّجاذب نتائج جديدة لا تمت بصلة لأيِّ مرجع مباشر. وفي هذه الحالة سيتحقق فعل العولمة في الأدب المعاصر، فبات الاسلوب أو الطّراز العربي على سبيل المثال، رافداً وجزءاً من كل عام، في نمط مقروء وفق منهاج العولمة، ومن جانب آخر بقي حائزاً على خصوصيته ويقدم وفقها، ونمط قراءة آخر يغرق في تأكيد المحلية والارث الحضاري المتوارث.

هذه الخلطة المستحدثة كفيلة بجعل مفهوم الهوية والأصالة متخلخلاً قابلاً للتّراجع أمام المد العالمي الذي تسوقه المراكز على الأطراف،

---

[٧٠] – شارة بترونيا: العولمة ملاحظات حول المتغيرات التي طرأت في ميادين الآداب والثّقافة في نهاية القرن العشرين، مصدر سابق: ٣٤٧.



وإنْ كان من تبدل في الذّوق وطبيعة تقبل الوافد من الخارج والتّفاعل معه، قد شابها التّبدل التّدريجي لصالح الرّؤية التّوسعية. فإنَّ قيمة المحلي ستتراجع قطعاً لمصلحة الفوضى العولمية التي يحققها الإندماج والتّواشج الحاصل بفعل عولمة الأدب المعاصر. ومن ثمَّ يكون لطبيعة القراءة المعاصرة، عدم الاهتمام نحو الاحتفاظ بما يقرأ كخزين في الذّاكرة، سيكون لها دور كبير في جعل التّكرار والإضافة ممتلكة لذات القيمة التي تحققها النّتاجات الرّوائية المتفردة أو السّباقة في الطّرح. هذا الاختلاط المقصود والممنهج ولّد حظوراً مستمراً للأساليب المتجددة، ما دام الرّوائي يروم البحث عن الموائم مما يقدم له، أكثر من كونه باحثاً عن تحديد هوية ما يعرض له، سيما وإنَّ الجديد يحمل معه الإغراء نتيجة الصّدمة ومخالفة التّوقع التي توطن على رؤيتها الرّوائي والمتلقي في مرحلة المعاصرة.

الفصل الثّاني

خطاب العولمة في الرّواية العراقية

(التّطبيق الإجرائي الأول)

- المبحث الأول: مفهوما الأوربة والأمركة.
- المبحث الثّاني: مناهضة العولمة والسّرد المضاد.



خطاب العولمة في الرّواية العراقية

(التّطبيق الإجرائي الأول)

تهدف العولمة إلى بث مفاهيمها في العالم ومن هذه المفاهيم مفهوما الأمركة والأوربة عن طريق جعل الآخر النّامي منبهراً بالقيم والثّقافة والممارسات وحقوق الإنسان وكل شيء، وهذا ما سنتحدث عنه في هذا الفصل إذ رصدنا في النّصوص الرّوائية تأثر المثقف النّخبوي أي الرّوائي العراقي بمفاهيم العولمة بقصد أو بدون قصد فقد صور لنا في نصوصه الرّوائية صورة الآخر والانبهار بها وكيفية تعامل الآخر معه كما بين لنا نظرة الآخر تجاه الشّرقي كذلك.

حسب مفاهيم العولمة وجدنا للآخر أشكالاً مختلفة وهذا الاختلاف يأتي من الإختلاف اللّغوي والعقائدي وحتى العرقي والقيم والتّقاليد والثّقافة وغيرها، وهذا كله كان حاضراً عن طريق ما بناه الرّوائي العراقي من



ترابطات مع هذا الآخر ولا "تتضح صورة الآخر إلا من خلال طبيعة العلاقة التي تنسجها الأنا معه بطريقة إيجابية أو سلبية"[٧١].

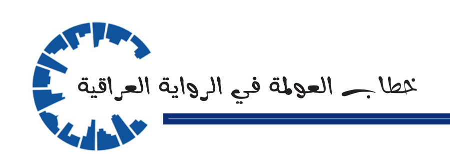
إن الآخر بوصفه مصطلحاً قاراً في الرواية قد دُرس كثيراً في دراسات عدة، كالكولونيالية وما بعدها وكل الاطروحات التي يدخل فيها كالدّراسات الثّقافية والاستشراق، لكنه لم يدرس من النّاحية العولمية ومفاهيم العولمة، كما يمكن أنْ نعد الآخر هو المختلف عنا ثقافياً أو إنه المحتل أو الشّريك ويمكن أنْ يكون الإختلاف "اختلافاً ثقافياً يشكل جزءاً من نظرتنا للذّات، سواء تقدم إلينا بوصفه شريكاً متساوياً، أو في هيئة غازٍ أو تاجرٍ أو مبشر، أو بعدّه كياناً متغطرساً أو مهادناً"[٧٢].

وقد يكون مصطلح الاخر هو الذّات أو ما خارج الذّات ونطاقها البعيدة عن العقد الذّاتية وقد "يعني مفهوم الاخر كل ما هو (غيري) أي ما

---

٧١ – محمد الدّاهي، صورة الأنا والآخر في السّرد: دار رؤية للنّشر، القاهرة، ٢٠١٣م: ٧.

٧٢ – محمد نور الدّين أفاية، الغرب في المتخيل العربي: مركز الإعلام والإرشيف الدّولي سلسلة دفتر ١٩٧٥م: ١١.

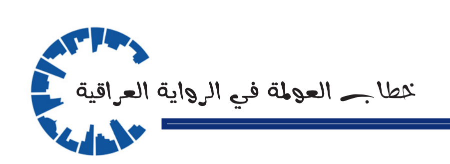


هو خارج نطاق الذّات، والحداثويون في ترويجهم للحداثة ومن بعدهم يرون أن الحداثة وما بعدها يمثلان النّظرة الأرقى للآخر، أي انهما دعتا إلى النّظرة الإنسانية بين أفراد المجتمع بعيدا عن الظّلم والاستغلال والإقصاء"[٧٣] ونقصد بالآخر (Other) في دراستنا لخطاب العولمة ليس الآخر بالمفاهيم الاجتماعية أو الفلسفية أو النّفسية وإنما نقصد به الغربي والأمريكي.

ونجد في النّصوص الرّوائية التي سلطت الضّوء على هذا الموضوع وبينت لنا كيفية العلاقة بين الآخر وكيفية التّأثر من الآخر في كل شيء، كما وجدنا نوعين من الآخر على شكل صورتين متمركزتين على الانبهار والمناهضة فالأول هو من ينظر إلى الآخر بأنَّه الحلم الذي كان يريد وهو اليوتوبيا التي كان ينتظر، وأصبح ضحية التّزييف الذي يسببه فهو لا يرى الأمور كما هي ولا يرى حقيقة الآخر، والثّاني كان بصورة المناهض المعادي والمقابل بالضّد.

---

[٧٣] – سمير كاظم الخليل، دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي، مر: سمير الشّيخ، دار الكتب العلمة، بيروت، ٢٠١٦م: ٩.



- المبحث الأول: مفهوما الأوربة والأمركة:

مفهوم الأوربة (Europeanization):

الأوربة مفهوم حديث استخدم لكل ما هو أوربي من حيث الاستعمال أو الفكر أو من حيث التقليد إذ" أصبحت الأوربة (إضفاء الطّابع الأوربي) مصطلحاً مشهوراً في الحوار العام منذ التّسعينيات عندما اكتسبت عملية التّكامل في أوربا قوة جديدة وعندما احتلت الأسس ونهائية المشروع الأوربي قاعدة عريضة في المناظرات العامة بشكل متزايد. ويجب ملاحظة أنَّ جميع هذه المصطلحات ترى على مستوى معين أنّ أوربا أو الأوربي تعد مفاهيم غير مثيرة للجدل"[٧٤].

ويمكن أن تكون بعض التّصرفات والأوصاف أوربة "وقد تم وصف العديد من الظّواهر والعمليات بأنَّها (أوربة/ إضفاء الطّابع الأوربي)

[٧٤] - انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية، تر: اسيا دسوقي، مر: سمير كرم، زينب ساق اللّه، الشّبكة العربية للأبحاث والنّشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٧٦.



ومن بينها: أ- التّوسع المتتابع لحدود الاتحاد الأوربي؛ ب- التّجمع المستمر للتّركيبات التّنظيمية والقانوينة للسّلطة الرّاسية(التّسلسلية) على المستوى الأوربي؛ ج- عملية التّحديث والتّجانس؛ د- تصدير أشكال الإدارة التي تعد انموذجاً من الإتحاد الأوربي؛ هـ- التّاثيرات على الأنظمة السّياسية المحلية التي نتجت عن ما هو(اوربي) عادة أشياء مؤسسية أو قانونية"[٧٥].

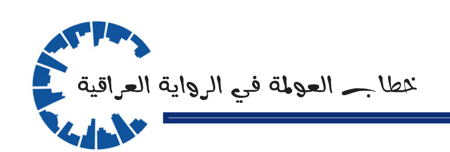
كما يمكن أنْ يكون التّأثير اجتماعياً أو أدبياً "وفي العلوم الاجتماعية فهمت كتلة الأعمال الأدبية التي صدرت حول الأوروبية(الأوربة/ إضفاء الطّابع الأوربي) المصطلح بالمعنى الأخير. فعلى سبيل المثال تعرف بأنَّها عملية من التّغيير في الممارسات المؤسسية والسّياسية القومية التي يمكن أنْ تعزى إلى التّكامل الأوربي"[٧٦].

مما سبق يمكن القول بأنَّ الأوربة هي كل ما يطمح ويسعى لتقليد وإضفاء الطّابع أو الأُسلوب الأوربي ويتجسد هذا المفهوم بوضوح في

---

[٧٥] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ٧٦.

[٧٦] – م. ن: ٧٦.



رواية (الوليمة العارية) لـ(علي بدر) إذ نجد شخصية (منيب أفندي) التي تمثل فئة معينة وهي المتنورة أو المتطلعة المتفتحة على التّطور والحياة الغربية والمتأثرة بهذه الحياة والحلم بها وتبني مفاهيمها وثقافتها كما ورد في النّص الرّوائي "بينما كان منيب أفندي يرحل في التّراموايْ إلى أزمير وهو يحلم بالخلاص على يد الغرب، يحلم بالشّرق وقد تهدم إلى الأبد وحلّ محله الغرب: الجامعات محل الجوامع، المتاجر الكبيرة محل السّلخانة والمصارين والدّم الرّائب، التّراموايْ محل الحمير والبغال، الطّبيب محل المجبراتي"[٧٧].

نجد في النّص إشارة إلى التّأثر الكبير بالأورية والإنبهار العارم و"تلك النّظرة الحائرة القائمة على الإندهاش والتّعجب والاستغراب والإنبهار بحضارة الغرب، والافتتان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتّقنيات والمعارف والآداب. وغالباً ما تكون تلك النّظرة في البداية فطرية ساذجة أو نظرة واعية نسبياً ما بالفوارق الموجودة بين الشّرق والغرب أو بين المكان

---

[٧٧] - علي بدر، الوليمة العارية: منشورات الجمل، كولونيا-المانيا، ٢٠٠٥م: ١٣.



الذّات ومكان الغواية والجذب والافتتان"[٧٨] فهو يرى بأنَّ الخلاص في التّوجه إلى أوربا لأنَّها تتوافق مع أفكاره الشّخصية كما كان يذكر مردداً "لاحياة لنا إلا مع أوربا"[٧٩] فهو يرى أنَّ أوربا هي الوطن الذي يحلم به فقد كان متؤرباً بكل شيء "لقد كان متؤرباً لا بملابسه وبالأناقة التي يظهرها، إنما متحضر بسلوكه، كان متمدناً على طراز الأوربيين، على طراز الشّباب الشّرقيين الذّين تأثروا بالأوربيين"[٨٠].

وبقي متؤرباً حتى عندما أراد الأوربيون أنْ يعدموه وهو منبهر في حقوق الإنسان التي جعلته واقفاً على منصة الإعدام وإنَّهم سوف يعدمونه بحبل مثل الحرير أملس أوربي يأخذه إلى عالم الموت كما يقول: "شوف العدالة والإنسانية.. . حتى الحبل اللّي راح يشنقونك بيه ناعم مثل

---

[٧٨] – د. جميل حمداوي صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الرّوائي العربي، https://ar-ar.facebook.com.

[٧٩] – علي بدر: الوليمة العارية: ١٢.

[٨٠] – م.ن : ١٠.



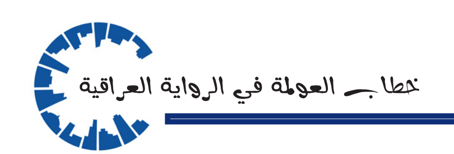
الحرير، مو مثل الحبل الخشن اللّي يجرح الرّقبة اللّي كنتم تعدمون بيه النّاس"[٨١]. ونجد التّاثير قد كان متمركزاً في شخصية (منيب أفندي) وواقعا تحت أسر غريب يجعله يردد " لماذا لا يرتمي العالم الإسلامي في حضن أوربا وينتهي كل شيء؟"[٨٢].

كما نجد مفهوم الأوربة أيضاً في رواية (المحبوبات) لـ(عالية ممدوح) إذ نجد (سهيلة) وهي الشّخصية الرّئيسة التي دائماً ما نراها ساعية إلى إيجاد التّجانس مع الآخر لتنسجم وتكون متآلفة مع الصّديقات حتى وإنْ كان هنالك اختلاف بينهن بالهوية والثّقافة واللّغة والعقيدة والقومية فسهيلة تعتز وتتأثر بصديقاتها اللّائي ساعدنها كثيراً كما تذكر ذلك عن (تيسا هايدن) "تيسا، نوع من المخلوقات لا تلائمها الأوصاف أو النّعوت في أدبنا

---

٨١ – علي بدر: الوليمة العارية: ٢٦٠.

٨٢ – م . ن : ١٢.

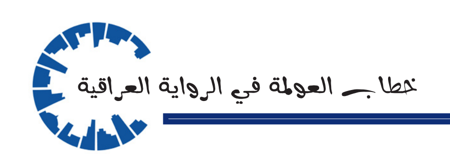


العربي الجميل، كانوا يقولون وهم يروون الحكاية، كان ثمة وجود سنشد الرّحال إليه، تيسا من ذلك النّوع، تستحق أن نشد إليها الرّواحل جميعاً "[٨٣].

وفي نص روائي آخر نجد صراعاً قائماً بين الأقوى والأضعف، الأعلى والأدنى كما ورد في (رواية ترنيمة امرأة.. وشفق البحر) لـ(سعد محمد رحيم) وحوار (سامر) مع (البرتو) بعد معرفته لقيام سامر بكتابة رواية بعنوان (نحن.. والآخرون.. أو أنتم) إذ يقول البرتو: "اعلم يا صديقي أنّ هذه معادلات عتيقة يتاجر بها بعضهم من أجل مصالح، وحروب قادمة، حروب دائمة"[٨٤]، ويرجع (سامر) هذا العنوان ومصطلح الآخر هو من قبلكم أنتم الغربيون ومن نشركم للثّقافة الغربية يتوافق (البرتو) مع ذلك، ولكن من خلال استخدامه في مصطلحات العولمة يريد (البرتو) الإشارة إلى أنَّ هذه المفاهيم والمصطلحات باتت عتيقة قديمة واليوم العالم يتعامل مع هذا الأمر بصورة مختلفة وفق مفاهيم العولمة كما يقول: "العالم يتجه اليوم بالضّد

[٨٣] – عالية ممدوح، المحبوبات: دار السّاقي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م: ٢٢٠.

[٨٤] – سعد محمد رحيم، ترنيمة امراة.. شفق البحر: دار فضاءت، عمان، ٢٠١٢م: ١٢٣.



منها- يقصد المعادلات العتيقة ومنها: الآخر- سيكون عالم المستقبل واحداً.. سوقاً واحدة كبيرة للجميع فيها الفرصة ذاتها"[٨٥].

يجد (سامر) أنَّ كلام (البرتو) بمثابة كلام فلسفي راقٍ يجب أنْ يجعله دائماً في خلده، لأنَّ كليهما مختلفٌ في المراجع التي يمتلكها، بعد ذلك يبين (البرتو) أنَّه من اللازم على الشّرقي أو الآخر أنْ يكون متأورباً حتى يجد له مكاناً في اللّعبة العولمية الجديدة والعلم، كما صرح في قوله "أنا أثق بالعلم فهو كفيل بالإطاحة بالمعادلة اللّعينة تلك بشرط أن تكونوا أنتم قادرين على الانخراط في اللّعبة"[٨٦].

ثم يبين (البرتو) النّظرة الغربية للشّرقي والحضارة الشّرقية إذ يصفها بقوله: "أنتم تتعاملون مع العالم ثوابت أكثر مما تتعاملون معه

---

[٨٥] – سعد محمد رحيم، ترنيمة امراة.. شفق البحر: ١٢٣.

[٨٦] – م . ن: ١٢٤.

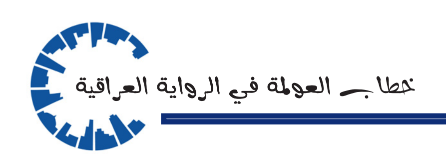
متغيرات، أمّا نحن فنفعل العكس ولهذا ربما، أو لهذا السّبب ترانا أكثر مرونة، وقدرة في السّيطرة على مقادير الأمور"[٨٧].

هذه هي النّظرة الغربية للشّرقي أو الآخر لأنهم يرون بأنَّ الشّرقيين يتعاملون مع العالم على أنَّه ثوابت لا يمكن أنْ تتغير بينما الغرب يرى العالم بأنَّه متغيرات لا يمكن أنْ تثبت، وهذا ما يعلل قوله إنَّهم أكثر مرونة وأكثر قدرة وسيطرة على مجريات الأمور و" خلق هيمنة جديدة هي هيمنة (العولمة) بلا شك بآلياتها التي تتجاوز الأطر، والكيانات الجغرافية، والسياسية، إلى فضاء منفتح على العالم"[٨٨].

---

[٨٧] – سعد محمد رحيم، ترنيمة امراة.. شفق البحر: ١٢٤.

٨٨ – فاضل عبود التّميمي: ملامح (الاستشراق) و(الحوار الحضاري) في رواية: (ترنيمة امرأة.. شفق البحر) للرّوائي سعد محمد رحيم، دراسة في موقع النّاقد العراقي، نشرت بتاريخ ١٨/٠٣/٢٠١٤. http://www.alnaked-aliraqi.net/article/٢١٥٠٢ .php



كما نجد مفهوم الأوربة و(التّجانس Homogenization)*

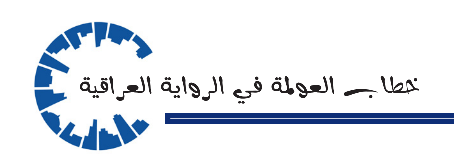
واضحاً في نص روائي آخر من خلال (نهلة) في رواية (عندما تستيقظ الرّائحة) لـ(دنى غالي) فنجدها مائلة إلى التّفتح وتتمنى انتماءها للحلم الغربي بكل ما له من معنى، فهي قد تغير كل شيء لتصبح إمراة غربية متحررة وتتأثر كثيراً بمجتمع الدّنمارك.

وتكون متجانسة كل التّجانس مع الثّقافة الأوربية كما تقول "هذا المجتمع يمدني بالثّقة في نفسي. أشعر بخفة الآن لتحرري أيضاً من المكياج أيضاً والكعب العالي والحُلي، المطبخ، إسم العائلة، الزّوج بالمعنى المطلق، المظاهر... وعشرات من أشياء صغيرة جداً لامني النّاس هناك من حشر أنوفهم فيها، غير واعين فداحة ذلك. "[٨٩].

---

* يعد (التّجانس/ التّجانسية) مصطلحا أساسيا في دراسات العولمة. فيقصد به على المستوى الأساس أنَّ الأشياء تصبح نفسها تماماً، وقد يكون هذا امراً سياسياً أو في ممارسات ثقافية أو اللّغة أو المنتجات الاستهلاكية أو الأيديولوجيات أو وسائط الاعلام أو التّرفيه. ينظر: انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية،: ٨٧ وما بعدها.

[٨٩] – دنى غالي، عندما تستيقظ الرّائحة: دار المدى للثّقافة والنّشر، بغداد ، ٢٠٠٦م: ١٥٠.



هنا إشارة إلى أنَّ (نهلة) تريد أنْ تكون مقلدة للمجتمع الأوربي الغربي في كل شيء وبكل شيء؛ لأنَّها ترى أنَّ المجتمع الأوربي الغربي أقرب لها من نفسها وأفضل من الشّرقي، فهي متأثرة جداً بالغرب حتى في الثّقافة واللّغة وهنا إشارة إلى مفهوم (الكريولية Creolization)* فهي تحاول أنْ تكون فرداً أوربياً بإمتياز.

وإنَّ هذه التّصرفات التي تقوم بها (نهلة) لتكون مقبولة في المجتمع الآخر الغربي، ولتنعم بالحرية الشّخصية التي لم تجدها سابقاً، كما أنَّ مفهوم الوطن عندها مختلف كلياً وهذا ما تقوم به مفاهيم العولمة إذ إنَّها تحاول بشتى الطّرائق أنْ يكون الشّخص بلا هوية يميل مع إعجابه وميولاته كما يبين لنا هذا النّص " الوطن، صار هنا في كوبنهاجن، مصطلحاً قديماً، الاكثار من الحديث عنه علناً يُعدّ أمراً مستهجناً يتعارض مع مفهوم الدّنماركيين لأندماجها في مجتمعهم. أجل، تعلمت هنا بأن أتعامل مع الحياة

* الكريولية ويقصد بها الإقتباس اللّغوي والثّقافي، من قبل الوافد الآخر. ينظر: انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية،: ٥٨ وما بعدها.

بشكل سطحي قدر الإمكان، أو على الأقل بما يخص حركتي واحتكاكي معهم ".[٩٠]

وفي إشارة أخرى يتركز مفهوم الأوربة عندما تصل (نهلة) إلى آخر مرحلة من مراحل التّجانس والتّقارب الثّقافي فهي متكيفة مع الواقع الذي هي فيه ومنبهرة جداً بأوربا والمجتمع الدّنماركي إذ تقول: "لا أكف عن امتناني لهذا المجتمع الذي يمنحني فرصة التّنعم بكل هذه الخصوصية والحرية"[٩١]. فالتّحرر هو ما ترغب به العولمة فهي تسعى إلى أنْ يتحرر الإنسان من كل القيود ليبحث عن الحلم وإنْ وجد حلمه تجانس معه ونسي هويته وماضيه وثقافته، وإنْ لم يجد حلمه بقي حائراً تائهاً يبحث عنه بلا هوية.

---

[٩٠] – دنى غالي، عندما تستيقظ الرّائحة: ١٠٣.

[٩١] – دنى غالي، عندما تستيقظ الرّائحة: ١٥٠.



- مفهوم الأمركة (Americanization):

هناك سؤال مطروح، وهو ما الذي يُعد أمريكياً؟ "يعتقد أنَّ بعض الممارسات والمنتجات أمريكية بسبب العلاقة الرّمزية. فعلى سبيل المثال، تعد الممارسات التّجارية اللّيبرالية الحديثة أمريكية بينما تنتشر بالفعل عبر العالم، (على الرّغم من أنَّ الولايات المتحدة كانت قوة عظمى في تشكيل واختيار مؤسسات بريتون وودز)، لاستقبال المنتجات والممارسات، وكذلك تهجينها ونفوذها في السّياقات المحلية. وتجدر الملاحظة أن الأمركة هي (تحول ثقافي أمريكي)"[٩٢].

ويتضح جلياً أنَّ الرّؤية الامبريالية الثّقافية محتقرة، وترتبط بالحضور المتزايد للمنتجات الأمريكية (الوجبات السّريعة وماركات الملابس والمشروبات الخفيفة وأفلام هوليود) بالأسواق الخارجية. وتستخدم الأمركة في العديد من الحالات، وولاسيما عند استخدامها بوساطة النّشطاء

---

[٩٢] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية، تر: اسيا دسوقي، مر: سمير كرم، زينب ساق اللّه، الشّبكة العربية للأبحاث والنّشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٦٨.

الاجتماعيين ضد العولمة الاقتصادية، ليقصد بها تغيير طبيعة الأنظمة السّياسية والاقتصادية للموافقة على السّياسات الأمريكية في ما يتعلق بالتّجارة الحرة والدّيمقراطية.

فالأمركة " مصطلح يرجع إلى عام ١٨٦٠م، ويقصد به على وجه الدّقة أنْ يكون الفرد أمريكياً (في لغته وعاداته ومهنته) لا سيما المهاجرين إلى أمريكا. كما أنَّ للمصطلح معنى معيناً في ما يتعلق بالعولمة إذ إنّها تشمل أيَّ شيء يتراوح من الإمبريالية الثّقافية المزعومة من قبل الولايات المتحدة، إلى الحث على التّغيير في أنماط السّلوك المحلية بسبب هيمنة اقتصاد السّوق الحر"[٩٣].

يتصدر موضوع القيم في الأمركة مكاناً رفيعاً في حياة البشرية الحديثة، وفي أحاديثنا، وفي جوانب سلوكنا اليومي كما يشغل مساحة واسعة

[٩٣] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ٦٧.

وكبيرة في الدّراسات الاجتماعية والثّقافية ولاسيما في الدّين، الفن، العلم والفلسفة وسواها.

فمفهوم الأمركة من المفاهيم المهمة وهو الذي يكون مركزياً دائماً في خطاب العولمة بسبب قرب الأفكار بين هذين المفهومين، كما أشرنا سابقاً بأنَّ العولمة هي الأمركة، ومن النّصوص الرّوائية التي وجدناها تشير إلى ذلك في رواية (حلم وردي فاتح اللّون) لـ(ميسلون هادي) من خلال شخصية (ياسر) الذي أُرسل من أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد لأمريكا كي يحصل على شهادة الماجستير بالموسيقى، إذ كان يرى أنَّ أمريكا هي دولة الأحلام والدّيمقراطية وهي الملاذ الذي يرجى ويطلب من خلال تحقيق حقوق الإنسان والحريات كما يقول: "كنت قد أصبحت كمن يمشي على الأعراف ففي وجودي في بوسطن لم يكن هناك من يمنعني من ممارسة عبادتي، بل إقامة صلاتي في أي جامع، أو يجدها متعارضة مع دراستي للموسيقى، حتى من يجدها متعارضة لم يكن.. يحكم علي بشكل سافر أو يتدخل بشؤوني كما نسمح نحن العرب لا نفسنا ان نفعل... وليس هناك ما يستحق القلق من



أجله وتجدين ما هو ممنوع قد يكون مسموحاً بلا مبرر سوى أن الحرية لا حدود لها وكل شيء يسحق في اتونها قبل ان ينضج، هذه الحرية هي نفسها التي تجعل الجوامع مفتوحه للنّاس، وتغير الأديان مثل تغير الأزياء وارتياد المسارح والسّينمات ضرباً من الحرية الشّخصية التي لا يحق لأحد الاعتراض عليها أوالتّدخل فيها"[٩٤].

إنَّ التّاثير النّاتج من الإعجاب والإنبهار بأمريكا وكذلك التّقارب الثّقافي والتّجانس هذه كلها جعلت من (ياسر) منسجماً مع المجتمع الأمريكي أكثر ويفهم ما هي ثقافة هذا المجتمع وكيف يتعايش معه فهو يرى بأنَّ الدّيانات والإعتقاد بها يمكن أنْ يتغير كما تتغير موضة الأزياء وكل ما هو ممنوع يكون مسموحاً بلا مسوغات، وأنْ يربط بين الموسيقى والدّين، وأنْ يفعل ما يشاء، وكأنَّها هذه الحرية التي يبحث عنها كل انسان.

---

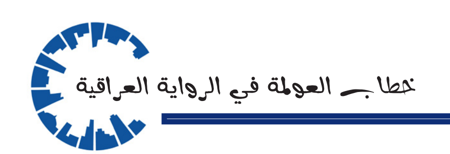
[٩٤] – ميسلون هادي، حلم وردي فاتح اللّون: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر المركز الرّئيس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ١٣٠.



وهنا إشارة إلى أنَّ (بوسطن) الأمريكية قد أصبحت بمقابل محلته القديمة التي لم تكن متحررة ومثقفة بناسها وأهلها مثل (بوسطن) المثقفة والمتحررة، فنصوص الرّواية لعلها تتحدث عن التّحرر بشكل عام أو يمكن أن نحمل الحديث للجدل "مع الآخر الحضاري عبر رحلتها، سكبت الكثير من الأضواء الكاشفة على الذّات العربية في لحظات احتكاكها وتعاملها مع الغرب، وبمواقف تلقيها للفكر الحديث وللأُسلوب المادي (الحضاري) الذي يفارق في كثير منه ما ثبت وتكرس في الشّرق العربي"[٩٥].

ونجد في رواية (شاي العروس) لـ(ميسلون هادي) أنَّ مفهوم الأمركة واضحٌ كذلك من خلال شخصية (محمود) الذي تأثر كثيراً بطبيبته النّفسية (ربيكا) عندما هاجر إلى أمريكا طلباً للحلم الذي أراد أنْ يحققه والذّي ستساعده عليه (ربيكا).

[٩٥] – ممدوح القديري، الرّواية في زمن الغضب: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م: ١٨.



فهو يتحدث عن ما يعتصر في نفسه متمنياً التّخلص من الماضي وهمومه كما يقول: " كان يقول لنفسه وهو يقترب منها شيئاً فشيئاً، لا يزال يخبرها بما يرى لعلها تستطيع تخليصه من هموم الماضي وجعله يتطلع إلى أمام مقترحة عليه أن يقيم معرضاً لرسوماته البدائية مؤكدة له أنها ستجد لها الكثير من المشترين.. يشعر للمرة الأولى بأن أفكاره لا تقوده إلى الحزن، وأنما إلى ظل بارد يركن إليه وحيد.. أنه يقترب من نفسه سعيداً لا مبالياً.. شاعراً بخفة الطّائر الذي لا ينظر إلا إلى امام.. . ليخبر نفسه بما يرى"[٩٦].

هنا أشارة مهمة وهي تأثير الآخر الأمريكي على شخصية (محمود) وقد أفاد من (ربيكا) التي عدها المخلّص من الألم الذي كان يعاني منه حتى تمكن ووجد نفسه التي لم يجدها في العراق واستطاع أنْ ينطلق متناسياً الماضي المرير الذي طالما كان مرافقاً له، من خلال أمريكا ومفهوم الأمركة.

---

[٩٦] – ميسلون هادي، شاي العروس: دار الشّرق، عمان، ٢٠١٠م: ٢٠٦.



– المبحث الثّاني:

مناهضة العولمة ومفهوم السّرد المضاد

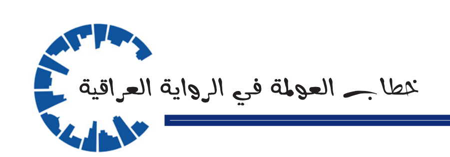
(Counter–Narratives)

السّرد المضاد: "أخذ هذا المصطلح عن فوكو (Foucault) ويعبر عن طريق تحليل ونقد الحوارات السّائدة من خلال كشف جزئية ووقتية وعدم كفاءة النّظريات السّائدة لتوفير الشّفافية في ترابطات القوة الكامنة خلف دعوى الحقيقة. ان السّرد المضاد للعولمة يتقاطع مع الافتراضات التي تضع العولمة في وسط سرد التّحولات الاجتماعية"[٩٧].

ويتم تصوير العولمة في الحوارات الفاعلة كعملية من التّواصل المتصاعد والضّغط الزّماني والمكاني، وعلى أنَّها إدراك متنام للتّطابق الإنساني العالمي وتعبير أخير للرّاسمالية– إذ يحدد السّوق فقط إعادة

---

[٩٧] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٧٥.



هيكلية الحياة الاقتصادية والثّقافية- كذلك على أنَّها إعادة تنظيم للشّبكات والمؤسسات في جميع أنحاء العالم. ومهما كان تحليل العولمة وانتقادها كبيراً في ما يتعلق بتاثيرها والنّتائج النّاجمة عنها، بافتراض أنَّ العولمة ظاهرة حقيقية تميزها مجموعة جديدة من الرّوابط بين الأقاليم والاقتصادات التي تشكل أساس الكثير من المتغيرات العالمية، "تظل العولمة هي الحوار السّائد، كما ان افتراض الظّواهر التي نشهدها يمكن ربطها ببعضها من خلال اصلاح يسمى العولمة الذي يمكن وضعه على الاتجاه المعاكس في حالة استخدامنا للسّرد المضاد، أي السّرد الذي لا يؤكد التّواصل المتبادل والعالمية... الخ، وتجسد الحوارات التي تؤكد تعقيد وغموض وحدوث التّشكيلات السّياسية المعاصرة سردا مضادا للعولمة"[٩٨].

ومن خلال مفاهيم مغايرة للأوربة والأمركة نجد هناك السّرد المضاد ومناهضة العولمة بسبب اختلاف القيم والثّقافة مع الآخر، لأنَّ "أبرز أنواع الغزو هو الذي يحاول فيه الآخر إرساء ثقافته في الشّرق ومحاولته

---

[٩٨] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٧٥.

الدّائمة لإلغاء ثقة أصحاب مجالات الثّقافة التي يجري غزوها لثقتهم بأية مزايا خاصة، واعتماده على التّحقير المستمر لها "[٩٩].

إذ نجد في النّصوص الرّوائية أنَّ هذه المفاهيم كان لها حضورٌ جليٌ في سياق السّرد وكأحداث ومواقف معادية للتّخلص من الآخر الشّرقي بصورته العدائية، وهذه المناهضة متأتية بسبب الإختلاف للمرجعيات الحضارية والثّقافية والواقع الذي التمسه الشّرقي من خلال التّعايش والإختلاط مع الآخر الغربي خلال حقب تاريخية طويلة.

فنجد في النّصوص الرّوائية شخصية (رضا المولاني) في رواية (عندما تستيقظ الرّائحة) لـ(دنى غالي) الذي ظلَّ حاملاً نظرة العداء على المجتمع الغربي والمتمثل بالمجتمع الدّنماركي؛ لأنَّ (رضا) لم يكن قادراً على مواصلته التّعايش والتّكيف مع مجتمع يراه غريباً عن مجتمعه فهو لا يستطيع أنْ يتجانس بسرعة ولا أنْ يتقارب ثقافياً وكريولياً فهناك "صعوبة

---

[٩٩] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٧٥.

تكمن في ذوبان الشّخصية المغتربة في المجتمع الآخر، هذا الذّوبان الذي بخلافه يشعر الفرد بحالة من التّمزق والتّشتت"[١٠٠].

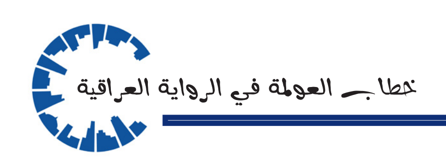
فـ(رضا) يجد نفسه قد انتقل إلى كابوس مرعب يريد أنْ يتخلص منه بأسرع وقت كما يقول: إنَّ "هذا المجتمع لايصلح لنا، مجتمع يصعب على الفهم... لاحريته تناسبنا ولا اشتراكيته"[١٠١]. هنا إشارة إلى القومية العربية ويقصد بها أنَّ الغربة في البلدان العربية هي أرحم بكثير من البلدان الغربية التي يصعب فهمها.

وهذا ما يشير إليه في حواره مع طبيبة التّحليل النّفسي عندما تعرض عليه الحلول والأدوية المساعدة فيقول: " لا حل، ولا دواء ولا هم يحزنون، دكتورة لا حل لي سوى في الحصول على التّقاعد للتّحرر من هذا الكابوس الذي أسمه الدّنمارك مدينة صغيرة مثل دمشق كفيلة لأن تخلصني

---

١٠٠ – سولاف مصعب مهدي، رواية المنفى في الأدب العراقي الحديث روايات شاكر الأنباري أنموذجاً: جامعة بغداد، كلّية التّربية بنات، رسالة ماجستير، ٢٠٠٨م: ١٤٨.

١٠١ – دنى غالي، عندما تستيقظ الرّائحة: دار المدى للثّقافة والنّشر، بغداد، ٢٠٠٦م: ١٨٤.



من كل هذه التّعقيدات والكآبة والأمراض الغربية التي بليتمونا بها، أن تعيدني إلى الرّجل الذي كنته"[١٠٢].

في هذا النّص نجد أنَّ (رضا) كانَ مناهضاً ويستخدم الثّقافة المضادة؛ لأنَّه قد عانى من الغربة وما قاساه من الهجرة والماضي المرير الذي عاشه في الوطن، فقد يكون رضا مفصوماً نفسياً باحثاً عن شيء مفقود من الموازنة التي تحدث داخل النّفس أو قد يكون قد أخفق في تكوين شخصيته أو ذاته في الدّنمارك، مما جعله متكوراً على نفسه مستسلماً للوحدة والمرض النّفسي، وقد يكون فشله في الزّواج قد أدى إلى ذلك، ومهما كان السّبب فإنه قد استخدم السّرد المضاد ورفض الإنقياد لمفهوم الأوربة.

---

[١٠٢] – دنى غالي، عندما تستيقظ الرّائحة: ٧١.

وهذه الشّخصية "تشعر بتمزقها بين الحاضر الذي يبرز فيه الآخر الغربي بصورته المزدوجة كمتحضَّر ومستعمر وبين الماضي الذي يقبع هناك في زمن مضى وقضى "[١٠٣].

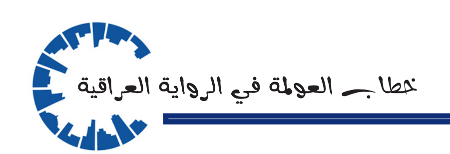
ونجد في نص روائي آخر في رواية (ترنيمة امراة.. شفق البحر) لـ (سعد محمد رحيم) نظرة الغربي إلى الشّرقي العربي تحديداً من خلال العلاقة ما بين (سامر) و(كلوديا) كما في النّص الآتي: "أتراك أنت الآخر جئت غازيا

-غازيا ؟! ما الذي يجعلك تقولين هذا؟

وضَحكتُ بارتباك وقلتُ:

إن كنت تلمحين لمصطفى سعيد في رواية: (موسم الهجرة إلى الشّمال) فلست أسطورة مثله، وهو أقوى مني.. أنا إنسان بسيط أبحث عن

[١٠٣] – نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السّود في المتخيل العربي الوسيط: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ١٥.



الدّفء في صقيع أوربا، وأحسبني وجدته بعينيك، فتضحك وتقول شيئاً عن الشّرقي، فأقول: لو تنسين هذا التّحديد المفبرك فنعود لطبيعتنا بشراً على كوكب واحد، فتضحك ثانية وتقول: أمزح معك لا تأخذ كل ما أقوله بحساسية زائدة، وتقبّل خدي، أقول: لم أفكر بالثّأر، لست أبغي إلا التّفاهم، ولا أمثّل إلا نفسي"[١٠٤].

في هذا النّص نرى نظرة الغربي المختلفة التي تمثل بأنَّ الشّرقي غازي قادم لإحتلال بلادهم وتدميرها بكل ما أوتي من قوة، كما فعل مصطفى سعيد في رواية (موسم الهجرة إلى الشّمال)، ونجد أنَّ الشّرقي دائماً ما يقوم بالدّفاع عن نفسه ليبين إلى الآخر أنَّه مسالم لا يرغب إلا في السّلم، هذا الموقف المسالم متأتٍ من حيث إنَّ الشّرقي متغرب في بلادهم، كما أنَّ الشّرقي يجد أنَّ موضوع الثّار لا يقدم شيئاً، بل عن طريق التّفاهم والتّواصل

---

[١٠٤] – سعد محمد رحيم، ترنيمة امرأة.. شفق البحر: دار فضاءات :عمّان ٢٠١٢ م: ٣٥-٣٦.

تحل كل العقد وتكون التّرابطات طبيعية طيبة في عالم واحد هدفه التّعايش السّلمي بين الجميع.

وفي نص روائي آخر نجد في رواية (سواقي القلوب) لـ(أنعام كجه جي) أنَّ الرّاوي على الرّغم من تركه الوطن والهجرة إلى فرنسا تاركاً كل العذاب والألم الذي عانى منه في العراق، يجد نفسه غريباً في مجتمع غريب كما يقول: "أنظر من نافذتي إلى النّاس في الطّريق فلا أجد نغمة تربطني بهم. هل أعيش، بالفعل، في باريس وأعاشر أهلها أم أسكن داخل ذاتي التي لم تتمكّن من مغادرة قوقعتها"[١٠٥].

في هذا النّص إشارة إلى أنَّ باريس لم تكن إلا مكاناً غريباً لم يستطع الرّاوي أنْ ينسجم مع هذا المكان والمجتمع، فلم نجدْ أيَّ تجانس أو تقارب، بل العكس إزداد الحنين إلى الوطن واشتد الشّعور بالغربة، فالنّص هو سرد مضاد ومناهض للأورية.

---

١٠٥ – انعام كجه جي، سواقي القلوب: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م: ٩٩.

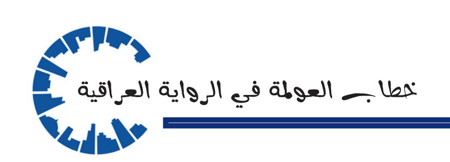


وفي نص آخر نجد فيه المفهوم نفسه ويطغى الحنين إلى الوطن أكثر وكيف أنَّ الغربة قد تؤدي إلى التّغرب أكثر ولا تكون هي المخلص أو الحلم، كما في هذه التّساؤلات "وكم مرّة سالتّ نفسي: هل أعيش في هذا البلد حقاً أم أنني سروال عابر معلّق على حبل من حبال الغسيل في إحدى شرفات باريس... وغداً ستلبسني ساقان مجهولتان وتمضيان بي إلى مدينتي"[١٠٦].

نجد هنا إشارة إلى أن باريس هي مكان غربة واغتراب ولم يكن هناك أيَّ تقارب للمفاهيم التي يحملها الرّاوي وبين مفاهيم الأورية، وتبقى مشاعر الحنين إلى العراق هي الهوية التي لا فرار منها.

من هنا تتولد فكرة مهيمنة وهي أنّ لا مكان لي في باريس ويجب العودة بأي عذر أو سبب، فتكون مهمة إيصال جثة(سارة) إلى العراق، –سارة التي قتلها خنقاً رجال الأمن داخل السّفارة العراقية في

[١٠٦] – انعام كجه جي، سواقي القلوب: المؤسسة العربية للدّراسات: ٩٩.



باريس- هو السّبب أو المسوغ أو الدّافع الكبير للرّجوع إلى العراق لترك المنافى وغربتها كما في النّص الآتي: "هل أريد، حقاً، نقل سارة لتدفن في الأرض التي سَقتها بماء دجلتها ثم قَسَت عليها، أم التّعلُّل بموتها حجَّة للعودة إلى الأرض التي سقتني وقَسَت علي؟"[١٠٧].

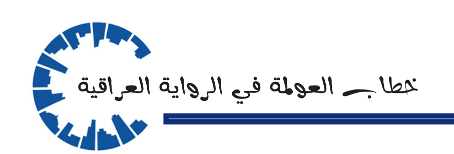
وفي نص روائي آخر في رواية(الحفيدة الأمريكية) لـ(إنعام كجه جي) نجد مفهوم المناهضة واضحاً عندما كان الإستهجان من الجدة لحفيدتها (زينة) وعملها مع المحتل الأمريكي كما في هذا النّص "شفتاها تهمان بالكلام ولا تسعفها العبارة، قلبها لا يطاوعها على التّلفظ بما تفكر فيه، غصبت حنجرتها فخرجت منها حشرجة غريبة، قرقعة تنكة صدئة متروكة للرّيح.

- إنّها تشتغل مع الأمريكان.. . زينة تشتغل وياهم"[١٠٨].

---

[١٠٧] - انعام كجه جي، سواقي القلوب: ١٨٢.

[١٠٨] - انعام كجه جي، الحفيدة الأميركية، دار الجديد، بيروت ، ٢٠٠٩م: ٧٦.



هنا إشارة إلى أنَّ الجدة مستاءة جداً وتشعر بالخذلان والعار بسبب عمل حفيدتها مع المحتل، هذا العمل الذي سيبقى وصمة عار في تاريخ العائلة، فزينة قد خالفت كل المفاهيم والقيم والتّقاليد والثّقافات المرجعية التي تمتلكها الجدة "لا أحد من أهالينا وجيراننا يعمل مع الاحتلال"[١٠٩]. كما يظهر السّرد المضاد والمناهضة من الجدة حين رجوع حفيدتها بهذه الحالة بحديثها المونولوجي "كل العودات مرحب بها إلا هذه العودة. كل الأذرع تنفتح لأحتضان الابناء الضّالين، الا هذه الابنة"[١١٠].

ونجد في بعض النّصوص الرّوائية علاقة الآخر الغربي وهو في البلدان الشّرقية كالعراق والنّظرة العالية إلى الآخر الأجنبي واحتقاره لفئات المجتمع العراقي مثل المزارعين والفلاحين إذ نجد في رواية (كم بدت السّماء قريبة) لـ(بتول الخضيري) التي تبين لنا علاقة رجل عراقي بزوجته الإنجليزية وما ينتج من صراع بينهما إذ يكون الرّفض من الزّوجة بعدم اندماجها

---

١٠٩ – انعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: ٧٦.

١١٠ – م . ن: ص ٨٠.

بالمجتمع العراقي لما تحمله من مرجعيات وقيم غربية وتريد أنْ تربي ابنتها على هذه المرجعيات والقيم بينما يريد الأب أنْ يربي ابنته على مرجعياته وقيمه العراقية أيضاً، ونجد أنَّ البنت تريد أنْ تكون من ضمن المجتمع العراقي وأنْ تتخلص من تأثير الأم الأجنبية وهذا الفعل كان يؤلم الأم كثيراً كما في النّص الرّوائي الآتي:

"- HI أين كنت؟..

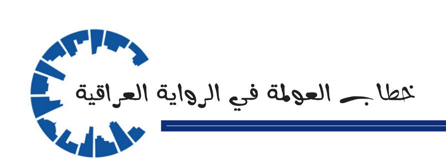
- المزرعة

ثارت كالمعتاد، انقلب سهواً إناء البندق بركلة من قدمها.

- تقصدين مع الفتاة القذرة. ألم أحذرك من الاختلاط بحاملة البراغيث تلك؟

- لكنها صديقتي يامامي

- No ليست صديقتك ستنقل لك الأمراض.



- ... هل أكلت شيئاً عندهم ؟

أجبت بصوت منخفض:

- فقط قطعة خبز وقليلاً من الجبن.

MY GOD – ألا ترين كيف تستخدم أمها مخلفات البقر كي تشعل ناراً تلقي فيها العجين... بيدين قذرتين؟

-... سأكلم أباك عند عودته ليضع حداً لنزولك إلى المزرعة ".[١١١]

هنا اشارة إلى أنَّ نظرة الآخر الغربي تنطلق من مركزيته وهيمنته على الآخر الشّرقي فهي قائمة على مفهوم الأوربة من التّهميش والإقصاء والإحتقار، عادّة نفسها هي المسيطر والآخر يعيش مراحله المتوحشة

---

[١١١] – بتول الخضيري، كم بدت السّماء قريبة: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ٢٠٠٩م: ١١.



والمتخلفة، رافضة الاندماج مع المجتمع عادّة إياه لا يعرف شيئاً عن الحياة والتّطور، وهذه نظرة ذات طابع نمطي رسخت من قبل الغرب نفسه.

ونجد في نصوص روائية أخرى كيف أنَّ العِرق أو اللّون ممكن أنْ يكون هو الفارق بين الآخر الغربي والعربي، وتبقى المركزية في اللّون الأبيض والتّهميش للون الأسود أو الأسمر في الفكر الغربي حتى أنَّ هذه الأفكار قد انتقلت إلى الأطفال أيضاً كما تبين لنا رواية (تحت سماء كوبنهاغن) لـ(حوراء النّداوي) وما جرى بين (هدى) الطّفلة العراقية و(كلاوس) الفتى الدّنماركي صديقها في المدرسة وتصفه هدى بأنَّه "الطّفل الجميل ذو الشّعر الأشقر"[١١٢] بينما يرفض كلاوس أن يكون معها أو يلعبان معا بسبب ملابسها ولون البشرة والشّعر إذ يقول: "أنا.. . لا أريد أن أكون معك.

– لماذا ؟...

---

[١١٢] – حوراء النّداوي، تحت سماء كوبنهاغن: دار السّاقي، بيروت، ط١،٢٠١٠م: ٢٧.



- جدتي تقول عندما تكبر لاتتزوج من السّوداوات.

فأقول وقد انتقلت الدّموع إلى عينيّ:

-... أنا لست سوداء

- أنتِ بشعر أسود.. . إذن أنت سوداء"[١١٣].

هنا إشارة خطيرة في المفاهيم الخاصة بالأطفال الغربيين وكيف انتقلت هذه المفاهيم إليهم من الكبار هذه النّظرة هي نظرة متوارثة، الهدف منها الهيمنة، الإخضاع، الإقصاء. الإستعلاء، وهي نظرة ذات أبعاد خطيرة؛ لأنها سوف تركز هذه الأفكار في ذهنية الأطفال وهذا يخالف البراءة التي يجب أنْ يتمتعوا بها. فالأوربة لا تستخدم ضد الوافد فقط بل حتى على المجتمعات الأوربية نفسها.

وتبين (هدى) من خلال النّص ما السّبب الكامن وراء الاغتراب الذي حل بها وجعلها رافضة للمجتمع الدّنماركي وعدم الاستجابة والتّجانس

---

١١٣ - حوراء النّداوي، تحت سماء كوبنهاغن: ٢٧.

هو ما تذكره لنا في النّص الآتي: " تذكرت كلاوس. ذلك الصّغير الذي رفض اللّعب معي لأنني – كما نعتني حينها –سوداء.. كم هو سهل أن يطلق الدّنماركيون مثل هذا التّعبير على الأجانب، حتى أولئك الذّين يماثلونهم بياضاً"[١١٤].

والنّص الآخر الذي تبين لنا فيه السّبب وراء الاغتراب في الدّنمارك هو ما منعها من اللّعب مع جارتهم وعدم مرافقتها لها بسبب رفض أهل الفتاة ذلك، مما جعل الأمر ينقلب بالرّفض كذلك للمجتمع من قبل (هدى):

"– ماذا كنت تفعلين هناك.. .

– كنت اتحدث مع هدى.

وكأن الأب تنبه لوجودي فقال بحزم:

–هدى... عودي إلى بيتكم..

---

[١١٤] – حوراء النّداوي، تحت سماء كوبنهاغن: ٧٤.

... خرجت من باب حديقتهم... ذرفت دموعاً في صمت، دموع غيض واهانة.... فيما أتلقى المزيد من الاهانات إذ خوار أبي حسن يصلني:

-... من الان فصاعداً لا أسمح لك باللّعب معها.

- لكنها عراقية

- إنها شر من الدّنماركيات إذا كان هؤلاء أهلها، أبٌ سكير وأخت ساقطة، وأخ عابث أقطع ذراعي إن لم يكن بعثياً"[115].

يشير لنا النّص السّابق أن الشّخصية كانت تعاني من رفض المجتمع الذي تنتمي إليه سواء المتمثل بالجالية العراقية أم الدّنماركيين، فتعيش الشّخصية وضعاً مربكاً بين هوية المكان الذي يفرضه مجتمع الجاليات بعاداته وتقاليده وقيمه الصّارمة التي تحاصرها حتى في البيت، وهوية المكان الذي يرفض انتماءها إليه بحكم هويتها الدّينية أو العرقية، ومن ثمَ يقود هذا الازدواج إلى انغلاق المكان على الشّخصية فترتد إلى ذاتها

[115] - حوراء النّداوي، تحت سماء كوبنهاغن: ٧٢-٧٣ .



مكونة فضاءً نفسياً خاصاً تلوذ به. كما يقول الدّكتور شجاع العاني: "من الواضح أنَّ بطلة الرّواية التي تعاني من إقصاء الرّجل الابيض لها في المجتمع الدّنماركي، ومن الازدواجية الثّقافية لدى عائلتها وجاليتها، تؤمن وتبحث عن انتماء وهوية نقيين"[١١٦].

نجد مفهوم المناهضة بسبب ما عانى منه المغترب في البلدان الغربية وأنَّ حقوق الإنسان ما هي إلا وهم وتزييف، و نجد صورة عداء الغربي المتمركزة على عدم الإحترام للشّخصية الشّرقية، لتبين صورة الغربي وهيمنته، عن طريق الإستبداد ومحو الكرامة للمغتربين، وهنا إشارة إلى نظرة العداء ذات الطّابع السّلبي التي قوامها الصّراعات الجدلية والوجودية والدّينية بين الدّين الإسلامي والدّيانات الأخرى، وأنَّ الفرق يكمن في سيطرة الغربي على الوافد إليه بقوانينه وتنفيذها لذلك أغلب الشّخصيات سواء في الحقيقة أم الخيال الرّوائي نجدها خائبة محبطة بعد تجربتها للسّفر ورغبتها بالإندماج مع المجتمعات الغربية، فإما أنْ تكون مجرداً ممحواً من كل المرجعيات التي

[١١٦] – تمرينات نقدية في التّخييل والافتراء: دار الفراهيدي، بغداد، ط٣، ٢٠١٧م: ١٣.



كنت تمتلكها وتكون خاضعاً للأوربة وتسلم إلى العولمة أزمة أمرك فتتحكم بك كما تشاء لتخلق منك فرداً معولماً خاضعاً لها، أو أنْ تكون منصدماً مع المجتمع في كل شيء ولا تقبل بالتّقارب الثّقافي أو التّجانس وتكون غريباً في الغربة وبلا هوية لكن متحفظاً على المرجعيات التي تمتلكها كلها وهنا سيكون "الصّراع في النّص السّردي في اللّحظة التي تحس الشّخصية بتأزم نفسي أو اجتماعي أو سياسي ناتج عن تناقض جدي غير قابل للمواءمة بين إرادة البطل الفرد الإنسان ورغباته ومعتقداته وبين الآخر الذي يحاول قمع هذه الرّغبات والقضاء عليها أو إنهاء وجود هذا الفرد"[١١٧].

مما تقدم من نصوص روائية نستنتج أنَّ الآخر الغربي قد يكون أيضاً مناهضاً للقيم والمفاهيم الشّرقية العربية وأنَّ التّجانس لا يمكن أنْ يكون سهلاً مع جميع الشّخصيات بسبب الاختلاف بالمرجعيات الثّقافية

---

[١١٧] – سعد عبد الحسين العتابي، الملحمية في الرّواية العربية المعاصرة: دارالشّوّون الثّقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م: ٦٥.



والعرقية واللّغوية والتّقاليد والقيم وقد يكون التّجانس سلبياً وقد يكون إيجابياً مع الظّروف المحيطة بكلا الطّرفين الغربي والشّرقي العربي.

الفصل الثّالث

خطاب العولمة في الرّواية العراقية

(التّطبيق الإجرائي الثّاني)

- المبحث الأول: مفهوم الهيمنة (Hegemony) وواقع الاحتلال.

- المبحث الثّاني: مفهوم سياسة تأكيد الهوية

(Identity Politics).



خطاب العولمة في الرّواية العراقية.

(التّطبيق الإجرائي الثّاني)

- المبحث الأول: الهيمنة(Hegemony) وواقع الاحتلال:

إنَّ مصطلح الهيمنة مشتق من اليونانية، لكنه قد يشير عادة في المفهوم التّداولي لهذا المصطلح إلى أعمال (غرامشي)، وكانت أعماله مرتبطة بالقوة والإيدولوجيا السّائدة وبصورة أشد من إرتباطه بالدّول، وقد يستخدم هذا المصطلح بخصوص الدّول القومية وسياساتها، على الرّغم من أنَّه في بعض الأحايين قد يستخدم في سياق أعمق من السّياق السّياسي، فإنَّ التّحدث عن الهيمنة الأمريكية قد يثير الفكر حول أيِّ شيء من أغراض إستهلاكية إلى ممارسات ثقافية أو سياسية أو إقتصادية.[١١٨]

---

١١٨ - ينظر: سمير الخليل، دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي، مر: سمير الشّيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م : ٣٢٥.



وتستخدم الهيمنة دائماً بشكل سلبي، ومع ذلك لا يوجد ما يقترح في كل أعمال غرامشي على الأقل أنّها سلبية بشكل متأصل، فمن النّاحية النّظرية يمكن أنْ توجد هيمنة صالحة بمعنى أنَّ القوة المفروضة تعد نافعة[١١٩].

ويمكن أنْ تستخدم الهيمنة بغير معناها الإيديولوجي، مثل استخدامها للأغراض الوصفية في التّرابطات الدّولية، وهكذا يمكن أنْ نتحدث عن هيمنة عالمية كإختزال للأمة أو التّحالف الذي يستحوذ على القوة دولياً. ويذكر (تايلور) أنَّ الهيمنة العالمية ينظر إليها كملكية للنّظام بأسره وليس لشخصية المهيمن فقط، وأنَّ الحقبة الحالية هي زمن الهيمنة الأمريكية[١٢٠].

إنطلاقاً مما سبق سنتتبع تمثلات الهيمنة الأمريكية في الرّواية العراقية وكيفية الإحتلال الأمريكي للعراق وهذه الوحشية التي قد عبر عنها

---

[١١٩] – ينظر: سمير الخليل، دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي: ٣٢٤.

[١٢٠] – ينظر: انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: تر: اسيا دسوقي، مر: سمير كرم، زينب ساق اللّه، الشّبكة العربية للأبحاث والنّشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٣١٢.

عبد اللّه الغذامي بأنَّها التّوحش الأول (للعولمة) أمريكا إذ " كان في جزيرة برتغالية بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٦، حيث وقف جورج دبليو بوش، رئيس العولمة الكونية حينها، ويجر خلفه توني بلير، رئيس وزراء برطاني العمالي، وأثنار الأسباني ومعهم الرّئيس البرتغالي، تلك هي لحظة ستصير ذروة للعولمة دون أنْ يكون ذلك واضحاً ساعة الحدث، وفيها ظهر وجه بوش متوتراً ومكفهراً وتهديدياً وأطلق جملته الشّهيرة: على صدام حسين مغادرة العراق في خلال ثمان وأربعين ساعة وإلا الحرب"[١٢١].

هذا القرار الصّادر من الرّئيس بوش لم يكن يكسب الشّرعية الدّولية ولا صادر عن مجلس الأمن أو الأمم المتحدة بل صادر من رئيس أقوى دولة بالعالم وكان الجميع "يعرف لحظتها أنَّها إعلان حرب لأنَّ اللّغة لم تكنْ لغة تخيير ولكنها لغة الحسم النّهائي، وكل حال استدعاء للصّورة تكشف كيف كانت وجوه زعماء ثلاث دول كبرى ومهمة يقفون خلف بوش

---

[١٢١] – عبد اللّه الغذامي، اللّيبرالية الجديدة: المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١٣م :١٥.

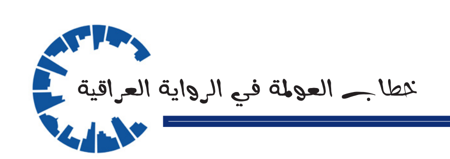


مدهوشين وكأنهم يسمعون الخبر لأول مرة، مع إنَّهم قد خرجوا لحظتها من مؤتمر مستعجل وسريع فيه بدا بوش وهو يقود العالم بإصبعه، وأول هذا العالم كانت برطانيا وإسبانيا والبرتغال الذّين ظهروا وكأنهم صور مفبركة تحركها يد صانعها"[١٢٢].

من هذه الوحشية التي تنطلق منها أمريكا للاستحواذ والهيمنة على العالم نستطيع أنْ نتبين أنَّها تخدع حتى المتحالفين معها وتزيف الصّورة أو الأخبار أمامهم وهذا ما دعا توني بلير في عام ٢٠١٦م إلى الإعتذار من الشّعب العراقي وإلى العالم أجمع؛ لأنَّ ما كان متداولاً على طاولة مجلس الأمن والأمم المتحدة هو خداع وتقارير زائفة لكن قدرة الإقناع

---

[١٢٢] – عبد اللّه الغذامي، اللّيبرالية الجديدة: المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١٣م :١٥.



من السّيد رامسفيلد هي التي نالت موافقة الجميع لشروع الحرب ضد العراق*.

كل هذا ترك إنطباعاً خطيراً وصورة أخطر في فهم المواطن والمثقف العراقي والنّخبوي ومنهم الرّوائي، فصب الرّوائي العراقي هذه الصّورة في منجزه الإبداعي ناقلاً وناقماً على ما قام به الإحتلال على العراق والنّصوص الرّوائية هي غالباً ما تكون الإنعكاس الصّوري التّام وشبه التّام للواقع وللمجتمع. لكن هل تعلم أمريكا بما فعلته في العراق وأهله، بسبب شخصية رعناء متزمتة بالحكم ودكتاتورية، وتقارير زائفة استخدمت فيها مفهومها العولمي (الصّورة الزّائفة Simulacrum)[١٢٣].

---

* خلال كلمة القاها في قناة الـ BBC يوم ٧-٧-٢٠١٦م
.ttps://www.youtube.com/watch?v=bfR

١٢٣ – استخدم واضع النّظريات الحضارية جان بودريار (Jean Baudrillara) هذا المصطلح للإشارة إلى النّسخة البعيدة كل البعد عن الشّيء أو الواقع الأصلي. فالواقع الزّائف أو الواقعية المفرطة هو شكل من اشكال الواقع تسيطر عليه الصّورة الزّائفة النّاتجة من عملية المحاكاة. ينظر: انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٩٨.



على الرّغم من وجود بعض الأحلام النّائمة داخل العراق للتّخلص من سلطة النّظام الظّالم والدّكتاتوري، وكأنَّ الأمر كان مرغوباً به من الدّاخل العراقي المضطهد لكن هذا الحلم إنْ تحقق هل سيتحقق كما هو مرسوم له وينتهي بسعادة أم إنَّه سينتهي بكابوس وذعر وألم يتبعه ضياع.

نجد في رواية (حارس التّبغ) لـ(علي بدر) ما يحيل إلى طريقة تفكير المثقف العراقي وأحلامه في نزعتها التّكوفيلية* كما يقول: " أصبح التّفويض الإلهي للأمة الأمريكية، اندفاعة عالية للنّزعة التّكوفيلية وهي الحلم بالدّيمقراطية وحقوق الإنسان.... ومن يستطع دفع الإحتلال الأمريكي..

* لم نجد لهذا المصطلح اي ذكر في المعاجم العربية والانكليزية، ولعله يريد (الميكافيلية) لميكافيلي (فكرة الغاية تبرر الوسيلة).



لا أحد .. إذن ليكن.. وتتحقق الدّيمقراطية لتحقيق التّنمية والحقوق الوطنية وبعد ذلك تصبح للأمة قدرتها على تقرير مصيرها"[١٢٤].

يبين لنا هذا النّص كيف تعامل الرّوائي مع العولمة الأمريكية على أنَّها قرار حتمي لا بد منه؛ لأنَّها مفوضة إلهياً ومندفعة بشكل يجعل منها هي الحامي للحقوق والدّيمقراطية ولا أحد يستطيع أنْ يقف بوجهها، ونجد أنَّ علي بدر يرغب في التّماهي مع العولمة لتتحقق الدّيمقراطية وتستطيع الأمة أنْ تتخذ قرارها المصيري بإرادتها.

وفي نص آخر نجده يبين لنا كيف تعامل المثقف العراقي مع النّزعة الجماهيرية التي هي بركان هامد يحتاج إلى من يحركه إذ يقول : " كان هذا الحلم ذاته يؤمن به كمال مدحت، مع خوفه من النّزعة الجماهيرية،

---

[١٢٤] – علي بدر، حارس التّبغ: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت ، ٢٠٠٨م : ٣٢٠.



مع خوفه الشّديد من هذه الإندفاعة الشّعبية التي تفلت من كل سيطرة. كان يريد التّغيير دون شك ولكن من يعرف الثّمن"[١٢٥].

نجد أنّه متخوفٌ نوعاً ما من النّهايات لمثل هذه النّزعات الإندفاعية الجماهيرية والتّي لا يستطيع أنْ يحكم السّيطرة عليها أحد، فالكلّ في العراق كان يسعى إلى التّغيير والتّخلص من سلطة الظّلم الصّدامي، لكننا حقيقة لم نكنْ نعرف ما هو الثّمن.

إنَّ هذه النّزعات الرّافضة المتولدة من الجماهير قد أصبحت متفاقمة جداً أو قد تكون وصلت إلى مرحلة الإحتقان أو الفوضى العارمة، بعدما قامت القوات الأمريكية بحل مؤسسات الدّولة والوزارات وكل شيء، فكان الوضع مأساوياً وهذا بالفعل إذا تصورنا بلداً بلا سلطة ماذا ستكون الصّورة المتكونة لهذا البلد (غابة)، وكانَ التّأثير المترتب على ما فعله الأمريكان هو الإنفلات الأمني والسّرقات والألم الشّديد الذي بقى يطارد

---

[١٢٥] – علي بدر، حارس التّبغ: ٣٢٠.



ذاكرتنا الجمعية كعراقيين من سلب ونهب وتأجيج للفوضى وهذا هو المبدأ لخلق نوع جديد على خارطة المحتل وهو العنف والطّائفية.

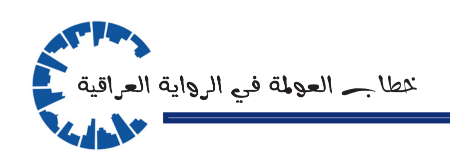
ونجد ذلك في رواية (سلطة السّيف) لـ(عادل ابراهيم) إذ يمثل لنا هذه الصّور كما يقول: " قال: د.سلمان: أنظر، وأشار بيده إلى حافلة حمراء اللّون تقف في الإتجاه الآخر، سَرق منها اللّصوص الإطارات ولوحات الأرقام والمحرك وباتت الحافلة مقعدة على الطّريق.

– السّرقات تحدث في كل مكان، وقد طالتّ كلّ شيء.

– لقد شاهدتهم ينهبون المتحف ودائرة الآثار ومؤسسة السّياحة ومؤسسات الدّولة. إنه عمل مخطط.. إنهيار للفكر والأخلاق والقيم، إنهيار لكل شيء"[١٢٦].

---

١٢٦ – عادل إبراهيم، سلطة السّيف: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م: ٢٦.



ففي هذا النّص نجد مخاطرَ كبيرة وإشارات رائعة تمثل لنا تلك الصّورة المؤلمة إذا اعتبرنا أنَّ الحافلة قد تمثل العراق، فالإشارة الأولى اللّون الأحمر وهو لون القتل والدّمار والظّلم وما يجري في العراق، والإشارة الثّانية الإتجاه الآخر، أي كأنه يريد أنْ يقول: بأنَّ هذا الإتجاه الذي كانت الحافلة فيه هو غير الإتجاه الصّحيح لها، والإشارة الثّالثة سرقة اللّصوص للإطارات وهذه الإشارة ذات معنى خطير، وعلى ماذا ترتكز الدّولة طبعاً على البنى التّحتية وهي (الإطارات) وقد سرقت، بعد ذلك تأتينا الإشارة الرّابعة سرقة لوحات الأرقام وقد تمثل لوحات الأرقام هوية البلد الذي ظلّ بلا هوية أو الهوية الزّائفة للبعض فقد سُرقت الهوية الأولى وتلونت بلون مغاير فخرج لنا الوجه الآخر لها وهو القتل والطّائفية والنّهب والسّلب، أما الإشارة الخامسة هي سرقة المحرك وبالفعل سرقوا منا الوطنية والدّافع الوطني والهمة وحب العراق وصار كل شخص منا يفكر بطائفته ومذهبه وعشيرته التي تأويه حتى صار أنانياً، والإشارة السّادسة بقاء الحافلة على الطّريق لتكون هي(العراق) خارطة الطّريق الجديدة، بعد ذلك يأتي الرّد بأنَّ السّرقات تحدث في كل مكان

وقد طالتّ كل شيء إنْ نظرنا إلى هذه الجملة عولمياً نجد أنَّ السّرقات الأمريكية قد طالتّ كل البلدان سواء كان ذلك بإردتها أم لا، بعد ذلك يخبره بسرقة المتحف ودائرة الآثار وهي إشارة خطيرة لقد سرقت أمريكا تاريخ الحضارات أجمع وسرقت مؤسسات الدّول فهي بعملها هذا المسبق والمخطط له تريد أنْ ينهار الفكر والأخلاق والقيم ومن ثمَّ كل شيء، ولعل هذا النّص يعدّ عولمياً في وجه من وجوهها.

نبقى في الإحتلال وهيمنته على الدّولة العراقية وما أنتجه ذلك من إفرازات على السّاحة العراقية من التّعسف والطّائفية والسّرقة وسقوط الدّولة والقانون وظهور التّحزب الجديد والتّشكيلات الإجرامية المستحدثة كما نجد ذلك في نص روائي لـ(شاكر الانباري) يقول فيه: "جاء الأمريكان وحلّوا الجيش والأجهزة، وحطموا كل المؤسسات السّابقة، ومن البديهي جداً أن يحلّوا الجيش، لكي نتحول إلى شعب من قصص مرعبة ....، كما إن المجرم



لم يعدْ يخشى العقاب.....، إذ زوال الدّولة وحل الأجهزة والتّحطيم المقصود للمؤسسات هي عوامل لاستشراء العنف والخطف والقتل والتّسليب"[١٢٧].

ترد في هذا النّص إشارة إلى حل الجيش العراقي وهذه الإشارة تدل على ترك العراق بلا قوة تحمي حدوده من التّدخلات الأقليمية أو الجيران، ويذكر لنا النّص أنَّ المجرم لا يهاب أي شيء؛ لأنَّه لم يخشَ العقاب ومن يعاقبه أصلا، قد حلل لنا الرّوائي (شاكر الأنباري) فعلة الأمريكان تحليلاً دقيقاً عندما حلت مؤسسات الدّولة وزوالها فقد حطمت كل شيء كي يستشري العنف والقتل والدّماء.

وتبقى صورة الفظاعة قائمة في ذهن الرّوائي العراقي بسبب ما ارتكبه الإحتلال الأمريكي من فداحة وفضائح لا يمكن السّكوت عنها دولياً فكيف بدولة عظمى تدعي أنها حارسة للدّيمقراطية مثل أمريكا أنْ تقوم بهذه الإنتهاكات ومنها إنتهاكات سجن (أبو غريب) وما جرى في قتلها الجماعي

---

[١٢٧] – شاكر الانباري، نجمة البتاوين: منشورات المدى، ط١، ٢٠١٠م: ١٤.

للعراقيين في حربي الفلوجة والنّجف الأشرف، وسبب هذا ولادة نسقية نقدية مقاومة برزت كرد فعل طبيعي لمثل تلك الإنتهاكات وبدأ ينتج الرّفض للمحتل من المثقف العراقي والشّعب كما نجد ذلك في هذا النّص الرّوائي لـ(عبد الزّهرة علي) اذ يقول: "إن معطيات الواقع تشير بضبابية المستقبل.

– بلا شك.. ولكن..

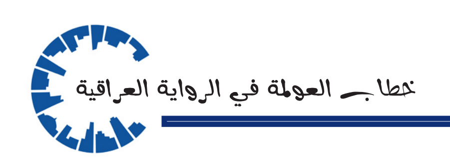
– كذلك جاءتنا وجوه لانعرفها..

– ليس كل ما تعرفه يكون مناسباً.

– وهذه الفوضى

– كل ولادة لها مخاضها... بعضها تأتي طبيعية وأخرى قيصرية..

– وإذا بعلها أجنبي محتل..



- لهذا كانت أخطاؤها جسيمة"[١٢٨]

هذا النّص واقعي وله مؤشراته التّحليلية من النّاحية العولمية لم يكنْ المستقبل واضحاً للعملية السّياسية الجديدة في العراق وكانت الضّبابية هي التي تسيطر عليه، فبعد الإحتلال الأمريكي جاءت وتصدت إلى السّلطة وجوه جديدة كلياً بعضها سمعنا عنه كمعارض لصدام والآخر لم نسمعْ عنه البتة، وما كنا قد سمعنا عنهم سابقاً اختلفت كل توجهاتهم بعد تربعهم على العرش، فعمت الفوضى وكانت الطّائفية وخير دليل على ذلك ما جرى بعد تفجير قبة الإمامين العسكريين (عليهما السّلام) في سامراء هذا المخاض الولادي القيصري؛ لأنَّ البعل كما يسميه الرّوائي أجنبي محتل وهو (أمريكا) فكانت أخطاء الدّولة الجديدة جسيمة ووخيمة.

وبظهور هذا النّسق النّقدي عند المثقف العراقي الذي ينتقد الدّولة ودورها بعد النّظام البائد، فالرّوائي لم يكنْ ينتقد من أجل ذاته المفردة

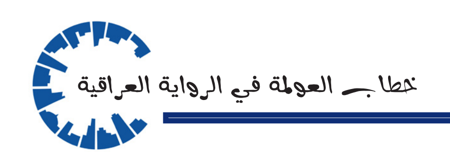
---

[١٢٨] - عبد الزّهرة علي، رياح السّموم: دار الينابيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ٩.

وإنما ينتقد بصوت الأمة أجمع بصوت الشّعب فهذا الشّعور الكلّي جعل المثقف العراقي يتنازل عن كل ما هو ذاتي ويشعر بالألم من أجل العراق ككل.

فما قامت به أمريكا من إحتلال للعراق هو خطأ جسيم ولم تتحمل أمريكا أعباءه بل وقع العبء على كاهل الشّعب العراقي الذي كانَ بالأمس مضطهداً واليوم مسلوب الإرادة.

ونجد في نص روائي آخر يبين لنا كيف كان الوضع بعد الإحتلال وأنَّ المصالح الفئوية هي التي ظهرت ونمت وتناست العراق وشؤونه كما في النّص الآتي: " تبدى لنا أنه مشروع فريد في منطقتنا وضروري لرفعة واستقرار مجتمعات متخومة بأحزاب وجمعيات وجماعات همها الوحيد مسح الأرض بخصومها الظّاهرين والمستترين. يعتمدون القتل وسيلة لنشر الأفكار والعقائد. ولا ندري ما نفع الأفكار والعقائد إذا هلك الإنسان.

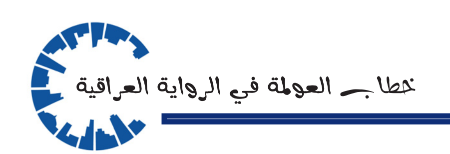


جماعتنا لاتبحث عن خصوم. بل نظن أن لا احد بوسعه مخاصمتنا لماذا سيخاصموننا..؟ هم يتقاتلون ويتنافحون باسم الوطن، القومية، الدّين، المذهب، العقيدة، الطّائفة....الخ، طيب لهم كل ذلك، لهم الوطن بما حمل والدّين بما انزل والقومية بما قامت لأجله، والمذاهب بما ذهبت إليه أننا ندافع عن كائنات لاوطن لها ولا قومية ولا دين."[١٢٩].

يشير النّص إلى القتل والإضطهاد من جانب الأحزاب والجماعات لكل من يقف بوجه الآخر وتمسح الأرض بالخصوم الظّاهرين والمستترين، فهذا ما تعتمده الأحزاب والجماعات الطّائفية والمذهبية، كي تنشر أفكارها وعقائدها وهو أمر مرفوض؛ لأنَّ ما هو أهم من أيِّ شيء هي (حياة الإنسان) وكيفية التّحاور معه، أما إذا كان القتل هو الوسيلة التي تنشر هذه الجماعات والأحزاب أفكارها وعقائدها فما فائدة الأفكار والعقائد إذا كان الإنسان الآخر مقتولاً.

---

[١٢٩] – كريم كطافة، حمار وثلاث جمهوريات: منشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا)، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م: ١٥.



ويشير النّص إلى أنَّ هذا الإقتتال وهذه الحرب بين الجماعات إنَّما يقومون بها باسم الوطن وهو زائف حقاً، والقتل يتم على فئات معينة وعلى أسباب واهية كالقومية والمذهبية والطّائفية والعقيدة؛ لأنَّهم يقتلون الإنسان وهو أهم من القومية والمذهبية. هذا الوضع الذي تلا الإحتلال هو "لجة فوضى اجتماعية وسياسية تنذر بالكثير من السّوء، فالحروب جبانة، والمحاربون جوقة من الاشقياء والمجانين والمخانيث، وهلافيت العصر الجديد"[١٣٠].

ويذكر لنا (وارد بدر سالم) كيف كانت العاصمة بغداد وكيف كان " ليل العاصمة مظلم لا يحتمل، والخديعة متربصة، والغدر يتحول إلى قصص في بلد فقد هواه النّقي، وظل يستنشق الغبار طيلة فصوله"[١٣١].

يشير النّص الرّوائي إلى أجواء اللّيل في العاصمة بغداد وكيف أنَّه لا يُحتمل، والكل حذر ومتربص، والغدر هو المسيطر على كل الأوضاع،

١٣٠ – وارد بدر سالم، عجائب بغداد: ثقافة للنّشر والتّوزيع، الإمارات، ٢٠١٢م: ١٠.

١٣١ – م . ن : ١٣.



حتى الهواء النّقي قد غادر وبقى الغبار الذي تركه لنا الإحتلال الأمريكي. فـ " الرّصاص الذي لا تعرف من أين يأتيك، ومن الذي يريد قتلك، وما هو السّبب، وبمرور الأيام اعتدنا الحالة، اقصد اعتدنا ان نموت باية لحظة، لا أحد يعرف السّبب، ولا ندري من يقتل من ولماذا يموت البعض، ولا يموت غيره؟"[١٣٢].

هذه هي الحال التي ترغب بها أمريكا أنْ تسود على العاصمة بغداد، فالموت أصبح بسبب وبلا سبب ولا نعرف مَن يقتل مَن ولأجل مَن.

ومن النّصوص الرّوائية العراقية وجدنا نصاً روائياً لـ(عبد السّتار ناصر) يبين لنا فيه ما وصل الحال إليه من التّشتت ومجانية الموت والفوضى العارمة، وكأنَّ البلاد في هلوسة ضائعة بين الإنتماءات والأحزاب، ويصف لنا بألم كيف صار العراق بعد الإحتلال "فجأة صارت عندنا أحزاب بالمئات وصحف ومجلات بالمئات، خفافيش ليل وأبطال من كل نوع وصنف

---

١٣٢ - – وارد بدر سالم، عجائب بغداد: ١٠٦.

رفرفة جناح شعار حزب العدالة، ومنقار صقر شعار حزب المستقبل، منحوتة جواد سليم شعار حزب الرّفاه المؤكد، ثم غجري موشوم بقلب مضروب بسهم شعار حزب المحبة والتّفاهم، الحياة صارت شيئاً آخر غير الذي انتظرناه بفارغ الصّبر حياة مرقطة منقوعة بماء مسموم، لايمكن أن تكون هذه هي البلاد التي عرفتها ذات يوم وعشت فيها شبابي، يبدو أننا في الهزيع الأخير من الطّمأنينة، .... النّاس في (شماعية) شاسعة صارت هي البلاد كلها"[١٣٣].

يبين هذا النّص كيف تشتت العراق وأصبح في دوامة وكأن النّاس لا تعرف ايّ شيء وهم في شماعية إمتدت على العراق بأجمعه، وقد يدل على الانشطار السّياسي والثّقافي وإلى التّحولات التي لا نعرف إلى أين ستنتهي بالعراق.

---

[١٣٣] – عبد السّتار ناصر، الشّماعية: دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧م: ١٦٤– ١٦٥.



وبسبب جريمة أمريكا الكبرى على العراق أصبح كل شيء ينتمي إلى الإحتلال غير مرحب به ومرفوض، حتى لون ملابس ودكنة جنوده وشعارهم وطعامهم وحتى ذكرهم وكل شيء كما نجد ذلك في هذا النّص الرّوائي "مع كل الاستعداد والقلق المسبق، شهقت العجوز ولطمت خدّيها وهي ترى حفيدتها بالبزة العسكرية المموّهة ذات اللّون الحليبي الفاتح. لم تعرفها في البداية والخوذة فوق رأسها. تمنت لو كانت المرأة المألوفة الواقفة أمامها تتنكر بهذا اللّباس، لو أنها استعارت الخوذة لحماية رأسها من طلقات طائشة لا تخلو منها سماء بغداد. ولكن ماتراه عيناها هو ما هجس به قلبها من قبل.

لا وفقك اللّه يازينة يابنت بتول.. ليتني متُّ قبل دخولك عليّ هذه الدّخلة السّودة... ارتبكت الحفيدة حرجاً أمام رفاقها، لكن أيّاً منهم لم يكن يتبين ما تقول العجوز. وتقدمت من جدّتها تريد عناقها فصدّتها "[١٣٤]، في هذا النّص نجد الألم واضحاً ومزروعاً في قلب الأم أو الجدة العراقية وهو

---

[١٣٤] – انعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: دار الجديد، بيروت ، ٢٠٠٩م: ١١٣-١١٤.



ألم مضاعف؛ لأنَّ من دخلت عليها مع الأمريكان إلى المنزل هي حفيدتها التي لم تكن تعرف أنَّها هي بادئ الأمر، ثم يتغلغل الوجل في قلبها وتتمنى الموت قبل دخول المحتل الأسود الذي ساعدته على ذلك أيدي المرتزقة ممن ينتمون للعراق.

وكان الرّفض حتى من المرتزقة الذّين ساعدوا الإحتلال وهو أسلوب مضمر في واقع الأمر إلا أنَّ الرّوائية (أنعام كجه كجي) برّزته على أرض الواقع كما تقول ذلك على لسان زينة " اليوم هو الخامس والعشرون من آذار ٢٠٠٨م مكتوب على الزّاوية العليا للشّاشة، إنتهى عقدي مع الجيش ولم أجدده عدت من بغداد بهذه المحصلة شجن مثل عسل مصفى"[١٣٥].

فعملها كمترجمة مساعدة انخرطت إلى هذا العمل من أجلِ المال فالإشارة التي نلمحها هي الوقت ويدل شهر آذار إلى الإعتدال الرّبيعي وهذا

---

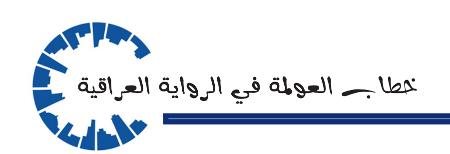
[١٣٥] – انعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: ١٩٢.

الإعتدال جعل من زينة أن تغير من وجهة نظرها ولن تجدد عقدها مع المحتل فكانَ اعتدالها ممزوجاً بالحزن كأنَّه العسل المصفى وهنا مفارقة لطيفة تذكرها الرّوائية فهذا الحزن هو مساعدتها للإحتلال وهي في قرارة نفسها رافضة له لما رأته من كذب وزيف قد صب على بلدها الأول وهو العراق.

وبقي النّسق المنتقد والرّافض لكل ما يتصل بالمحتل في ذهن المثقف العراقي وأنَّ كل الوعود والعهود التي يقولها المحتل هي كذب وهراء وهي صورة زائفة ليس لها مكان في أرض الواقع كما يبين هذا النّص الرّوائي " لكن الإذاعات التي بدأت تبث أثناء الحرب كانت أميركية ومذيعوها يلفظون القاف كافاً...وقالوا إن التّاكة الكهربائية ستعود بعد عشرة أيام قلت وأنا اضحك:

– أحقا قالوا إن التّاكة الكهربائية ستعود بعد عشرة أيام؟

قالتّ ريم:

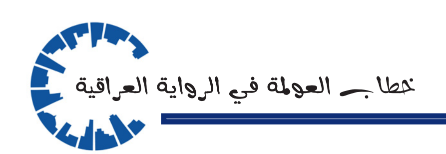


- سمعت هذا بأذني التي سيأكلها الدّود.. والمصيبة أننا صدقنا وانتظرنا.. وانتظرنا.. وانتظرنا...خ...خ...خ وراحت تتظاهر بالنّوم وتشخر من الملل"[١٣٦].

في هذا النّص نجد إشارات مهمة فقد ذكرت الرّوائية (ميسلون هادي) موضوعات ذات أهمية في تأثيرها على الواقع العراقي فوسائل الإعلام أدت دوراً كبيراً في إسقاط النّظام وكذلك في بث الكذبة التي طالما تكررت وهي بناء البنى التّحتية التي سرقت مع الإطارات من الحافلة، ومن الإشارات الأهم هو موضوع الكهرباء الذي يعد عصب الحياة في عصر العولمة، فتشير الرّوائية إلى هذا العصب المهم بأنَّه سيعود بعد عشرة أيام، وهي ساخرة على اللّفظ ولكن ما يدل على السّخرية هو فهمها للواقع العراقي وتكشف الزّيف والخداع من المحتل أمامها، فيذكر لنا النّص حتى لهجة المتحدثين في هذه الإذاعات من الأمريكيين وهم أصحاب توجهات عولمية

---

١٣٦ - ميسلون هادي، حلم وردي فاتح اللّون: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر المركز الرّئيس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ١١٠.



يجب أنْ يبثوها في المجتمع العراقي، لكن يأتي الرّد على كل تلك التّرهات والهرطقة بـ خ... خ... خ... لأنَّ هذا الموضوع أصبح مملاً فعلاً وأمريكا لو أرادت أنْ تكون صادقةً لكانت صادقةً من أول يوم فهي لا تحتاج إلى عشرة أيام أو عشرة أعوام.

إنَّ كثرة ارتكاب الأمريكان للأخطاء ما كان ليمر بلا ردة فعل فكل المجتمعات وهي نفسها أمريكا تسعى إلى التّحرر والاستقرار ولا تقبل التّعسف والإضطهاد، وهذا ما جاءت من أجله أمريكا (عولمياً)، فقد ظهرت حقيقة الإحتلال وكأنه هو من لا يريد للعراق أنْ يتشافى؛ لأنَّ شفاء العراق سيسرع من خروج المحتل بالقوة الفكرية قبل الجسدية، ونجد أنَّ الشّخصية العراقية قد أصبحت منقسمة على قسمين قسم يرفض الإحتلال وقسم مع الإحتلال كما يحيل لنا هذا النّص الرّوائي" ثمة دبابة أميركية تركن عند تقاطع الرّشيد بالفرع الذي يؤدي إلى شارع النّهر هل يستطيع جاسم أن يذهب ويفجرها... قال جاسم مستنكراً:



- وهل نحن من رجال المقاومة ما شأننا بالأميركيين.

- ألم يحتلوا بلدنا؟"[١٣٧].

فبدأ الفكر المثقف ينقل لنا توجه الشّخصية العراقية إذا كان بالرّفض أو القبول للإحتلال الأمريكي، وفي هذا النّص الذي ذكرناه إشارة كما ذكر الرّوائي (أمجد توفيق) مكان ركن الدّبابة الأمريكية وهو مكان مغروس في ذاكرة كل عراقي ويعد قلب بغداد القديمة فوقوف هذه الدّبابة هنا يدل على سقوط كل شيء وأنَّ الأمر منتهي وأمريكا وصلت إلى لب العراق حرفياً وهذه هي الهيمنة، فكان لا بد أنْ يكون التّفكير بالمقاومة كرد فعل لهذه الهيمنة فكأنَّ (جاسم) يريد أنْ يرضخ ولا يقاوم وهذه الشّخصيات نجدها كثيراً في المجتمع العراقي ويمكن أنْ نطلق عليهم بأصحاب مقولة (وما شأني أنا)، لكن يأتي الرّد لجاسم وهو رد صاعق - ألم يحتلوا بلدنا؟، ففكر

---

[١٣٧] - أمجد توفيق، الظّلال الطّويلة: منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الرّواية، ع(٧)، ٢٠٠٨م: ٢٧.



المقاومة النّسقي كان حاضراً في هذا النّص وهو تفجير الدّبابة وإنْ كان في بداياته الفكرية.

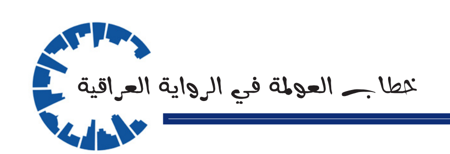
استطاع الإحتلال وبهيمنته التي لا بد منها أنْ يغير نحو الأسوأ في بنية المجتمع العراقي من خلال الإنفتاح المفاجئ لدخول التّكنولوجيا فدخلت إلى العراق تقنيات لم يعرفها الشّعب العراقي سابقاً إلا ما ندر وكان يسمع عنها، فغزت أمريكا الشّعب العراقي وأتاحت أمامه كل الفرص التي تجره إلى الإنحلال والتّفسخ فدخلت الشّاشات الثّلاث (السّتلايت، الموبايل، الحاسوب والانترنيت)، هذه التّكنولوجيا جعلت من الشّعب العراقي مخدراً لسنوات وهو جالسّ أمامها منبهراً بها مستخدماً حدها الآخر السّيء، فبات يعيش على الثّقافة الموجهة له بإرادته ويتحدث عن الفكر الأمريكي وعن السّياحة وعن البرامج التّرفيهية ناسياً أو متناسيا فاجعته الكبرى، ناسيا حقوقه المستلبة ناسياً كلَّ ما يجب أنْ لا ينسى.



فتطفو على السّاحة (الإنقسامات) التي كانت تعمل في البدء تحت ضوء خافت وبعدما أصبحت قوية ظهرت في دلوك الشّمس لتعلن عن نفسها ولتتشظى الهويات في المجتمع الواحد وكانَ لأمريكا الدّور الكبير في تمزيق الهوية العراقية وتشتتها وتخندقها في خندق الطّائفية والعشائرية كما يشير إلى ذلك هذا النّص الرّوائي "لوحات الرّؤوس وهي تقطع بالفؤوس أو السّيوف على أيدي قتلة إرهابيين تتراقص أمامي: كانت تلك الملقاة على أكوام الزّبالة أو التي تصادفنا على نواصي الشّوارع....وإذا كانت التّصفية الجسدية بادئ ذي بدء مقتصرة على الأماكن العامة فاليوم جرى تطور خطير جداً .. بدأ القتل على الهوية المذهبية يمارس ضد أبناء أهل الأحياء السّكنية"[١٣٨]. بدلاً من أنْ تتوحد الأيدي العراقية لمقاومة المحتل قامت هذه الأيدي بقطع أوداجها بنفسها لتقتل على الهوية المذهبية وفي داخل الأحياء السّكنية أيْ أنَّ الموت محتوم لا محالة فلا خروج ولا دخول إلا بالموت.

---

[١٣٨] – موسى الهاشمي، كنت ميتا: شركة الحوراء للطّباعة والنّشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م: ٤٣.



بينما تؤدي أمريكا لعبتها الكبرى لتصقل التّاريخ الحضاري للعراق وتجعل منه أرضاً ملساء يكاد أنْ تجد فيها أطلالاً لحضارة أو تاريخ، فسرقت ونهبت كلَّ شيء مرتبط بالحضارة والفكر والتّاريخ، وحرّقت الكتب كما فعل هولاكو وسرقت التّراث والإرث كما يشير هذا النّص الرّوائي ففي "الأيام الأولى للعمليات العسكرية وقع أكثر من مائة أكاديمي أمريكي وأوربي بياناً ينبّه إلى الخطر المتربص بإرث العراق الحضاري النّفيس جراء الاحتلال.

- وما الذي حصل؟ تمت سرقة المتحف والمكتبات وكنوز العراق وتعرضت دار الكتب والوثائق للحرق تحت حماية النّار الأميركية.

- صمت عبداللّه حزناً.. وقال ساخراً لقد حرّرونا من كنوزنا الثّقافية"[١٣٩].

يشير هذا النّص إلى تزييف الحقائق فالمحتل يعلن عن حفظ التّراث والإرث لكنه هو نفسه قد وقّع على سرقته أيضاً، فتمت سرقة كل

[١٣٩] - عادل إبراهيم، سلطة السّيف: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م: ٩٢.



شيء حتى متحف الموصل نعتقد بانَّ أمريكا قد سرقت منه كل شيء وأرسلت نسخاً طبق الأصل وأعادتها إلى المتحف ودعت داعش إلى تدميرها، وتقوم بتصوير ذلك كله كي تقول للعالم إنَّ داعش هو من دمرها وهي تمتلك النّسخ الوحيدة لهذه الحضارات العريقة التي لم نعرفْ كيف نحافظ عليها، وما جعلناها ذات يوم إنطلاقتنا الأولى للمستقبل.

وتم حرق المكتبات ودار الكتب والوثائق وتحت أنظار أمريكا فهي تريد ذلك تريد أنْ تنسف كل شيء ثقافي وتمحوه وتأتي بثقافة جديدة مغايرة لما كانَ سائداً في منهج الشّعب العراقي لتجعل منه شعباً فارِغَ الذّهن، لتهيمن عليه كيفما تشاء، وهذا ما يركز عليه النّص بقوله: لقد حررونا من كنوزنا الثّقافية.

بقي الرّفض للهيمنة الأمريكية على شكله المقاوم المطالب بإنسحاب المحتل أو الموت دون ذلك كما يصور لنا هذا النّص الرّوائي



"أستطاع عبدالله أنْ يهدئ وليداً بعد مدة، لكنه عاد إلى البكاء وصرخ في وجه عبداللّه: لقد استشهد.

– من؟

– أحمد.

– أين وكيف؟

– قبل ساعات، كان مصمماً على أن يفجر دبابة أمريكية ....

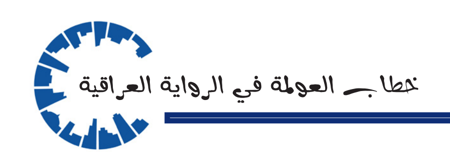
وجَّه إليها القاذفة وضغط على الزّناد لكنَّ الصّاروخ أخطأ هدفه، فأطلق عليه الأمريكان زخاتٍ من الرّصاص فأردوه قتيلاً.

_أين هو الآن؟ _في الجامع."[١٤٠].

في هذا النّص نجد إشارة فعلية عن المقاومة الجسدية وهو أسلوب نقدي رافض للمحتل وهيمنته فـ(أحمد) أراد أنْ يفجر الدّبابة الأمريكية

---

١٤٠ – عادل إبراهيم، سلطة السّيف: ٢٣.



عن طريق القاذفة ففشلت المحاولة لكن الأمريكان أصابوه بوابل من الرّصاص كي يموت وهو مقاوم يدافع من أجل العراق، أشار الرّوائي في هذا النّص إلى المقاومة والمتمثلة في شخص أحمد فمن حق المضطهَد أنْ يدافع ويقاوم المحتل لكن هنا إشارة مهمة وهي أنَّ المقاوم إذا فشل فسيكون مصيره الموت وهذا واضح وعلى مر التّاريخ.

ونجد في رواية (بعل الغجرية) لـ(تحسين كرماني) الموقف الرّافض للمحتل على الرّغم من كل المغريات التي تقدم من أجلِ تغيير النّظرة لقبوله، وكان هذا الرّفض على لسان الحيوان أيضاً كما يصور لنا هذا النّص الرّوائي " لا تصدق ابتسامة الغازي، وراءه دعوة لترك دينك!! أخرج أحدهم علبة طعام مكبوسة أدلق ما فيها أمام الزّميل حمار، رفض الحمار بإباء وكبرياء وشموخ تلويث جسده، رغم يقيني بجوعه، ظلّ ينحت عينيه، يقرأ ما بعيني من أجوبة، شعر بأنَّ كرامته الحيوانية في خطر، قال لي: ملثم قصير القامة بصوت مفتعل: قل له أنْ يأكل.

قلت: لا يأكل الزّميل حمار طعاماً أجنبياً.

نقل كلامي إلى العسكري الذي ظلّ ناحتاً زرقة عينيه في عيني،

قال:

-هل تبيعه؟

قلت بلا تردد: حماري يرفض مرافقة الغزاة.

قال الملثم: سيعطونك مبلغاً محترماً.

نهق الحمار، ذرف رشقات دموع، تقدمت منه، داعبت رأسه مطمئناً....

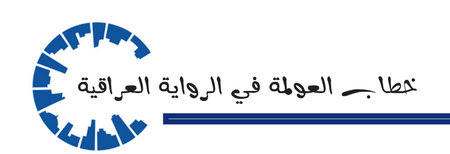
قلت للمترجم: يرفض حماري أن يمسه أيَّ غريب.

- يعطونك دفتراً من الدّولارات ياغفل. قال: الملثم.

أجبته: سيضرب عن الطّعام، سيموت كمداً...... "[١٤١].

---

[١٤١] – تحسين كرمياني، بعل الغجرية: دار تموز، دمشق ،٢٠١٢م: ١٨٣-١٨٢.



النّص طويل ولكن في هذا النّص نجد الرّوائي قد أضاف بعض النّزعات الإنسانية للحمار جاعلاً منه يرفض المحتل ويريد أنْ يبقى وفياً لبلده على الرّغم من كل التّرغيبات المالية والطّعام وغيرها، وهنا إشارة إلى الوفاء الحيواني على العكس منه الوفاء الإنساني المتهرء لبعض أبناء البلد ومنهم المترجم الملثم.

ومن الصّور التي تتضح في النّصوص الرّوائية كيف أنَّ الإنسان العراقي مستهان به ودمه مباح من قبل المحتل الأمريكي كما ورد في هذا النّص " استلمت الأوامر بأنني يجب أن أقتل.. ثم صوبت بإتجاه شخص من المتظاهرين، تنفست بعمق أغلقت عيني اليمنى وأطلقت النّار رأيت الرّصاص يصيب المتظاهرين في صدورهم.. ثم اخترت شخصاً آخر من المتظاهرين وكان يحبو على ركبتيه، ويديه يريد الفرار بأسرع ما يمكن، ثم صوبت على راسه، وتنفست بعمق، ثم أطلقت الرّصاص، انفجر راسه بعد راس آخر وآخر، استمريت في تفجير الرّؤوس حتى همدت حركة من كان في



المظاهرة.. وخلال دقيقتين ونصف الدّقيقة كنت قد قتلت أكثر من اثني عشر شخصا"[١٤٢].

يشير هذا النّص إلى الإباحة في القتل ففي دقيقتين ونصف قتل أكثر من اثني عشر شخصاً أي تم إنهاء إثني عشرة عائلة من معيلها أي تم ترميل إثنتي عشرة امرأة ناهيك عن الأيتام الذي تركوا بلا أب، هل هذا ما جاءت من أجله أمريكا؟ نعم هذا ما تريده الهيمنة الامريكية في العراق.

وفي موقف آخر يعزز هذه الإباحية ما قاله جندي آخر وهو يحاور زميله "والمقاتلون لا هم لهم سوى أقتل، أقتل، حتى لا تقتل"[١٤٣]. من هذا التّوحش تنطلق أمريكا كي تحرر العراق، ونتساءل هل أنَّ أمريكا وهي مصدرة للدّيمقراطية والحرية كما تدعي يمكن أنْ تفعل ذلك بمواطنيها المتظاهرين.

---

١٤٢ – شاكر نوري، المنطقة الخضراء: ثقافة للنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ١٤٨.

١٤٣ – م . ن: ٢٨.



وفي نص آخر يبين لنا ما تفعله الشّركات الأمنية وهي "جيش داخل جيش بل وأكثر من الجيش الأمريكي بطشا، ولا يتوانون عن قتل أي فرد في الشّارع، لمجرد انهم يشككون في نظراته"[١٤٤].

في النّص يتبين أنَّ الشّركات الأمنية هي ليست أمنية ولا أمينة فهم يقتلون لمجرد الشّك بالنّظرات، هذه الثّيمة التي جاء بها الإحتلال.

وفي نص روائي آخر للروائي (حسن حافظ) نجد كيف يتعامل الاحتلال الأمريكي مع الشّعب العراقي كما يقول: " فجأة أقبل رتل عسكري من قوات الاحتلال، من جهة الجامعة المستنصرية، باتجاه شارع فلسطين.. وعند السّاحة زاحمهم صاحب سيارة أجرة من نوع(كيه)، وعلى حين غرة دوى الرّصاص.. فقد وجّه من يقود مقدمة الرّتل الأمريكي المرعوب، أطلاقاته نحو صاحب السّيارة ومن فيها، ظناً منه أنه يقوم بعملية فدائية انتحارية.. تجمهر النّاس على عجل يستطلعون الأمر.. كانوا يقفون عن بعد في

---

[١٤٤] – شاكر نوري، المنطقة الخضراء: ٢٩.



الجانب الثّاني من الشّارع.. حاول جنود الاحتلال أن يقوموا بعملية تنفس اصطناعي لهما، لكن الموت والشّهادة كانت الأسبق إليهما..صرخ أحدهم..

- هذا ظلم واستبداد.....

كنت احسب أن الأمريكان قد خلصونا من نظام استبدادي"[١٤٥] .

من خلال طريقة تعامل الأمريكان مع الشّعب العراقي تتضح صورتهم المبطنة الجبانة، كما تتضح رؤية الشّعب لهم فكان الشّعب ينظر إليهم بأنَّهم هم المخلص من ظلم الدّكتاتور الظّالم لكن تبين أنَّهم أكثر قسوة وفتكاً من الطّاغية صدام.

يبقى الموت هو المهيمن على السّاحة العراقية وإلى الآن وتبقى الاوضاع كما في هذا النص الرّوائي " سحابة الأسى في صدور الأموات لا

[١٤٥] - حسن حافظ: النّهار الذي يلي البارحة، جمعية الثّقافة للجميع، بغداد، ط١، ٢٠١٠م: ٥٧.

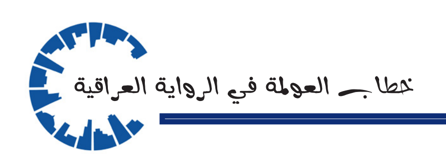


مناص من حرثها بتآلف ما اجترت الحياة من زغب الأولين كشرخ الكون الذي درس فيه صبيانية المجرة حين تندفع في الفضاء بفم منصهر"[١٤٦].

هذه الهيمنة التي كانت تتبناها أمريكا في إخضاع المجتمعات لها، وجدنا في النّصوص الرّوائية السّابقة مفهوم الهيمنة واضحاً في رؤية المثقف العراقي ورأينا كذلك مفهوم المناهضة والمقاومة للهيمنة الأمريكية بعدّها هيمنة سلبية غير إيجابية مطلقاً جاءت إنعكاساً واضحاً ومرآة لواقع الاحتلال.

---

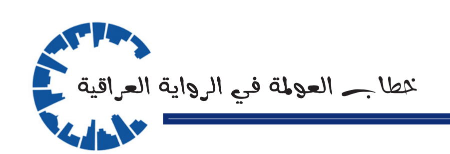
[١٤٦] – جمال حسين علي، أموات بغداد: دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ١١.



- المبحث الثّاني مفهوم سياسة تأكيد الهوية (Identity Politics):

نسعى في هذا المبحث إلى تسليط الضّوء على مفهوم الهوية وسياسات تأكيدها، لاسيما أنَّ هذا المفهوم الملتبس أدى دوراً مدمراً في العراق، كاد أن يغرقه في نهر من الدّم، فلا يختلف راصدو الشّأن العراقي في أنه لامس عتبة الحرب الأهلية، أو أنه إنزلق اليها، ولاسيما بعد تفجير الإمامين العسكريين(ع) في سامراء، وما خلفه هذا التّفجير من تداعيات طالت اللّحمة الاجتماعية، مثل عمليات التهجير، والقتل على الهوية، في محاولة من الجماعات المتصارعة لرسم حدود مذهبية للمدن والاحياء، معتقدين أنَّ مثل هذا الإجراء سيشكل حواضن واقية ضد الآخر.

وكان الخوف ضرباً في صميم الرّوح العراقية التي خرجت من التّجربة الدّيكتاتورية الممتدة على عقود، وهي مثخنة الجراح، وحين حلت الفوضى، تهتكت الأستار كلها التي كانت تلك الرّوح الواهنة تستظل بها،

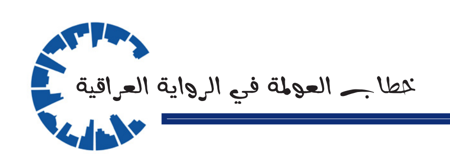


ومع غياب القانون ومخالبه التّنفيذية، حلت الميليشيات المسلحة لتملأ الفراغ، وهرب صاحب القانون مذعوراً، ليقف مكانه الملثم، الذي لا تعرف مرجعيته، وكان كل ذلك الخراب يجري تحت سماء الأفكار والعقائد المسيّسة.

ومن المفاهيم العولمية التي تهتم بالهوية هو مفهوم سياسة تأكيد الهوية، "وسياسات تأكيد الهوية هي الاهتمام بالجماعات المهمشة داخل المجتمع التي تنشد خلق مجتمع قائم على مقومات ثقافية واجتماعية وعرقية. وقد ظهر هذا المصطلح الى النّور بواسطة نشطاء سود في الولايات المتحدة في السّتينيات من القرن العشرين. وتشمل الأمثلة الأخرى التي يمكن ان يقال انها تشارك في سياسات الهوية: الشّعوب الاصلية الجنسيين والملونين. وتركز سياسات الهوية للتهميش والسّعي لمعالجة هذا من خلال اللّجوء الى هوية مميزة(وغالبا ما تكون غير قابلة للتحويل)، أي ان ما يميز المجموعة من الاتجاه السّائد. بالنّسبة الى سياسات تأكيد الهوية"[١٤٧].

---

[١٤٧] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٨٦.



من ثم الاهتمام بكل ما هو مهمش من الجماعات التي تسعى الى خلق مجتمع خاص بها له أسس ثقافية ولغوية واجتماعية "وهناك انطباع شعبي- في المراحل المتأخرة على الأخص- بأن العولمة مرنة بشكل مطلق ويمكن الافراد تشكيلها لانفسهم تماما. ويعد هذا جزء من التّحول من العصور الحديثة الى ما بعد الحداثة(او من التّقليدية الى الحداثة باصطلاح غيدنز). وبالرّغم من ذلك، هناك حدود لهذا، حيث لا يوجد هناك ضمان ان الهوية (التّي تم تشكيلها) سوف يتم استيعابها بالطّريقة التي قصدت بها. وبلغة دراسات العولمة، يعد المجال الذي غالبا ما تتم مناقشة الهوية فيه(كمناقض لسياسات تأكيد الهوية) غالبا من لا يكون سياسيا بقدر ما هو استهلاكي. وتعد فكرة أسلوب الحياة مركزية بالنّسبة الى مثل هذا النّقاش"[١٤٨]. والهوية مأخوذة من هُوَ .. هُوَ بمعنى أنَّها جوهر الشّيء،

---

[١٤٨] – انابيل مولي، بيتسي ايفانز، العولمة المفاهيم الأساسية: ١٨٧.



وحقيقته، لذا نجد أنَّ الجرجاني يقول عنها: "بأنَّها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النّواة على الشّجرة في الغيب"[149].

فهوية الإنسان .. أو الثّقافة .. أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنساناً أو ثقافة أو حضارة– الثّوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشّيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أنْ تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذّات على قيد الحياة[150]. فالهوية قد تعبر عن الصّفات التي بها تتميز عن الهويات الأخرى و"إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"[151].

---

[149] – ينظر: الشّريف الجرجاني، التّعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، الطّبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٣١٤.

[150] – ينظر: محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثّقافية، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، الطّبعة الأولى، فبراير ١٩٩٩م: ٦.

[151] – ندوة الهوية العربية عبر حقب التّاريخ، للمدة ٢٥-١٩٩٧/٦/٢٦م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للنّدوة: ٧.

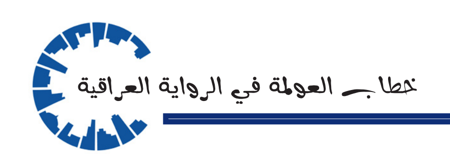


والهوية دائماً اجتماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللّسان الذي يجري التّعبير به، والتّراث الثّقافي الطّويل المدى[١٥٢].

والهوية في غاية الأهمية وتنطلق من العولمة إذ النّاس لا يمكنهم أنْ يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخصوصية إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة العولمة تفترض وجود مشاركة وقوة مسيطرة وهذا ما حدا بالبعض إلى أنْ يسميها الأمركة، وللأسف إنَّ أمريكا لا تهدف إلى تطبيق قيمها فحسب، بل إنَّها تنطلق من مصالحها الذّرائعية المجردة من المبادئ والتّي تكيل بمكيالين والتّي تشكل خطورة عظيمة على القيم والأخلاق والهويات و"من المفارقات الغريبة في خصوص قضية الهويات نجد أنَّ

---

١٥٢ – ينظر: محمود سمير المنير، العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنّشر والتّوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م: ١٤٦.



وسائل الاتصال الحديثة التي حولت العالم الى قرية كونية قد ساعدت من وجه آخر على تفجير الهويات وقيام الصّراعات"[١٥٣].

وبعد إحتلال العراق وبسبب السّياسات والإجراءات الأمريكية الخاطئة والمتكررة والتّي تركت إنطباعاً كبيراً مؤثراً على قيم العراقيين ومجتمعهم، إذ إنَّ الهوية الوطنية قد تمزقت وكذلك مفهوم الوطن قد تغيرت معانيه من حيث الإنتماء، فظهرت إنتماءات مستعجلة وطارئة كان لأمريكا الفضل الكبير في ظهورها؛ لأنَّها تخدم سياستها المعلنة وغير المعلنة.

فبرزت لدينا هويتان الأولى محافظة على أصالتّها والثّانية متشظية متعددة لا تنتمي إلى العراق كهوية وطنية، فصار للهوية الوطنية المحافظة مهمة صعبة كي تجابه الهويات المتشظية.

ومن المفارقات الكبيرة أنَّ بلداً حضارياً مثل العراق وبعمق تاريخي عمره تجاوز آلاف السّنين ويتحدث أبناؤه عن هوية مفترضة قد

---

[١٥٣] – سمير كاظم الخليل: دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي، مصدر سابق: ٣١٩.

تجمعهم، وربما يكون هذا السّؤال عند أعم النّاس والنّخب الثّقافية والسّياسية. فقد ذكر (علي وتوت) التّشاؤم في ولادة هذه الهويات بقوله: "إنَّ العراق ليس واحداً بالإرادة وإنما موحد بالقوة، وهو يحتضن في جغرافيته فئات متباينة حدّ التّنافر"[١٥٤]، لذلك سنسعى إلى ذكر الإشارات لهذه الهويات المفترضة عبر نصوص الرّواية العراقية.

وقد وجدنا في النّص الرّوائي هذا المفهوم بالإنتماء للهوية عبر نصوص متعددة في الرّواية العراقية واستطعنا أن نقسم الهويات على الآتي:

١- الهوية الوطنية:

ومن الهويات التي وجدناها هي الهوية الوطنية كما يبين لنا ذلك الرّوائي (أمجد توفيق) مما قد ذكر في إشارة مهمة وهي تحديد الهوية من خلال رفض الإحتلال الأمريكي وإنَّ هذا الرّفض هو رفض لكل شخص عراقي يشعر بهويته الوطنية العراقية التي يسعى كل عراقي أنْ تبقى ولا تنطمس في

---

[١٥٤] - علي وتوت وآخرون، المواطنة والهوية الوطنية، دار العارف، بيروت، ٢٠٠٨م: ٦٥.



التّأثر بما جاء به الإحتلال ويجب أنْ تتحرر الهوية العراقية؛ لأنَّها تمتلك بعداً ثقافياً وحضارياً موغلاً في العمق التّاريخي والتّرابطات الوثيقة بين جميع أطيافه وهوياته المتفرعة.

فهذا النّص يبين لنا هذه الفكرة و"إننا كعراقيين نرفض ونقاوم من يحتل بلدنا، وهذا الرّفض هو هويتنا الأصلية: كيف يشرح الأمر للمنتظرين في البيت؟

شعر بشيء أشبه ما يكون بالصّداع اخذ يمشي حتى أصبح أمام بيت شبه مهدم، ركل الباب ودخل.

أنى لجاسم أنْ يدرك أنَّ السّائق عندما ذهب إلى المخبأ روى دوره في نقل مقاتل يحمل قاذفة من موقع المعركة إلى ساحة السّباع تعجب الحاضرون وهم يتساءلون عن هويته التي حددها كبيرهم.

- لا تعجبوا أنه عراقي شريف دفعته غيرته إلى المساهمة وبرغم أنه لم يقم بفعل محدد اثبت أن جذورها في كل مكان"[١٥٥].

فالواضح من هذا النّص هو التّنازل عن أي هوية قد يمتلكها الانسان أو الفرد العراقي ويتمسك بهويته العراقية الوطنية التي لا تعرف أي تفضيل على الآخر من حيث الطّائفة أو اللّهجة أو اللّون أو المعتقد أو الدّيانة.

ومن النّصوص الرّوائية التي أشارت إلى ذلك ما ذكره الرّوائي (عبد الزّهرة علي) كما يقول: "ولكن ألا تعتقد أنَّ الجماعات الإرهابية والمليشيات ستفضي بالبلد إلى الخراب.

- لايمكن الوصول إلى الفصل الذي استعجلناه دون المرور بهذه المحطة.

---

[١٥٥] - أمجد توفيق، الظّلال الطّويلة: منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الرّواية، ع(٧)، ٢٠٠٨م: ٤٣.



- وهل تعتقد نحن قادرون عليها.

- ماذا تعني.

- أعني أنَّ النّهب والسّلب وسفك الدّماء اشترك فيها الكثير من الدّاخل والخارج.

- نحن علمنا الكون الكتابة، وسنن أول شريعة تعنى بحقوق الإنسان"[١٥٦].

ففي النّص إشارة إلى الهوية الحضارية التي تعتز وتفتخر بتاريخها الحضاري وبالإرث الذي يمتلكه العراق، كون الحضارات التي كانت في العراق هي أول من علم الإنسانية كتابة الحرف وكونها أول من سنت شريعة قانونية تعنى بحقوق الإنسانية وتدبير أمورها.

[١٥٦] - عبد الزّهرة علي، رياح السّموم: دار الينابيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ٦٠.



من الممكن أنْ نسمي هذه الهوية بالهوية الحضارية وهي التي تتمسك دائماً بالحضارة العراقية وتنتمي إليها فهي لا تعترف بهويات أخرى غير الحضارة والعراق.

وتحيلنا الرّوائية (إنعام كجه جي) إلى نقطة مهمة مضيئة في هذه الهوية إذ تقول: "لم اسمع والدّتي تتحدث بغير اللّهجة العراقية في البيت رغم أن أبي كان يريدنا أن نتعلم أيضاً الأشورية لغته الأم أما الانكليزية فظلت لغة الشّارع والعمل ونشرات الإخبار نلوي فكوكنا وننطق بها لحظة نضع الأقدام على عتبة المنزل.......أمام المبنى لبسنا لغتنا الأخرى ودلفنا بها إلى البيت.

_كيف لم تنسَ ابنتك لغة بلادكم؟

تسأل الجارات وهن يسمعنني أتكلم في الهاتف مع ساهرة فتبتسم أمي وتنظر إليَّ باعتزاز يقارب الامتنان، كم كانت تتمنى لو أعطتني لقب



عائلتها الموصلية العريقة زينة بهنام السّاعور"[157]، تتحدث الرّوائية عن التّماسك الواعي لهذه الهوية حتى وهي خارج العراق وهي لاتقول: إنَّ شخصاً يقرر التّمسك بالهوية، بل إنَّها تقول: إنَّ العوائل المنتمية إلى الأقليات في العراق كالآشورية تمسكت بهذه الهوية عن طريق تمسكها باللّغة واللّهجات، وإنَّ اللّهجة العراقية هي اللّغة الأصلية لها وبعدها من حيث الأهمية لغتها الأشورية وكانت الإنكليزية لغة طارئة تستخدمها في حياتها اليومية، وفي النّص نجد أنَّ الرّوائية تشير إلى أنَّ الآخرين مستغربين من تمسكها بهذه اللّغة وهذه اللّهجة وهي كانت تفتخر افتخاراً كبيراً بذلك.

٢- الهوية المكانية:

ومن الهويات الأخرى التي ذكرت في النّصوص الرّوائية هي هوية المكان المناطقية التي تنتمي إلى مدينة أو مكان أو جهة كالشّمال والجنوب وغيرها، ومن هذه النّصوص ما ذكره الرّوائي (شوقي كريم) في

---

[157] - أنعام كجه جي، الحفيدة الأمريكية: ٢١.

روايته (شروكية)* إذ يذكر في نصه: "قال الفتى الجنوبي بعد أن بسمل ورفع كفه إلى السّماء خير أن شاء اللّه أخذته إلى ودِّها فلقد أحست أن ثمة خيطاً يربطها والفتى، خيطاً أعادها إلى الصّوت الذي كانت تسمعه وهو يقرأ شعراً وينغم بهدوء القصائد الحسينية ويبكي بصدق لحظة تتخضب رأس السّيد الجليل بالدّم الذي ما يلبث أن يصير طيوراً خضرٌ تملأ الفضاء ......يصيح الذي جلله الألم.

– واحسيناه"[158].

ونجد أيضاً في النّصوص الرّوائية ما يشير إلى الهوية المناطقية ويذكرها نفسها كالنّجف الأشرف كما في النّص الآتي "زوجته أم مصعب

* تمثل بعنوانها هوية خاصة بأهل الجنوب الشّرقي العراقي ووصفهم النّظام البائد بهذا الوصف، وهذا الوصف فيه قدح، ولعل التسمية تمتد بعيداً في التّاريخ إلى مدينة(شروباك) بالقرب من الوركاء وهي من المدن السّومرية.

[158] – شوقي كريم حسن، شروكية: النّاشر: دار الشّؤون الثّقافية، بغداد ، ٢٠٠٩م: ١٣٤.

نجفية لذلك تحب القباب المذهبة وتزور الأئمة المعصومين وتلبس الأسود في عاشوراء تضامنا مع آل بيت النّبي"[١٥٩].

ومن الهويات التي تعد المكان الهوية لها إذ نجد في نص روائي آخر كيف أنَّ الهوية قد تكون هي المكان الصّغير كما يقول الرّوائي محمود النّعيمي : "حدق صباح بوجه أنور وكأنه يتوسل إليه إن لا يثير الشّيخ الذي بدا على وجهه نوعٌ من الغضب، فأومأ أنور برأسه مستجيبا انتبه الشّيخ وأبعد المبسم عن فمه وقال لصباح:

– إن كنت فرنسياً ياضيفنا العزيز فأين عيونك الزّرق؟

ابتسم صباح وقال:

– أنا عراقي من النّجف وأعيش في فرنسا وقد غادرت العراق في السّبعينيات.

---

[١٥٩] – خالدة جبار، منفى ونساء: دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ٥٥.

صمت الشّيخ وهو يحدق في استغراب بوجه صباح واستمر يقرقر ثم سأل:

– نجفي؟

– نعم.

اعتدل بجلسته ووضع المبسم على فخذه المترهل وسأل:

– من داخل السّور؟

بهت صباح وأرسل نظرة حادة إلى وجه الشّيخ ثم استدار نحو أنور يشعر باستغرابه من هذا المصطلح وتململ هذا في جلسته. أكد الشّيخ سؤاله

– ها.. ثم سكت؟

ردّ صباح وقد تقلصت عضلات فكيه:



- ياشيخ.. هذه المصطلحات عفا عليها الزّمن كانت تستعمل قبل عشرات السّنين، ونحن الآن في القرن الواحد والعشرين هل تريد أن نرتد إلى الخلف؟، نحن أبناء بلدة واحدة ووطن واحد.. فما معنى هذا التّقسيم؟"[١٦٠].

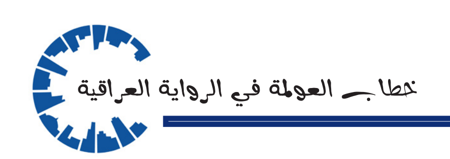
في هذا النّص الرّوائي نجد إشارة لمفهوم الهوية على أنَّه هو المكان الصّغير داخل الأسوار فقط، هذه هي نظرة الشّيخ الكبير بالعمر بينما تختلف فكرة الهوية بالنّسبة إلى صباح كونه قد سافر وانفتح على العالم بأنَّ الهوية هي هوية الوطن ولا تحتاج إلى التّقسيم بين سور وآخر.

٣- هوية الأقليات:

كذلك من الهويات المتفرعة التي وجدناها في النّصوص الرّوائية هي التي تمثل القوميات الأخرى في العراق ومن هذه الهويات القومية التّركمان والأكراد والكلد آشورين، ومن خلال هذا النّص الرّوائي يتضح لنا

---

[١٦٠] - محمود جاسم عثمان النّعيمي، حي السّعد: مطبعة دار المواهب، النّجف الأشرف، ط١ ٢٠٠٩م: ٧٥-٧٦.



مفهوم الهوية القومية والتّمسك بها وبالإرث الكردي داخل العراق من خلال ثقافاتهم وأفعالهم الجمعية، كما "لم يقبل والدّ العروس إلا إن تزف العروس بدبكة كردية، وقد طلب من العازفين أن يغنوا من التّراث الكردي فقط"[١٦١].

ونجد أنعام كجه جي في نصها الرّوائي تذكر تعدد القوميات في العراق، والتّخلص من العقد والحواجز بين القوميات، "لو يعرف مهيمن بأي لغة كان أبي يحدثني، وعلى أي أناقة بلاغة تربيت أحكي له، وانا أضع يدا مسترخية على ساعده الثّائر الأعصاب عن شغف المذيع صباح بهنام بالعربية وولعه بالشّعر القديم عن محفوظات من قصائد الغزل التي أدار بها رأس أمي فما عادت ترى رجلا غيره بين البشر، وحين أصرت على الاقتران به قال لها جدي:

- هذا آشوري اش جابو على العرب!

- آشوري بلوشي برتكيشي..أريده، ولن أتزوج غيره

---

[١٦١] - خالد الوادي، كاشان: دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م: ٦٥.

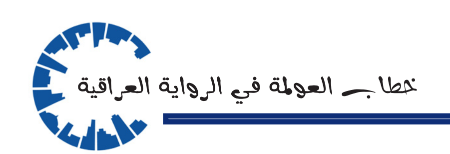


أمي جريئة بين بنات العائلة اختارت ودفعت الثّمن"[١٦٢].

فهذا الصّراع بين بتول وأبيها حول هوية من تحب وتجاوزها عقد الهوية كون الحب لا يعرف اختلاف الهويات أو اللّغات، فهي تدافع عمن تحب مهما كانت قوميته بين الأهل الرّافضين جميعا له بسبب هويته وأنّ عليها أنْ تدفع ثمن افعالها هذه، فهذا الوعي المفعم بالحب جعل من بتول أنْ تترك كل شيء وتتنازل عن أي شيء وتختار من تحب كونه عراقياً وانساناً.

ونجد أنَّ هناك بعض الهويات الأخرى المتفرعة ذات تميز خاص فهي تتميز عن الجميع مما يرتب الاختلاف ولا يكون مساهماً في الإنتماء الشّمولي للهوية ذات الطّابع الوطني، وقد يكون مثار خوف في النّفس من صعودها لاستغلالاتها السّياسية المؤدية إلى الإنقسامات في المجتمع العراقي.

[١٦٢] – انعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: دار الجديد، بيروت، ٢٠٠٩م: ١٣٣.



بقي أنْ نبين مسألة مهمة وهي إنَّ الهوية المتفرعة ليست بالضّرورة هوية تؤدي إلى التّفرقة، أي عندما تكون الهوية الفرعية قد استمدت العظمة والمقدرة ليس كونها هوية كاملة، بل هي هوية منتمية إلى أصول عظيمة وهي الهوية العراقية، وتلك النّظرة إلى الهوية المتفرعة هي نظرة الواقع، كونها لا تكون مخلة أو تسبب مشكلة في انتمائها، فهي متفرعة من الكل، لكن عندما تكون النّظرة على أنْ تعتقد بأنَّها –أي الهوية الجزئية المتفرعة– هي الجميع وليس الجزء هنا سيكون الأمر ذا خلل كبير.

هذه النّظرة إلى الهويات الفرعية هي نظرة واقعية؛ لأنَّها تعني أنَّ لاخلل ولا مشكلة في أنْ تكون جزءاً من كل، بل الخلل في أنْ تكون جزءاً وتعتقد أنَّك كل. فعندما يقول الرّوائي على لسان إحدى شخصياته في الرّواية: إنني(كردي، فيلي، عراقي)، فإنَّه يقول: إنني أفتخر في أنْ أكون كردياً فيلياً وأفتخر بأنّي في الأصل عراقي، وهذا ينطبق على كل الهويات المتفرعة الأخرى كما في هذا النّص الرّوائي و"في كل صباح تفتح كوجه مروي عيونها على وجوه المسفرين والمرحلين أو المهجرين أو التّبعية كما



يسميهم صدام والبعثيون الذّين رموهم على الحدود الإيرانية بحجة أنهم ليسوا عراقيين، بل تبعية إيرانية هم أكراد فيليه جذورهم عميقة في أرض وادي الرّافدين وجوههم تجعدت وشيب شعرهم من شدة الإدمان على حلم الرّجوع إلى العراق"[١٦٣].

ولم تكن الرّوائية (آمال كاشف الغطاء) خارجة في نصها الرّوائي عن هذا الإطار، أي أنَّ هذه الأجزاء التي تملك هوياتها الفرعية تشكل كلها الهوية الوطنية الأصلية شرط أنْ تكون منتمية حقاً لهذه الهوية التي نقصدها، إذ تحاول هنا أنْ تجمع كل هذه الهويات لصهرها في بوتقة واحدة في شارع الرّشيد الذي أصبح عراقاً مصغراً بما فيه من مكونات عراقية أصيلة: "أحب سلمان شارع الرّشيد فقد رأى فيه المسلمين بكل مذاهبهم يعيشون بانسجام وائتلاف مع المسيحيين بطوائفهم واليهود والتّجار

---

١٦٣ – نصيف فلك، عين الدّود: منشورات دار الجمل، بغداد، بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ٦.



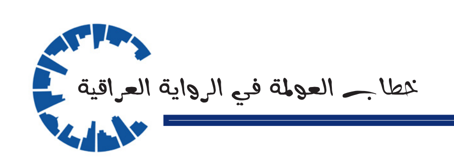
المتحذلقين والممولين والصّابئة الصّاغة المهرة في الفضة والذّهب، ولطالما جرى نفسه أن هذا الشّارع إنما هو العراق"[١٦٤].

نجد في هذا النّص الهويات المختلفة وإنْ كانت متفرعة إلا أنَّها تُكون جميعاً الهوية العراقية الأم، فنجد هوية الإسلام وهوية المسيح وهوية اليهود وهوية الصّابئة كلها متواجدة في شارع واحد وسط بغداد هو شارع الرّشيد فقد جعلت الرّوائية هذا الشّارع عبارة عن عراق صغير فيه كل الهويات المتفرعة.

وكذلك من الهويات الأخرى هي هوية اليهود العراقيين وإنْ كانوا منذ مدة زمنية كبيرة لم يشكلوا جزءاً من اللّحمة العراقية لكنهم تاريخياً عراقيون ويحملون الهوية العراقية، وأماكنهم موجودة في بغداد وباقي المحافظات كما في النّص الآتي "يذهب إلى كل محافظات ومناطق العراق

---

١٦٤ – آمال كاشف الغطاء، طبقات الحقيقة: ج٢، مركز الثّقلين للدّراسات السّتراتيجية، العراق، ط١، ٢٠٠٧م: ٢٧.



حتى اهوار العراق، كان يذهب إليها لبيع الأقمشة، فكان هذا الرّجل يهودياً عراقياً أصيلا وله مواقف إنسانية كثيرة يعرفها البغداديون"[١٦٥].

هنا إشارة لطيفة وذات طابع منفتح جداً وهي وعلى الرّغم من أنَّ اليهود قد كانت مواقفهم سلبية منذ عام ١٩٤٨م نحو العرب والمسلمين إلا أنَّ الرّوائي قد تحدث بإنصاف واقعي وهو أنَّ اليهود وبهويتهم العراقية يمثلون جزءاً من العراق ولو على المستوى التّاريخي، إلا أنهم اليوم لا يمثلون أي جزء من مكونات العراق.

٤- هوية المغترب:

فيما ذكر نصيف فلك من إشارة جديرة بالذّكر هي صلب وقوة النّزعة والحرية عند العراقي الذي لا يطيق البقاء في ظروف سيئة وعلى الرّغم من أنَّ هذا النّص الرّوائي قد لا يشير إلى مفهوم الهوية بطريقة

---

[١٦٥] – زبون ابن أبيه: رياض الفهد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ط١، ٢٠٠٩م: ٩٠.



واضحة، بل قد يكون توصيفاً لحالة العراقيين المغتربين؛ لأنَّه يحاول أنْ يقول بأنَّ العراقيين أجمع لهم هذا التّوصيف الذي يجمعهم وقد يكون جزءاً من هويتهم الوطنية، التي يتصف بها العراقيون بحب المغامرة بالأرواح وعدم التّوقف في لعبة القدر وعدم الخوف من إكتشاف الهوية كما في هذا النّص "لا تخف من اكتشاف هويتك في المخيمات لأن وجود اللّاجئين في تغير مستمر ودائم، فالعراقيون لايطيقون التّفسخ على فراشهم في المخيمات ولاتنسى فان اللّه معك دائما وأبداً"[١٦٦].

هنا يخشى من انكشاف هويته العراقية فهو يريد أنْ يكتم على هويته العراقية ويجعل نفسه مغترباً لا أحد يعرفه أو يعرف هويته.

كما نجد ذلك في هذا النّص الرّوائي للرّوائية أنعام كجه جي لتبين لنا كيف أنَّ الهوية تبقى في الذّاكرة ولا تزول "هكذا كنت أراهم أيضا، في أعراس ديترويت وشيكاغو وسان دييغو، مغتربين، لا يريدون أنْ يقطعوا

[١٦٦] – نصيف فلك، عين الدّود: منشورات دار الجمل، بغداد، بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ٧٨.

الحبل السّري مع الأرض التي جاءوا منها، مستعدين لهز الرّؤوس وبل العيون مع أول نغمة (اللّي يضيع وطن وين الوطن يلقاه؟) ويتلذذون بحرقة القلوب وكأنها سر أسرار البهجة ... "[١٦٧].

كما نجد في نص روائي آخر وفي بنيته الرّئيسة منظوران فيما يختص بالغربة، منظور تقليدي مرتبط بالمكان، تمثله الجدة العجوز (رحمة)، إذ تبدو إمرأة متشددة في حب العراق، متعلقة به حد الموت، إذ تصر على البقاء وحيدة في بيتها العتيق، بعد أنْ تركه كل أفراد أسرتها من الأبناء والأحفاد، " تذكرت رحمة القديس (كريستوف) شفيع المسافرين وطفرت دميعة سهلة من عينها : لماذا تطشر أهالينا في بلاد اللّه الواسعة يا ربي؟ كانت تشتاق إلى أبنائها المهاجرين، ولا تغفر للزّمان الذي جعلها تنتهي وحيدة في البيت الكبير، كأنها تعيش عمرا زائدا لا طائل من ورائه، فلو كان

[١٦٧] – إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: ١٣١ .



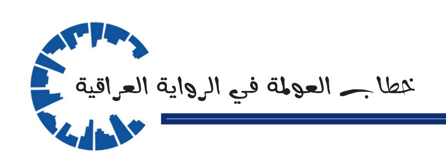
القدر رحيما بها لسلب روحها في اللّحظة ذاتها التي لفظ فيها زوجها يوسف أنفاسه "[١٦٨].

في حين يمثل المنظور الثّاني للوطن (زينة) حفيدتها التي جاءت العراق مترجمة مع الجيش الأمريكي وهو يقوم بحملته المشؤومة لتحرير العراق من سلطته الدّكتاتورية، عام ٢٠٠٣م. كما تروي لنا (إنعام كجه جي) في (الحفيدة الأمريكية) عند مقابلة (زينة) لـ(مهيمن) أخيها بالرّضاعة من خادمتهم (طاووس):

" ... يلقي عليَّ مهيمن بنظرياته حول الشّرخ الذي تحفره الهجرة في النّفوس، يسالنّي عشرات الأسئلة عن حياتي في أمريكا. انه مهموم لأن خمسة ملايين عراقي تركوا الحياة التي يعرفون ومضوا إلى المجهول. يقول: إنَّ الهجرة مثل الأسر؛ كلاهما يتركك معلقاً بين زمنين، فلا البقاء يريحك ولا العودة تواتيك. أما أنا فأرى الأمر بشكل مختلف. أقول له

---

[١٦٨] – إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: ٦٤.



إن الهجرة هي استقرار العصر، والإنتماء لا يكون بملازمة مسقط الرّأس. ثم تواصل حديثها بعد فترة صمت قصيرة:

- يمكن للعالم كله أنْ يكون وطنك ! ألم تسمع بمصطلح (المواطن العالمي؟)"[١٦٩].

وهنا إشارة مهمة تؤكد تأثر الرّوائي العراقي بالعولمة وهي ما ذكرته بمصطلح المواطن العالمي وهو مصطلح مستحدث يصف إنسانًا يستطيع التّفاعل على مستوى عالمي مع أي شخص مهما اختلفت ثقافته وموطنه. انتشر استعمال المصطلح مع تزايد الوعي حول العولمة وانتقلت هوية الإنسان من منظور وطني بحت، إلى مفهوم وطني واسع. الذي يعد أنَّ العالم كله هويته فلا إنتماء ولا تمركز للهوية في ظل العولمة.

وفي رواية أخرى لإنعام كجه جي، بعنوان (سواقي القلوب) نجد أنَّ مفهوم الوطن قد اهتز اهتزازاً واضحاً كما في النّص الآتي " كانت تلك

[١٦٩] – إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية: ١٤٤ .



أولى الزّيارات الكثيرة التي صار زمزم رسولنا إلى وطننا، وسفيرنا إلى أهالينا. نلقنه الرّسائل الشّفهية، وهي الأهم، ونكتب إلى جانبها مكاتيب ورقية، على سبيل التّمويه (نحيي فيها القائد الضّرورة ...ونشتم الفرس المجوس) يعرف الأهل أنها ليست موجهة لهم، بل للرّقيب الذي يفتش الجيوب"[١٧٠]، وترتكز الفكرة أيضاً في هذا النّص " ومع كل رحلة إلى بغداد والسّماوة كان صاحبي يعود وهو أكثر اقتناعاً بأن باريس صارت وطننا الأرحم ... إذ مع تعدد سنوات الحرب واستمرار طاحونة الشّهداء، تملكنا اليقين بأن الوطن يضمحل ويتسرب من بين الأصابع، كقبضة من دم، وأن المسافة بيننا وبينه صارت برزخا يتعذر عبوره"[١٧١].

---

[١٧٠] – إنعام كجه كجي، سواقي القلوب: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، عمان، ٢٠٠٥م: ١٥٢.

[١٧١] – إنعام كجه كجي، سواقي القلوب: ١٥٢ .



نجد في هذا النّص الرّوائي إشارة مهمة وهي أنَّ المسافة بين الوطن وبين المغتربين أصبحت بعيدة جداً يتعذر عليهم اللّحاق بها فهذه المسافة برزخ يصعب الولوج فيه والعبور منه.

٥- الهوية الطّائفية:

ومن الهويات التي ظهرت بعد الإحتلال الأمريكي الهوية الطّائفية؛ إذ نجد في رواية حارس التّبغ لعلي بدر إشارات للهوية الطّائفية وصورها الدّقيقة، من خلال اتاحة اكثر من هوية للبطل (كمال مدحت) وولداه (حسين وعمر)، فـ(حسين) تربى على هوية استمدها خلال مكوثه في إيران، و(عمر) أيضاً اكتسب هوية مغايرة خلال مكوثه في مصر، فـ(حسين) يمثل الهوية الشّيعية و(عمر) يمثل الهوية السّنية، وقد صور لنا (علي بدر) ملامح كل شخص منهم فحسين تمثل بلحيته السّوداء وقميصه ذو الياقة المقفلة وبلا رباط ونظارة سوداء، بينما تمثل عمر بشواربه الكثيفة ونظرات عيونه القاسية، وهذه الصّورة مرسومة في الفكلور العراقي، وهنا إشارة إلى



تشظي الهوية حتى لدى الاخوين وإنَّ الأبناء تتكون لديهم هوية مكتسبة على الرّغم من تأثيرات الوالدّين وهذا بنسبٍ متفاوتة وقد يكون هذا الأمر إعتباطياً نوعا ما "وقد عاد حسين من طهران مع الحركة الإسلامية الشّيعية كان سعيداً بالعودة بعد التّهجير القسري والنّفي، وعاد عمر من مصر إلى بغداد وهو يحمل حقدا وغلا بلا حدود لخروج السّنة من السّلطة.

جاء حسين إلى منزل والدّه مستعينا بكاكه حمه الذي أعطاه العنوان دخل الصّالة وتوقف أمام والده مباشرة تفاجأ والدّه بشعر ابنه الأسود المفروق من الطّرف وهناك خصلة تحد الجبين، لحية سوداء كثة ونظارة بإطار اسود يرتدي جاكيتة عريضة وبنطلونا واسعا وقميصا ابيض دون رباط وقد زره من الياقة صورة القادم من متربول الثّقافة الشّيعية المعاصرة......وهو الشّيء ذاته الذي صادفه كمال مدحت مع ابنه عمر القادم من مصر كان يريد أن يجسد صورة المثقف القومي القديم بشواربه الكثة والممشطة على فمه حتى تخفيه وشعره الأسود المردود إلى الوراء بخدوده السّمينة ونظراته القاسية الصّورة العربية للذّكورة القومية الطّاغية

غير أنها اليوم ممزوجة بصورة السّني الذي يريد أن يكتب تأريخ هويته من تراجيديا إزاحتهم عن السّلطة"[١٧٢].

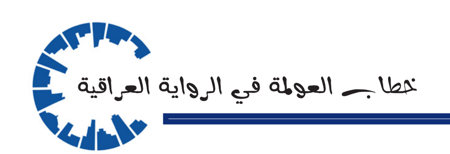
في هذا النّص تتبين لنا الهوية الطّائفية المقيتة التي تنعكس في الرّواية من خلال المجتمع الذي أصبح وللأسف يهتم وينمي هذه الهوية، فنجد في البيت الواحد وبين الأخوة نفسهم تشظياً واضحاً للهوية الطّائفية وقد نلمس هذه الهوية واقعاً في المجتمع العراقي.

٦- الهوية الحزبية:

ونجد أيضاً من الهويات الأخرى في النّصوص الرّوائية هي الهوية الحزبية ذات الولاء الحزبي الايديولوجي النّاتجة عن افرازات التّعدد السّياسي، وهذه الهوية سابقاً كانت مرتبطة في الأساس بالايديولوجية، لكن لاحقاً لم يكنْ إرتباط هذه الهويات بالإيديولوجية وإنَّما كان الإرتباط

---

[١٧٢] – علي بدر، حارس التّبغ: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ٢٠٠٨م: ٣٢٦-٣٢٧.



بالأشخاص والقادة وهذا مبني على المصالح الخاصة والمنافع التي قد تكتسب.

ونجد لدى الرّوائي (حمزة الحسن) هذه الإشارات عن الهوية الحزبية والمتمثلة بالحزب الشّيوعي فنعتقد أنَّ هذه الهوية أصبحت تطفو على المنتج الرّوائي بسبب إنعدام الجاذبية للهوية المركزية التي قمعت مثل هذه الهويات سابقاً، كم في النّص الرّوائي "أنا اليساري يقولون تحولت إلى كاولي بين ليلة وضحاها وقررت اللّجوء إلى شاحنة هي الوحيدة التي تحمل هوية كما يردد حسين مردان أو عبداللّه كوران الشّاحنة مارسيدس، .... كاولية ومعدان – رعاة جاموس. نعم معدان وهذه لعنة أضافية لأنني مشبوه بلعنتين العمل في حزب معارض والعيش في زريبة معدان أو شروكية ولذلك تساويت مع الغجر في الدّور لاحقوق ولا واجبات"[١٧٣].

---

[١٧٣] – حمزة الحسن، حقول الخاتون: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الاردن، ط١، ٢٠٠٩م: ١١.

فيما يتحدث (سليم مطر) في نصه الرّوائي السّيري عن هذه الهوية الحزبية "لكن مشكلة هذه الشّيوعية لم تعلمني أبدا محبة بلادي، بل على العكس ما علمتني سوى نقدها والاستنكاف من تراثها وتاريخها والتّمرد على دولتها ومجتمعها طيلة سنوات انتمائي للحزب مع مئات الاجتماعات الثّقافية التي حضرتها ومئات الكتب والوثائق والمقالات التي درستها لم أصادف مرة واحدة موضوعا واحدا يتعلق بتراث العراق ولا تاريخه الحضاري المعروف، لا الإسلامي، ولا القديم ولا ناسه ومدنه وقراه وعشائره وأقوامه وأديانه كل الذي تعلمناه عن بلادنا هي نضالات الحزب الشّيوعي(طليعة الطّبقة العاملة)، وانتفاضات الفلاحين والقضية الكردية مقابل هذا كنا نتعلم ليل نهار الإعجاب إلى حد العبادة والوله بمجتمعات روسيا وعموم الاتحاد السّوفيتي، وباقي الدّول الاشتراكية، أما مجتمعنا العراقي فلا يذكر إلا بصورة نقدية فضائحية تشير فقط إلى عيوبه وتخلفه ورجعيته"[١٧٤].

---

[١٧٤] – سليم مطر، اعترافات رجل لا يستحي: مركز دراسات الأمة العراقية ميزوبوتامية، بغداد، جنيف_دار الكلمة بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ١٥-١٦.

يشير النّص إلى رفضه للهوية الحزبية على الرّغم من أنَّه داخل هذه الهوية، فالرّفض متأتٍ بسبب وجود هوية أكبر من الهوية الحزبية وهي الهوية الوطنية العراقية وحبه لتاريخ العراق وحضارته وتراثه. ونجد وعي الرّوائي العراقي الكبير ونظرته الواعية في مسألة الهوية والإشكالات التي تحيط بها فهو ينتقد كل الهويات الصّاعدة بعد الإحتلال ويدعو إلى التّمسك بالهوية الأم وهي الهوية العراقية. في النّص إشارة أخرى إلى تأثر المواطن العراقي بالدّول الأخرى مثل روسيا لما ينقل عنهم من براعة ومُثل، أما الصّورة التي تنقل عن المجتمع العراقي فهي مأساوية دائماً.

٧- الهوية العشائرية:

ونجد أيضاً الهوية العشائرية وهي من الهويات القديمة في المجتمع العراقي تاريخياً، وتمثل مصدراً للتّفاخر والقوة بالإنتماء، ونجد سابقاً أنَّ نظام صدام قد ساعد في تثبيتها أكثر في فترة حكمه وكان يلتقي يومياً وعلى شاشة التّلفاز برؤساء العشائر من حوله لتجديد البيعة له أمام النّاس.

ونجد في النّصوص الرّوائية كيف صعدت الهوية العشائرية كما تذكر الرّوائية (آمال كاشف الغطاء) عندما تتحدث عن العشائر الجنوبية والفرات أوسطية وموقفهم المؤثر على سياسة السّلطة، كما في هذا النّص الرّوائي "استفسر الشّيخ مقصد وهو ينظر إلى الضّيف نظرة متفحصة: تشرفنا بجنابكم... من أي عشيرة؟

أجاب الضّيف بثقة واعتزاز دون كبرياء: إنا من عشائر إل جبل.

ثم ارتشف بقية القهوة: جئت لأخبركم بأن عشائر الجنوب والفرات الأوسط تعد الانتخابات مزورة وسنتحرك ضد الوزارة والشّيوخ يرغبون بزيارتكم لتوضيح الأمور أمامكم والحصول على دعمكم ومساندتكم"[١٧٥].

هنا إشارة إلى أنَّ العشائر غير قابلة بالواقع السّياسي المفروض عليها من قبل السّطلة ويجب أنْ يتغير هذا الواقع؛ لأنَّه مبني على التّزوير والزّيف والخداع.

---

١٧٥ – آمال كاشف الغطاء، طبقات الحقيقة: ج١، مركز الثّقلين للدّراسات الاستراتيجية، العراق، ط١، ٢٠٠٧م: ٩.

وفي نص روائي آخر نجد أنَّ لهذه الهوية وجوداً فاعلاً، وكيف أصبح لهذه العشائر مكاتب تكاد تكون رسمية وتقوم بحل النّزاع والخلاف بين العشائر الأخرى، كما يمثل الشّيخ الرّمز المعنوي لكل العشيرة وفي الوقت الرّاهن أصبح لقب الشّيخ يمنح إلى كل من لا يستحقه، كما في هذا النّص الرّوائي: "محفوظ* لقد جئت إليك كي أعلمك بدعوة مكتب العشائر إليك والذّي افتتح بالأمس في المدينة تراخت تشنجات أبو سلمان وقد عملت كلمة محفوظ عمل اسفنجة امتصت كل غضبه سلم حميد الظّرف الأبيض إليه وهو مازال غاصا في متكئه مد أبو سلمان ذراعه ببطء وتناول الظّرف باستخفاف وعندما سحب الكارت الموجود في داخل الظّرف تلامعت الكلمات المذهبة في عينيه فنادى على ابنه سلمان يقرأ له ما مكتوب فيها وأول مانطق سلمان بالجملة التي تقول: الشّيخ أبو سلمان..تحية طيبة....

– مولانا..الجماعة يعرفونني شيخ؟

---

* كلمة ينادى بها شيخ العشيرة تداولياً للتبجيل.



- نعم..محفوظ"[١٧٦].

بعد ما عرضناه من الهويات التي وجدناها في النّصوص الرّوائية نبين أنَّ الرّوائي العراقي ومن خلال أعماله الروائية التي انتجها وما فيها من مفاهيم كانت مقصودة أو لا، قد إرتكز على مفاهيم عولمية تؤكد على إبراز الهويات وسياسة التّأكيد عليها، وإعطائها الحقوق والفرصة الكاملة في المجتمع حتى وإنْ كان هذا الاشتغال يرمي الى تشظي الهوية وتمزقها.

وهذا ما يسعى إليه مفهوم سياسة تأكيد الهوية(Identity Politics) وهذا ما تسعى إليه العولمة وتؤكد عليه في مشوارها السّاعي للهيمنة.

---

١٧٦ - عبد الزّهرة علي، رياح السّموم: دار الينابيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ٧٢.

النّتائج والتّوصيات:

حاولنا من خلال تحليل وتفحص لخطاب العولمة وتأثيره في المجتمع العراقي (من خلال الرّواية العراقية) وللفترة الزّمنية من عام ٢٠٠٣م والى عام ٢٠١٣م، اشتقاق المخرجات والنّتائج الواقعية التي أسفر عنه خطاب العولمة بملامحه ومظاهره في العراق ولاسيما المنجز الرّوائي للرّوائيين العراقيين. لمحاولة دعم فرضيتي البحث والتّي تدعي بأن خطاب العولمة متواجدٌ في الرّواية العراقية بقصد أو من دون قصد بوعي أو من دون وعي وهذا التّواجد قد أحدث تأثيرات في النّسيجين الاجتماعي والثّقافي للمجتمع العراقي وأنّ العولمة تحل تباعاً محل الثّقافة الحضارية والعربية في العراق. هذا وقد سعينا إلى دعم مصداقية الفرضيتين من خلال ما ظهر من استنتاجات ومخرجات، هي كما يلي:

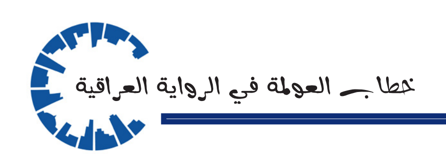
١- تطبيع التّرابطات بين جميع دول العالم وأمركة المفاهيم الوطنية والقومية والدّينية، مما دفع الكثير من الشّخصيات الرّوائية في



المتون والنّصوص الرّوائية وولاسيما من حملة المؤهلات العلمية وغيرهم للهجرة خارج العراق بحثاً عن وضع معيشي أفضل والخضوع إلى العولمة بأشكالها المتعددة.

٢- هناك تعريفات كثيرة ومختلفة للعولمة بعدد الباحثين والدّارسين الذّين تناولوها في بحوثهم ودراساتهم، لذلك لا يوجد تعريف شامل وجامع للعولمة، ولكن القاسم المشترك بينها هو تأكيدها فكرة دمج كل المجالات الحياتية في أسلوب ونظام عالمي واحد، لذا نجد أنَّ العولمة لها تعريف خاص مع كل علم أو اختصاص تتغلغل فيه.

٣- تأثر الرّوائي العراقي بخطاب العولمة في أبعاده السّياسية والاقتصادية والثّقافية، عن طريق مفاهيمه المشتركة إلى (رسملة) العالم ثم (لبرلته) ثم (علمنته) و(أوربته) وأخيراً (أمركته) من خلال بناء أنموذج غربي/ أمريكي يطبق على شعوب العالم أجمع، ويعتمد على بث قيم تحررية (ليبرالية) رأسمالية تتحكم به وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية.



٤- خطاب العولمة هو عملية ايدولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمركته، بهدف تعميم الأسلوب الحضاري الثّقافي الأمريكي على بلدان العالم أجمع بالاعتماد على المنجزات التّقنية والوسائل الاتصالية والمعلوماتية والإعلامية، ويمكن أنْ يعرف خطاب العولمة بأنه: مشروع احتلالي جديد يهدف إلى إحلال الثّقافة الغربية وولاسيما الأمريكية محل الثّقافة والهوية الوطنية العراقية والعربية.

٥- تأثر العراق بالعولمة كغيره من الدّول النّامية ولكن بشكل مضاعف، وذلك بحكم الهيمنة والقيود التي فرضها المحتل الأمريكي المهيمن على السّاحة العراقية.

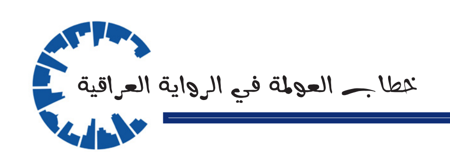
٦- هناك تفاوت في مستوى الوعي بالحقائق والمفاهيم الحديثة مثل العولمة وتجلياتها المختلفة فوجدنا توجه الرّوائي العراقي إلى السّرد المضاد ومناهضة العولمة أكثر من الانفتاح عليها على الرّغم من شيوع ملامحها ومظاهرها بين أوساط المجتمع العراقي كالنّخب المعولمة فكرياً



ومظاهر الدّيمقراطية وحقوق الانسان حسب المعايير الغربية، والإنفتاح على بعض وسائل التّقنية المختلفة كـ: الشّبكة العنكبوتية والهاتف المحمول والفضائيات.

٧- تشظي الهوية في الأعمال الرّوائية لدى كل من آمال كاشف الغطاء وأمجد توفيق، وإنعام كجه جي وحمزة الحسن وخالد الوادي وخالدة جبار ورياض الفهد وسليم مطر وشوقي كريم حسن وعبد الزّهرة علي وعلي بدر ومحمود جاسم عثمان النّعيمي ونصيف فلك.

٨- الموقف المناهض للاحتلال شكل نسقاً مهيمناً، وقد تفاوتت المواقف في الرّوايات بين موافق وبين رافض جاد وبين متردد. ثم كان هناك تغيرٌ بيّن منه، إذ تحول القبول به، وتبرير أخطائه إلى الإستياء منه نتيجة جرائمه المتعددة ثم إلى رفضه بصورة حاسمة. وهذا النّسق مرّ بتحولات وتغيرات متزامنة مع سنوات الاحتلال البغيض.



٩- إنَّ الرّواية العراقية ميدانٌ خصبٌ لعرض مفاهيم متعددة في الفترة التي نحن بصددها، فشكلت الحرب ثيمة روائية مهمة وبارزة، وكان لواقع الاحتلال وجودٌ مميزٌ وأنَّ الرّوائيين قد وظفوها للكشف عن الأبعاد النّفسية والاجتماعية والاقتصادية التي خلفتها الحروب وآثارها على المجتمع العراقي.

١٠- أفصحت الرّواية العراقية في بعديها المناهض وسردها المضاد عن الإنتهاكات التي تمارس تجاه العراقيين، إذ أدى الاحتلال دوراً كبيراً في استلاب الشّخصيات من حقوقها وممارسة مختلف أصناف الإقصاء والتّهميش من أجل السّيطرة عليها، فأثرت في الشّخصية العراقية وقادتها إما إلى الهرب من الواقع والإنزواء بعيداً، أو الإنحراف نحو المقاومة الجسدية والفكرية.

١١- كشف البحث أنَّ الرّواية العراقية ركزت على مفاهيم خطاب العولمة التي تأثرت بتجربة الإرتحال إلى الآخر، وتجلّت هذه الحركيَّة في

نزعة الاكتشاف عند الشّخصيات ومحاولات التّجانس مع الآخر، كما تجلّت هذه الحركيَّة في تغيّر وتحوّل شخصيات الرّواية وشخصيّاتها في مستويات متعدِّدة كوجهات النّظر والقناعات والحالات النّفسية سواء بالسّلب أو الإيجاب وغير ذلك، فعندما كانت صورة ذلك الآخر إيجابية في مرحلتي الآخر الصّديق، والملاذ الآمن والوطن المنشود وجدنا مفهوم الأوربة والأمركة واضحين، فإنَّها أصبحت سلبية من حيث المبدأ في صورة المنفى والصّدمة الحضارية واختلاف القيم والإحتلال ووجدنا كذلك أنَّ مفهوم المناهضة كان واضحاً لدى أغلب الرّوائيين العراقيين.

١٢- وجد البحث أنَّ الهوية وتشظياتها كانت مكوناً متنوعاً جمالياً وإبداعياً في عملية الخلق الإبداعي، إذ استطاع الرّوائيون توظيفها للكشف عن سياسات تأكيد الهوية للشّخصيات وانتمائها.

١٣- احتلت الهوية المتأرجحة بين الجذور والدّول والمنافي حيزاً مهماً في الرّوايات، وهي محاولة لإكتشاف الذّات خلال ذوبانها وتأثرها



بمعطيات الحضارة الغربية والقيم والثّقافات الأمريكية، فضلاً عن وهم الإنتماء إلى هويتين مزدوجتين، الأمر الذي يقودها إلى العدمية إذ أصبحت تفتقر إلى هوية واضحة.

المحصلة النهائية:

بعد التّوصل إلى النّتائج والمخرجات السّابقة والتّي تدعم مصداقية فرضيتي البحث، فإنَّ مباحث الدّراسة وموضوعاتها أكدت صحة فرضيتيها وصدقها، وهي: أنَّ خطاب العولمة يتغلغل في العالم أجمع ومن ضمنه العراق ويحدث هذا الخطاب تأثيرات في النّسيجين الاجتماعي والثّقافي للمجتمع العراقي، والعولمة تحل تباعاً محل الثّقافة الحضارية والعربية في الفكر العراقي النّخبوي، من خلال ما تبين لنا من مفاهيم العولمة داخل الرّواية العراقية ضمن حدود البحث وعيناته الإجرائية.

وبناء على ما تقدم، نوصي بضرورة البدء بالعمل على تطور العقل العراقي الجمعي، وهو الوحيد القادر على مواجهة خطاب العولمة. وهذا لا يعني الإنغلاق التّام، وإنَّما المحافظة على الخصوصية والتّراث والمفاهيم الوطنية المحلية ضمن الإنفتاح على الثّقافات العالمية الأخرى.

ونرى أنّه من الواجب أنْ نوصي بالتّوصيات الآتية:



١- ضرورة توفير الحماية الفكرية والثقافية للمجتمع العراقي (الأسرة، المدرسة، الجامعة، الأحزاب، المؤسسات) وتحصينه من مظاهر خطاب العولمة الحديثة والتّي تتسم بالسّلبية، والتّي بدأت تنخر المجتمع العراقي وأجياله النّاشئة والتّأثير عليهم في مختلف مجالات الحياة.

٢- الإفادة من خطاب العولمة الايجابي حسب الضّوابط العصرية تماهياً مع الواقع العالمي، والإنفتاح أكثر على السّاحة العالمية مع الالتزام بالمرجعيات الحضارية والثّقافية والوطنية.

٣- ضرورة بث الوعي الوطني والقومي في المجتمع العراقي، من أجل خلق حالة من الرّجوع للمرجعيات التي تحافظ على الثّقافة والهوية وذلك يبدأ باللّغة وآدابها والتّاريخ وأصوله، وإبراز هذه المرجعيات بشكل جديد لا يدعو إلى النّفور.

٤- ضرورة البدء بالعمل على خلق العقل العراقي الجمعي وإيجاده، وهو الوحيد القادر على مواجهة خطاب العولمة ثقافياً كانت أم سياسياً أم غيرها.



٥- ضرورة فرض رقابة على مواقع الشّبكة العنكبوتية والمواقع التي تستهدف التّواصل الاجتماعي بغرض جمع معلومات أمنية أو إستخبارية عن الأفراد والعائلات والمؤسسات العراقية، وكبح السّبل التي من خلالها يتم التّأثير على المجتمع العراقي.

٦- إنشاء مراكز بحوث محكمة تعنى بدراسة خطاب العولمة في مجالات الحياة كافة، وولاسيما التي تمس الواقع العراقي الاجتماعي والسّياسي والثّقافي والمعرفي، وإيجاد السّبل الكفيلة لمواجهة العولمة من حيث الايجاب والسّلب.

٧- تدريس خطاب العولمة في الكلّيات والجامعات العراقية ليدرسه شريحة واسعة من الطّلبة كي يأمنوا من سلبياته وشروره والإفادة من ايجابياته.

المصادر والمراجع:

أولاً الرّوايات:

- أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

- أقتفي أثري، حميد العقابي، طوى للثّقافة والنّشر والإعلام، لندن، ط١، ٢٠٠٩م.

- آمال كاشف الغطاء: طبقات الحقيقة: ج١، ج٢، مركز الثّقلين للدّراسات الاستراتيجية، العراق، ط١، ٢٠٠٧م.

- أمجد توفيق: الظّلال الطّويلة: منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الرّواية، ع(٧)، ٢٠٠٨م.

- إنعام كجة جي: الحفيدة الأميركية: دار الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- إنعام كجة جي: سواقي القلوب: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

- بتول الخضيري: كم بدت السّماء قريبة: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط٥، ٢٠٠٩م.

- تحسين كرمياني: بعل الغجرية: دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.

- جمال حسين علي: أموات بغداد: دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- حسن حافظ: النّهار الذي يلي البارحة: جمعية الثّقافة للجميع، بغداد، ط١، ٢٠١٠م.

- حمزة الحسن: حقول الخاتون: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الاردن، ط١، ٢٠٠٩م.

- حوراء النّداوي: تحت سماء كوبنهاغن: دار السّاقي، لندن، ط١، ٢٠١٠م.

- خالد الوادي: كاشان: دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م.

- خالدة جبار: منفى ونساء: دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

- دنى غالي: عندما تستيقظ الرّائحة: دار المدى للثّقافة والنّشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٦م.

- رياض الفهد: زبون ابن أبيه: مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، ط١، ٢٠٠٩م.

- سعد سعيد: فيرجوالية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

- سعد محمد رحيم: ترنيمة امرأة.. شفق البحر: دار فضاءات، ط١، عمّان، ٢٠١٢م.

- سليم مطر: اعترافات رجل لا يستحي: مركز دراسات الأمة العراقية ميزوبوتامية، بغداد، جنيف–دار الكلمة بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- شاكر الانباري: نجمة البتاوين: منشورات دار المدى، ط١، ٢٠١٠م.

- شاكر نوري: المنطقة الخضراء: ثقافة للنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

- شوقي كريم حسن: شروكية: النّاشر: دار الشّؤون الثّقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.

- عادل إبراهيم: سلطة السّيف: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

- عالية ممدوح: المحبوبات: دار السّاقي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.

- عبد الزّهرة علي: رياح السّموم: دار الينابيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

- عبد السّتار ناصر: الشّماعية: دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

- علي بدر: الوليمة العارية: منشورات الجمل، كولونيا–المانيا، ط١، ٢٠٠٤م.

- علي بدر: حارس التّبغ: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- كريم كطافة: حمار وثلاث جمهوريات: منشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا)، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م.

- محمود جاسم عثمان النّعيمي: حي السّعد: مطبعة دار المواهب، النّجف الأشرف، ط١، ٢٠٠٩م.

- موسى الهاشمي: كنت ميتا: شركة الحوراء للطّباعة والنّشر، بغداد، شارع المتنبي، ط١، ٢٠٠٨م.

- ميسلون هادي: حلم وردي فاتح اللّون: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر المركز الرّئيس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

- ميسلون هادي: شاي العروس: دار الشّرق، عمان، ط١، ٢٠١٠م.

- نصيف فلك: عين الدّود: منشورات دار الجمل، بغداد، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

- وارد بدر سالم: عجائب بغداد: ثقافة للنّشر والتّوزيع، الإمارات، ط١، ٢٠١٢م.

ثانياً الكتب والمؤلفات:

- أرمان ماتلار: التّنوع الثّقافي والعولمة، تر: خليل احمد خليل، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- انابيل مولي، بيتسي ايفانز: العولمة المفاهيم الأساسية: تر: اسيا دسوقي، مر: سمير كرم، زينب ساق اللّه، الشّبكة العربية للأبحاث والنّشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

- اندرو باسبفيتش: الامبراطورية الأمريكية: الدّار العربية للعلوم ناشرون، تر: الدّار، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- باسم علي خريسات: ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثّقافي العربي: دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

- بلاسم محمد: الاتصال عن طريق الفن، قراءات وافكار في الآداب التّشكيلية: المثاقفة دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

- بيتر جي كاتزنشتاين: الحضارات في السّياسة العالمية، تر: فاضل جنكر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٢م.

- جلال أمين: العولمة والدّولة: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٠م.

- جووست سمايرز: الفنون والأدب تحت ضغط العولمة، تر: طلعت الشّايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

- جيرار ليكلراك: العولمة الثّقافية الحضارت على المحك: تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤م.

- جيريمي ريفكين: عصر الوصول، تر: صباح صديق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

- حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النّقد الثّقافي المقارن: منشورات الاختلاف، ، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.

- روبين جورج كولنجوود: مبادئ الفن: تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

- ريجيس دوبري، حياة الصّورة وموتها، تر: فريد الزّاهي، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٧م.

- سعد عبد الحسين العتابي: الملحمية في الرّواية العربية المعاصرة: دارالشّؤون الثّقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.

- سمير كاظم الخليل: دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي، مر: سمير الشّيخ، دار الكتب العلمة، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

- سيار الجميل: العولمة والمستقبل: الأردن، المكتبة الأهلية، ط١، ١٩٩٩م.

- شاكر عبد الحميد: عصر الصّورة: السّلبيات والايجابيات: الكويت. عالم المعرفة. مطابع السّياسة. ط١، ٢٠٠٥م.

- شجاع العاني: تمرينات نقدية في التّخييل والافتراء: دار الفراهيدي، بغداد، ط٣، ٢٠١٧م.

- صالح الرّقب: العولمة: الجامعة الإسلامية، غزة، ط٢، ٢٠٠٢م.

- عبد الله إبراهيم: السّرد والاعتراف والهوية، المؤسسة المركزية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

- عبد اللطيف حرز: المستحيل في الأدب العراقي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- عبد اللّه الغذامي: اللّيبرالية الجديدة: المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١٣م.

- عبد الواحد العفوري: العولمة و الجات – الفرص و التّحديات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠.

- عفيف البهنسي: الهوية الثّقافية بين العالمية والعولمة: منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

- علي محمد اليوسف: سيسيولوجيا الاغتراب: قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد، ط١، ٢٠١١م.

- علي وتوت وآخرين: المواطنة والهوية الوطنية، دار العارف، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- عمرو محيي الدّين: العرب والعولمة: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر: تر، حسين أحمد أمين، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.



- كاظم حبيب: العولمة من منظور مختلف: دار الشّؤون الثّقافية العامة، ج١، ط١، بغداد، ٢٠٠٥م.

- مايك فيزرستون: ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، تر: فريال حسن خليفة، مر: فتحي عبداللّه دراج، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

- مايك كرانغ: الجغرافية الثّقافية، تر: سعيد منتاق، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٥م.

- مايكل تانزر وآخرون: من العامل الاقتصادي القومي إلى العامل الاقتصادي الكوني: تر: عفيف الرّزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- محمد الدّاهي: صورة الأنا والآخر في السّرد: دار رؤية للنّشر، القاهرة، ٢٠١٣م.

- محمد راتب الحلاق: نحن والآخر: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، ١٩٩٧م.

- محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثّقافية: دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، ط١، ١٩٩٩م.

- محمد نور الدّين أفاية، الغرب في المتخيل العربي: مركز الإعلام والإرشيف الدّولي سلسلة دفتر، ط١، ١٩٧٥م.

- محمود امهز: الفن التّشكيلي المعاصر (تصوير ١٨٧٠-١٩٧٠)، دار المثلث للتّصميم والطّباعة والنّشر، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

- محمود سمير المنير: العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنّشر والتّوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



- معن الطّائي، وأماني أبو رحمة: الفضاءات القادمة الطّريق إلى مابعد الحداثة، أروقة للدّراسات والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

- ممدوح القديري: الرّواية في زمن الغضب: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

- مهدي ساماني: الدّين وعملية العولمة: تر: عبد الكريم الجنابي، دار المصطفى العالمية، ايران، ط١، ١٤٣٠هـ.

- نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السّود في المتخيل العربي الوسيط: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

- ندوة الهوية العربية عبر حقب التّاريخ، للمدة ٢٥-٢٦/٦/١٩٩٧م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للنّدوة.

- نوبلر ناثان: حوار الرّؤية (مدخل إلى تذوق الفن والتّجربة الجمالية)، تر: فخري خليل، مراجعة: جبرا ابراهيم جبرا، دار المامون للنشر، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٧م.

- يحيى اليحياوي: كونية الإتصال: عولمة الثّقافة، منشورات عكاظ، الرّباط، ط١، ٢٠٠٤م.

- يورغن هابرماس: الحداثة وخطابها السّياسي، تر: جورج تامر، دار النّهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

ثالثاً المعاجم:

- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم مصطلحات عصر العولمة: كتاب الكتروني، www.kotobarabia.com.

- الشّريف الجرجاني: التّعريفات: دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- محمد بدوي: قاموس أكسفورد المحيط انكليزى – عربى: اكاديميا انترناشيونال، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

- منير بعلبكي: قاموس المورد: مطبعة كلها، قم المقدسة، ٢٠٠٥م.

رابعاً الرّسائل والاطاريح الجامعية:

- سولاف مصعب مهدي: رواية المنفى في الأدب العراقي الحديث روايات شاكر الأنباري أنموذجاً: بغداد، كلّية التّربية بنات، رسالة مجاستير، ٢٠٠٨م.

خامساً المجلات والدّوريات:

- السّيد يسين: مفهوم العولمة: مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م.

- شارة بترونيا: العولمة ملاحظات حول المتغيرات التي طرأت في ميادين الآداب والثّقافة في نهاية القرن العشرين، تر: يحيى الشّهابي، مجلة الفكر السّياسي، تونس، العدد ٥٤، ١٩٩٨م- ١٩٩٩م.

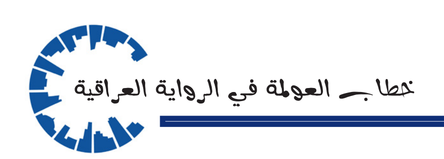
- علي أسعد وطفة: التّربية العربية والعولمة بنية التّحديات وتقاطع الاشكاليات: مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، العدد ٢، المجلد ٣٦، الكويت، ديسمبر٢٠٠٧م.

- محمد السّماك: محاضرة عن مستقبل الصّحافة العربية في ظل العولمة: مجلة الحوادث العدد ٢٣١٠ في ٢٠٠١/٣/٩م.

- محمود فهمي حجازي: العالم الإسلامي في عصر العولمة: مجلة الهلال، عدد مارس، القاهرة، ٢٠٠١م.

سادساً المواقع الالكترونية:

- الطّيب بو عزة: المثاقفة في زمن نهاية الجغرافيا، صحيفة العرب القطرية، عدد ٧٥٣٣، ، ٢٠٠٩/١/٢٦. www.alarab.com.qa.



- د. جميل حمداوي: صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الرّوائي العربي، https://ar-ar.facebook.com.

- فاضل عبود التّميمي: ملامح (الاستشراق) و(الحوار الحضاري) في رواية: (ترنيمة امرأة.. شفق البحر) للرّوائي سعد محمد رحيم ، دراسة في موقع النّاقد العراقي، نشرت بتاريخ ١٨/٠٣/٢٠١٤،php. http://www.alnaked-aliraqi.net/article21502/.

- علي عبد العال: كلنا في إجازة من الموت، نص روائي قصير، موقع الرّوائي، www.alrowaee.com

- 12827https://www.noonpost.org/content/ .

- http://en.wikipedia.org/wiki/Francis_Fukuyama

- Manav Tanneeru, confront .http://edition.cnn.com new era, 2007/4/2 .

- Porter Anderson, American museums .www.cnn.com go 'full tilt', November 29, 2006 .

- TKtfKtg7https://www.youtube.com/watch?v=bfR





السّيرة الذاتية والعلمية

الاسم الكامل: جعفر جمعة زبون علي ال جعفر.

مكان وتاريخ التّولد: العراق – بغداد ١٩٨٥م.

العنوان: العراق – بغداد – الكوفة المقدسة.

التّحصيل الدّراسي:



١- حاصل على درجة الدّكتوراه في فلسفة اللّغة العربية وآدابها من الجامعة المستنصرية كلّية الآداب قسم اللّغة العربية تخصص النّقد الأدبي الحديث ٢٠١٨م.

٢- حاصل على درجة الماجستير في علوم اللّغة العربية وآدابها من جامعة بغداد كلّية الآداب قسم اللّغة العربية تخصص النقد الأدبي الحديث ٢٠١١م.

٣- حاصل على شهادة البكلوريوس في آداب اللغة العربية من جامعة الامام الصادق(ع) كلية الآداب قسم اللغة العربية ٢٠٠٨م الدفعة الأولى وكنت الأول على القسم.

الأعمال السّابقة:

١- عملت أستاذاً جامعياً في جامعة الامام جعفر الصادق(ع).

٢- عملت مديراً لإذاعة الحمد الصّادرة من جامعة الامام جعفر الصادق (ع).

٣- عملت مديراً لإذاعة الموقف من بغداد.

٤- عملت مديراً للمكتب الاعلامي لجامعة الامام جعفر الصادق (ع).

٥- عملت مخرجاً للبث الفضائي في قناة السلام الفضائية.

٦- عملت مخرجاً في إذاعة البلاد من بغداد.

٧- عضو أتحاد الاذاعات والتلفزيونات العراقية بصفة مدير إذاعة.

٨- عضو نقابة المعلمين العراقيين.

٩- عضو نقابة الأكاديميين العراقيين.

أرقام التّواصل:

٠٠٩٦٤٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٠٩٦٤٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البحوث المنشورة في المجلات المحكمة:

١-بناء الحدث الرّوائي في نظرية السّرد والسّيرة النّبوية سيرة ابن هشام أُنموذجا. مجلة جامعة الامام جعفر الصادق(ع) العدد الثّاني.

٢-الهوية والعولمة في الرّواية العراقية من ٢٠٠٣-٢٠١٣ بحث مشترك مع الدّكتور سمير كاظم الخليل. مجلة الآداب الجامعة المستنصرية.

المؤلفات:

١- السّيرة النبوية دراسة سردية، سيرة ابن هشام أنموذجاً. عام ٢٠١١م.

٢- خطاب العولمة في الرّواية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٣م. عام ٢٠١٨م.

٣- رواية (الخانة صفر) ٢٠٢٠.

٤- موسوعة روافد الرّواية العربية في الأردن. سلسلة متكاملة. ٢٠٢٠. قيد الطباعة.

<u>البحوث والمقالات العلمية المنشورة الكترونياً:</u>

١. أنماط التّواتر السّردي في السّيرة النّبوية.

٢. أنواع الشّخصيات السّردية.

٣. إلغاء الهوية المحلية في الرّواية.

٤. الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان.

٥. الأنساق البنائية للحدث في السّيرة النّبوية.

٦. الجناس في شعر المتنبي.

7. **الحدث في السّرد.**
8. **الخطاب الكوني العولمة.**
9. **الرّواية بين التّحولات الفكرية والعولمية.**
10. **الزّمان في السّيرة النّبوية.**
11. **السّيرة وما حولها.**
12. **السّيميوطيقيا عند بيرس.**
13. **الشّخصية في السّرد.**
14. **العولمة التّكنولوجية وتسويق المنتج السّردي.**
15. **العولمة والتّواصل الرّوائي.**
16. **الكتابة في العصر الجاهلي.**
17. **اللا توطين في الرّواية.**
18. **اللّغة عند الامام جعفر الصّادق (ع).**
19. **المكان في السّيرة النّبوية.**
20. **بناء الحدث في السّرد.**
21. **تسويق السّرد عالمياً.**
22. **تعريف العولمة.**

٢٣. خطاب العولمة في الرّواية العراقية الهيمنة وواقع الاحتلال.

٢٤. رسم شخصية النّبي محمد (ص) السّردية في السّيرة النّبوية.

٢٥. صدى الاسطورة في شعر التّفعيلة.

٢٦. عمود الشّعر قديماً وحديثاً.

٢٧. مفهوم الأمركة.

٢٨. مفهوم الأوربة.

٢٩. مفهوم الزّمان في السّرد.

٣٠. مفهوم المكان في السّرد.

٣١. مفهوم سياسة تأكيد الهوية في الرّواية العراقية.

٣٢. مناهضة العولمة ومفهوم السّرد المضاد.